

فَتْحُ الْحَمِيدِ

فِي

تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

تَأَلَّفَ

الإمام القاضى مجير الدين بن محمد العلیمى المقدسى الحنبلى

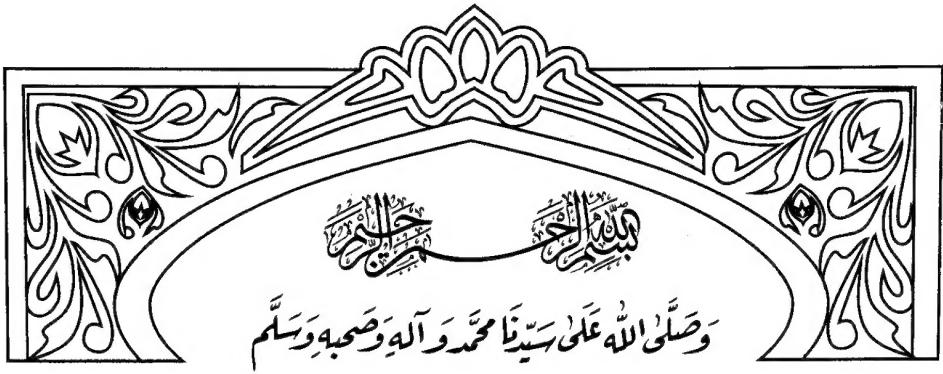
المولود سنة (٨٦٠ هـ) - وتوفى سنة (٩٢٧ هـ)

رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى

إِعْتَقَابُهُ

مُحَقِّقًا وَضَبْطًا وَخَرِيجًا

نُورُ الدِّينِ طَالِبِ



الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده، حمداً يليق بجلال عظمته ورفيع مجده .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله سبَّح كلُّ شيء بحمده .
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ونبُّيه الذي أرسله رحمةً للعالمين وأَيَّدَهُ بملائكةٍ من عنده، وصلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأنصاره وجنده .

أما بعد :

فهذا كتابٌ لخصَّته مختصراً، وهذَّبْتُ لفظه محرراً، يتضمَّنُ نبذةً من تفسير القرآن العظيم، وتأويل ما فيه من الآيات والذكر الحكيم .
اعتمدتُ في نقله على كتبِ أئمةِ الإسلام، وانتقيته من فوائد العلماء الأعلام .

وذكرتُ فيه خلافاً للقراء العشرة المشهورين الذين تواترت قراءتُهُم، واشتهرت روايتُهُم من طرق الرواة الثقات، والأئمة الأثبات .

وهم : أبو رُوَيْمٍ نافع بن عبد الرحمن، وأبو جعفر يزيد بن القَعْقَاعِ المدنيان، وأبو معبد عبد الله بن كثير المكي، وأبو عمرو زيان بن العلاء المازني، وأبو محمد يعقوب بن زيد الحضرمي البصريان، وأبو عمران

عبدُ الله بنُ عامرِ الشاميّ، وأبو بكرٍ عاصمُ بنُ أبي النجودِ الأسديّ،
وأبو عمارَةَ حمزةُ بنُ حبيبِ الزيّات، وأبو الحسنِ عليّ بنُ حمزة الكِسائيّ
الكوفيون.

ويدخلُ معهم أبو محمدٍ خلفُ بنُ هشامِ البزاز؛ لموافقته لهم -
رضي الله عنهم أجمعين -.

وذكرتُ فيه أربعةَ وقوفٍ: التأمُّ، والكافي، والحسنُ، والقبیحُ مما
اختاره الإمامُ أبو عمرو عثمانُ بنُ سعيدِ الداني - رحمه الله - وغيره. وكتبتُ
لفظَ الكتابِ العزيزِ بالأحمرِ، وتفسيرَه بالأسود، وإشارةَ الوقوفِ بينَ الأسطرِ
بالأصفرِ، فالتأمُّ (ت)، وللکافي (ك)، وللحسنِ (ح) وللقبیحِ (ق) ^(١).

فالوقفُ التأمُّ هو الذي يحسُنُ القطعُ عليه والابتداءُ بما بعده؛ لأنّه
لا يتعلّقُ بشيءٍ مما بعده ^(٢).

والکافي هو الذي يحسُنُ الوقفُ عليه أيضاً، والابتداءُ بما بعده، غيرَ أنَّ
الذي بعده متعلّقٌ به من جهةِ المعنى دونَ اللفظ.

والحسنُ هو الذي يحسُنُ الوقفُ عليه، ولا يحسُنُ الابتداءُ بما بعده؛
لتعلّقه به من جهةِ اللفظِ والمعنى جميعاً، ويسمّى هذا الضربُ: صالحاً؛ إذ
لا يمكنُ القارئُ أن يقفَ في كلّ موضعٍ على تامٍ ولا كافٍ؛ لأنَّ نفسَهُ ينقطعُ
دونَ ذلك.

وأما الوقفُ القبيحُ، فهو الذي لا يُعرفُ المرادُ منه، وذلكَ نحوُ الوقفِ

(١) وهذه الرموز ظاهرة في النسخة التركية (ت)، وقد تم إغفالها في عملنا هنا، نظراً
لصعوبة إدخالها على رسم المصحف الحالي، ولعل الله تعالى يهيئ لنا إدخالها
بطريقة فنية معينة في الطبعات القادمة، إن شاء الله تعالى.

(٢) في «ن»: «لا يتعلّق شيء مما بعده به».

على قوله: (بِسْمِ) و(مَالِكِ) و(رَبِّ) و(رُسُلِ) وشبهه، والابتداء بقوله: (الله) و(يَوْمِ الدِّينِ) و(الْعَالَمِينَ) و(السَّمَوَاتِ) و(الله)؛ لأنه إذا وقف على ذلك لم يعلم إلى أي شيء أُضيف، وهذا يسمّى وقف الضرورة؛ لتمكين انقطاع النفس عنده، والجلّة^(١) من القراء وأهل الأداء ينهون عن الوقف على هذا الضرب، وينكرونه، ويستحبون لمن انقطع نفسه عليه أن يرجع إلى ما قبله حتى يصله بما بعده، وغيره يستسمجون الوقف على القبيح؛ لأنّ القارئ يقدر على تفقّده وتجنّبه.

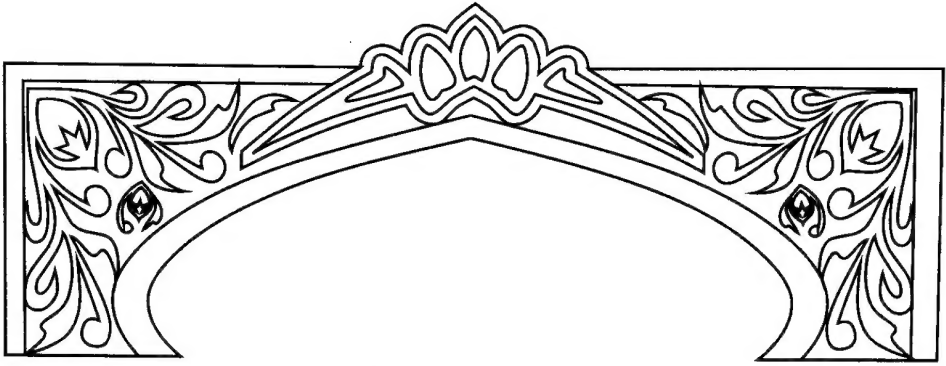
وإذا كان في الآية الشريفة حكمٌ متفقٌ عليه، أو مختلفٌ فيه بين الأئمة الأربعة، وهم: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد - رضي الله عنهم - ذكرته ملخصاً، ولم ألتزم استيعاب الأحكام، بل أذكر المهمّ حسب الإمكان، ولم أتعرض لاختيار غيرهم من الأئمة المتقدمين، وحيث أقول في الحكم: بالاتفاق، فالمراد: اتفاق الأربعة المشار إليهم. وربما ذكرت مذاهبهم في شيء من أصول الدين والفقهاء على سبيل الاختصار في محلّ يناسبه، والله الموفق.

وقد جعلت في أوله قبل الشروع في التفسير عشرة فصول ضممتها فوائد مما يتعلّق بفضائل القرآن العظيم، وما ورد في تفسيره وجمعه وكتابته، وغير ذلك مما يحسن ذكره إن شاء الله تعالى.

والله سبحانه المسؤول أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به بمَنه وكرمه، إنه منان كريم.

* * *

(١) في «ن»: «الجل».



فَصِّلْ فِي ذِكْرِ مَا وَرَدَ فِي فَصَائِلِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَتَعْلِيمِهِ وَتِلَاوَتِهِ وَوَعِيدِ مَنْ قَالَ فِيهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَرَأَى أَنَّ أَحَدًا أُوتِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أُوتِيَ، فَقَدْ اسْتَصْغَرَ مَا عَظَّمَ اللَّهُ»^(١).

وعنه ﷺ أنه قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»^(٢).

وعنه ﷺ أنه قال: «مَنْ اسْتَمَعَ إِلَى آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، كُتِبَ لَهُ حَسَنَةٌ مُضَاعَفَةٌ، وَمَنْ قَرَأَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (ص: ٢٧٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٥٩/٧) - «مجمع الزوائد» للهيتمي، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٥٩٠)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣٩٦/٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢٥/٦٨)، عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - . قال الهيتمي: فيه إسماعيل بن رافع، وهو متروك.

(٢) رواه البخاري (٤٧٣٩)، كتاب: فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، عن عثمان - رضي الله عنه - .

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣٤١/٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٩٨١)، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - .

وعنه عليه السلام أنه قال: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بَغَيْرِ عِلْمٍ، فَلْيَتَّبِعْهُ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ»^(١).

* * *

(١) رواه الترمذي (٢٩٥٠)، كتاب: التفسير، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، وقال: حسن صحيح، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٠٨٤)، والإمام أحمد في «المسند» (٢٣٣/١)، وغيرهم، عن ابن عباس - رضي الله عنهما -.

فَصْلٌ فِي فَضْلِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «لَا يَفْقَهُ الرَّجُلُ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى يَرَى لِلْقُرْآنِ
وُجُوهًا كَثِيرَةً»^(١).

وقال أبو العالية في تفسير قوله - عز وجل -: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] قال: الحكمة: الفهم في القرآن^(٢).

وقال إياس بن معاوية: مثل الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعلمون
تفسيره، كمثلي قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً، وليس عندهم مصباح،
فتداخلتهم روعة^(٣) ولا يذكرون ما في الكتاب، ومثل الذي يعرف التفسير،
كمثلي رجل جاءهم بالمصباح، وقرأوا ما في الكتاب^(٤).

* * *

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف»، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠١٦٣)، لكن
عن أبي الدرداء موقوفاً عليه من قوله.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٩٠/٣).

(٣) «و» سقط من «ن».

(٤) انظر: «تفسير القرطبي» (٢٦/١)، و«تفسير الثعالبي» (١١/١)، و«فتح القدير»
للشوكاني (١٤/١).

فَصْلٌ فِي الْكَلَامِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

التفسيرُ أصلُهُ: الكشفُ والإظهارُ، وهو علمُ نزولِ الآيةِ وشأنِها وقصتها
والأسبابِ التي أنزلتَ فيها، والأقوامَ الذينَ أريدوا بها.

والتأويل: مِنَ الْأَوَّلِ، وهو الرجوعُ، يقال: أَوَّلْتُه فآلَ؛ أي: صرفتُه
فانصرفَ، فتأويلُ الآيةِ: صرفُها إلى معنىٍ تحتملهُ موافقاً لما قبلها أو
ما بعدها.

ويروى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَكَلَّمَ^(١) فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ، فَقَدْ
أَخْطَأَ»^(٢).

* * *

(١) فِي «ن»: «مَنْ تَعْلَمَ».

(٢) رواه أبو داود (٣٦٥٢)، كتاب: العلم، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن
برأيه، وغيره، عن جندب بن عبد الله - رضي الله عنه -.

فَصْلٌ

فِي مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى
سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، فَأَقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ

اختلف العلماء في معنى هذا الحديث، وأكثرهم على أن المراد به: أنزل على سبع لغات؛ أي: فيه عبارة سبع قبائل، بلغة جملتها نزل القرآن، فيعبر عن المعنى فيه مرة بعبارة قريش، ومرة بعبارة هذيل، ومرة بعبارة أسد، ومرة بغير ذلك بحسب الألفاظ والأوجز في اللفظ.

وقد وهم بعض الناس فظن أن المراد بالسبعة أحرف الواردة في الحديث الشريف هي: قراءة الأئمة السبعة المشهورين، وهم: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمره، والكسائي، وهو خطأ؛ فإن أئمة القراءة خلق كثير، ومن جملتهم هؤلاء السبعة، وأول من جمع قراءتهم الأستاذ الرحلة أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد التميمي البغدادي بعد المئة الثالثة، واقتصر عليهم فقط، فظن من لا علم له أن هذه هي السبعة المذكورة في الخبر النبوي لا غير، وليس الأمر كذلك، بل هي لغات للعرب متفرقة في القرآن، مختلفة الألفاظ، متفقة المعاني.

(١) رواه البخاري (٤٧٠٦)، كتاب: فضائل القرآن، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف، ومسلم (٨١٨)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -.

فالقراءات السبع متواترة بالاتفاق، وكذا الثلاث الزائدة عليها على الصحيح، وما لم يتواتر، فليس بقرآن، وهو ما خالف مصحف عثمان - رضي الله عنه -، وتكره قراءة ما صحَّ منه، ولا تصح الصلاة به بالاتفاق، ويجوز عند أبي حنيفة أن يقرأ بالفارسية إذا أدت المعاني على كمالها من غير أن يخرم منها شيئاً، وعنه: لا تجوز القراءة بالفارسية إلا للعاجز عن العربية، وهو قول صاحبيه، وعليه الاعتماد، وعند الثلاثة: لا تجوز بغير العربية، والله أعلم.

ومصحف عثمان أحد الحروف السبعة، وهو قول أئمة السلف - رضي الله عنهم -.

والتواتر لغة: التتابع بمهله، واصطلاحاً: خبر جمع مفيد للعلم.

والآحاد: ما لم يتواتر.

وللراوي شروط منها: الإسلام والعقل والبلوغ والضبط بالاتفاق، وكذا العدالة، وهي: صفة راسخة في النفس تحمل على ملازمة التقوى والمروءة، وترك الكبائر والردائل بلا بدعة مغلظة.

وعن^(١) أبي حنيفة: تُقبل رواية مجهول العدالة، والله أعلم.

* * *

(١) في «ن»: «عند».

فصل في ذكر جمع القرآن وكتابته

كان القرآن في مدة رسول الله ﷺ متفرقاً في صدور الرجال، وقد كتب الناس منه في صُحفٍ، وفي جريدٍ، وفي خَزَفٍ وغير ذلك، فلما تُوفِّي رسول الله ﷺ، وقام بالأمر بعده أحقُّ الناس به أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -، وقاتل الصحابة - رضوان الله عليهم - أهل الردّة، وأصحاب مسيلمة، وقُتِلَ من الصحابة نحو الخمس مئة، أُشير على أبي بكر بجمع^(١) القرآن في مصحفٍ واحدٍ خشيةً أن يذهب بذهاب الصحابة، فتوقّف في ذلك من حيث إنّ النبي ﷺ لم يأمر^(٢) في ذلك بشيء، ثم اجتمع رأيه ورأي الصحابة على ذلك، فأمر زيد بن ثابت - رضي الله عنه - بتتبع القرآن وجمعه، فجمعه في صحفٍ غير مرتّب^(٣) السُّور بعد تعبٍ شديدٍ منه.

وكانت الصحفُ عند أبي بكر رضي الله عنه حتى تُوفِّي، ثم عند عمر - رضي الله عنه - بعده، ثم عند حفصة - رضي الله عنها - في خلافة عثمان - رضي الله عنه -، وانتشرت في خلال ذلك صحفٌ في الآفاق كُتبت عن

(١) في «ن»: «جمع».

(٢) في «ن»: «يأمره».

(٣) في «ن»: «مرتبة».

الصحابة؛ كمصحف ابن مسعود، وما كُتِبَ عن الصحابة بالشام، ومصحف أبي - رضي الله عنه -، وغير ذلك، وكان في ذلك اختلافٌ حسب السبعة الأحرف التي أنزل القرآن عليها.

ولما كان في حدود سنة ثلاثين من الهجرة النبوية^(١) الشريفة في خلافة عثمان - رضي الله عنه - حضر حذيفة بن اليمان فتح أرمينية وأذربيجان، فرأى الناس يختلفون في القرآن، ويقول أحدهم للآخر: قراءتي أصح من قراءتك، فأفزع ذلك، وقدم على عثمان - رضي الله عنه -، وقال: أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة؛ أن أرسلني إلينا بالصُّحف ننسخها، ثم نرُدّها إليك، فأرسلتها إليه، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف، وقال: إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، فكتب منها عدة مصاحف؛ فوجّه بمصحف إلى البصرة، ومصحف إلى الكوفة، ومصحف إلى الشام، وترك مصحفاً بالمدينة، وأمسك لنفسه مصحفاً الذي يقال له: الإمام، ووجّه بمصحف إلى مكة، وبمصحف إلى اليمن، وبمصحف إلى البحرين، وأمر بما سواها من المصاحف أن تحرق - بحاء مهملة -، أو تحرق - بخاء معجمة على معنى، ثم تدفن^(٢).

(١) «النبوية» زيادة من «ن».

(٢) رواه البخاري (٤٧٠٢)، كتاب: فضائل القرآن، باب: جمع القرآن، عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - نحوه.

قال ابن عطية: ورواية الحاء غير منقوطة أحسن^(١).

ولما جمعت المصاحف وعُرضت، نظر فيها عثمان رضي الله عنه، فقال: قد أحسنتم وأجملتم، غير أنا نرى فيها لحناً، وسنقيمه بالسنتنا^(٢).

ووجه ذلك: أنه وجدهم كتبوا حروفاً على خلاف ما اقتضاه اللفظ.

ومنها ما كان على الأصل، ولو تلفظ به لكان لحناً.

ومنها ما كان من طغيان القلم بحيث علم عثمان أنه لا يعرض في مثله ريب، من نحو ما كتبوا: (الرَّبَّوا) بالواو في جميع القرآن، إلا ما في سورة الروم، من قوله: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا﴾ [الروم: ٣٩] وهو في الأصل من ربا يربو، وتظهر الواو في التثنية، فيقال: رَبَّوَان، وكأنه كان في الأصل رَبَّوِ على وزن فَعَلٍ، فكَرِهت الحركة على الواو، وَطُلِبَ منها السكون، فإذا سُكِّنَتْ، التَقَّتْ مع التنوين، وهو ساكن، فتسقط الواو؛ لسكونها وسكون التنوين.

فكان الكاتب حمل ما هو الأصل، فخرجَ عما يطابقه اللفظ، وكذلك: (الصلوة والزكوة) كُتِبَتا بالواو، وهي الأصل، والجمع يُظهر ذلك، إذا قيل: صلوات وزكوات، كأنها كانت في الأصل صَلَوَةٌ وَزَكَوَةٌ، ولكنه لما كُرِهت حركة الواو، وكانت قبلها فتحةً، انقلبت ألفاً، وكذلك (الحيوة) كتبت بالواو، وهي الأصل، ولكنَّ اللفظ المعروف في أهل اللسان يخالف ذلك.

وأسقطت الألف في قوله تعالى: ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ﴾ [البقرة: ٩]، وحُذفت

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/٤٩).

(٢) رواه أبو داود في «المصاحف» (٢/٧٤٥ - الدر المنثور) للسيوطي.

في قوله تعالى: ﴿وَقَلِّبُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئْتَهُ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وكتب الحرفان بغير ألف، ولو قرئ به لكان لحنًا، ثم أثبتت الألف في قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ [التوبة: ٤٧] بزيادة الألف بعد (لا) وكذلك كتب^(١) في بعض المصاحف في سورة النمل: ﴿أَوْ لَا أَذْبَحَنَّهُ﴾ [النمل: ٢١] بزيادة ألفٍ بعد (لا)، ولو قرئ به، لكان لحنًا فاحشًا.

وكتبوا في سورة الكهف: ﴿وَلَا نَقُولَنَّ لِشَايٍ﴾ [الكهف: ٢٣] بألف بين الشين والياء، ولم يكتبوا ذلك في سائر القرآن.

وكتبوا في الأنعام: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤] بياء بعد الألف المهموزة، وفي سائر القرآن بغير ياء.

وكتبوا في النحل: ﴿وَإِنِّي ذِي الْفُرْجِ﴾ [النحل: ٩٠] بياء بعد الألف، وفي الشورى: ﴿أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] بالياء، وفي الأحزاب: ﴿مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣] بغير ياء، وكتبوا في النور: ﴿وَإِنِّي زَكَاةٌ﴾ [النور: ٣٧]، وفي يونس: ﴿مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي﴾ [يونس: ١٥] بياء بعد الألف؛ وذلك كله سبق القلم، أو لعل الكاتب قصد تقوية الهمزة المكسورة بالياء، وليس يحسن ذلك؛ لأنه يشبهه بالإضافة إلى النفس.

وكتبوا (سَمَوَاتٍ) بغير ألف بين الواو والتاء، إلا في موضع واحد في حم السجدة قوله: ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢]، فهذه ونحوها هو اللحن الذي قال عثمان - رضي الله عنه -: سَنُقِيمُهُ بِالسَّنَنِ.

ولا يُظن به أنه رأى لحنًا يُخاف فيه الغلط، ثم تركه في المصحف.

(١) في «ن»: «كتبت».

[وأما الحروف التي كُتِبَ بعضها على خلاف بعضٍ في المصحف] ^(١)،
وهي في الأصل واحدٌ:

فأول ذلك: ﴿يَسْمِ اللَّهَ﴾ كُتِبَ بحذفِ الألفِ التي قبل
السين، وكُتِبَ: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ﴾ [العلق: ١]، و﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ [الأعلى: ١]،
و﴿يَسْأَلُ الْإِسْمُ﴾ [الحجرات: ١١].

و﴿مِنْهُ اسْمُهُ﴾ [آل عمران: ٤٥] بالألف، والأصل في ذلك كله واحدٌ،
وهو: أن يُكْتَبَ بالألف، وإنما حُذِفَتْ من ﴿يَسْمِ اللَّهَ﴾ فقط؛
لأنها أَلِفٌ وصلٍ ساقطةٌ من اللفظ، كَثُرَ استعمالُ الناسِ إياها في صدور
الكتب، وفواتحِ السُّور، وعندَ كلِّ فعلٍ يُبتدأُ فيه من مأكِلٍ أو مشربٍ أو
ملبسٍ أو غيرِ ذلك، فأَمِنُوا أن يجهَلَ القارئُ معناها، فحذفوها إيجازاً، ولو
كُتِبَتْ: باسمِ الله، بالألف، لكانَ صواباً؛ لأنهم لم يحذفوا ألفها لعلَّةٍ موجبةٍ
لحذفها، بل تخفيفاً.

ومما كتب: في سورة يوسف: ﴿لَدَا الْبَابِ﴾ [يوسف: ٢٥] بالألف، وفي
الطول: ﴿لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ [غافر: ١٨] بالياء، وفي مصحف الشام في سورة
البقرة [٢٢١]: ﴿وَلَا أُمَةٌ مُؤْمِنَةٌ﴾ بزيادة ألف، وكتب ﴿أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾
في النور [٣١]، و﴿يَتَأَيُّهُ السَّاحِرُ﴾ في الزخرف [٤٩]، و﴿أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ في
الرحمن [٣١]؛ بغير ألف، وما سواها: ﴿يَا أَيُّهَا﴾ و﴿يَا أَيَّتُهَا﴾ بالألف.

ومن غرائب الهجاء ونوادره: ما كتب في الفرقان: ﴿وَعَتَوُا كَبِيرًا﴾
[الفرقان: ٢١] بغير ألف، وفي سبأ: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْ﴾ [سبأ: ٥] بغير ألف أيضاً،
وفي الحشر: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾ [الحشر: ٩] بواوَيْنِ من غير ألف، وفي آخر

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ن».

عم: ﴿كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبا: ٤٠] بغير ألف، وفي القلم: ﴿يَأَيُّكُمْ أَلْمَفُتُونُ﴾ [القلم: ٦] بياءين، وفي آل عمران: ﴿أَفَأَيْنَ مَاتَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] بالياء، وفي الأنبياء [٣٤]: ﴿أَفَإِنْ مَتَ﴾ بغير ياء، واختلف فيه، وفي يس [١٩]: ﴿أَيْنَ دُكِّرْتُمْ﴾ بغير ياء، وفي التوبة [٣٨]: ﴿أُتَاَقَلَّتُمْ﴾ ونحوه بالألف، وفي البقرة: ﴿فَادَّرَاءُ تُمْ﴾ [البقرة: ٧٢] ليس بين الدال والراء ولا بين الراء والتاء ألف في جميع المصاحف.

وكتب في الحاقة لبيان الحركة: (كِتَابِيَّةٌ، حِسَابِيَّةٌ، مَالِيَّةٌ، سُلْطَانِيَّةٌ)، وفي القارعة: (ما هيه) بإثبات الهاء، واختلف في قوله تعالى: (لَمْ يَسْئَلْنَاهُ) و (فَبِهَدْيِهِمْ اقْتَدِهْ) أن الهاء فيهما لبيان الحركة أو لغير ذلك.

وكتب في سورة النساء: ﴿فَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ﴾ [النساء: ٧٨]، وفي الكهف: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ﴾ [الكهف: ٤٩]، وفي الفرقان: ﴿مَالِ هَذَا الرُّسُولِ﴾ [الفرقان: ٧]، وفي المعارج: ﴿فَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المعارج: ٣٦] كتبت هذه الأربعة الأحرف اللام مع (ما) مقطوعة مما بعدها؛ وسنذكر كل شيء من ذلك في محله عند تفسيره - إن شاء الله تعالى -.

واعلم أن هجاءات المصاحف واختلاف كتابتها أكثر من أن يؤتى عليها كلها، وفيما ذكرته كفاية، وإنما كتبت هذه الحروف بعضها على خلاف بعض، وهي في الأصل واحدة؛ لأن الكتابة بالوجهين فيها كانت جائزة عندهم، فكتبوا بعضها على وجه، وبعضها على وجه آخر، إرادة الجمع بين الوجهين الجائزين فيها في الكتاب عندهم، على أنهم كتبوا أكثرها على الأصل، فالواجب على القراء والعلماء والكتّاب والأدباء: أن يعرفوا هذا الرسم في خط المصحف، ويتبعوه، ولا يجاوزوه؛ فإنه رسم زيد بن ثابت - رضي الله عنه -، وكان أمين رسول الله ﷺ، وكتب وحيه، وعلم من هذا

العلم بدعوة النبي ﷺ ما لم يعلمه غيره، فما كتب شيئاً من ذلك، إلا لعلّة لطيفة، وحكمة بليغة.

وفي خط المصحف عجائب وغرائب تحيرت فيها عقول العلماء، وعجزت عنها آراء الرجال البلغاء، والله الموفق.

وأجمعت الأمة المعصومة من الخطأ على ما تضمنته هذه المصاحف المنسوخة بأمر عثمان - رضي الله عنه -، وترك ما خالفها من زيادة ونقص، وإبدال كلمة بأخرى؛ مما كان مأذوناً فيه توسعة عليهم، ولم يثبت عندهم ثبوتاً مستفيضاً أنه من القرآن.

وجردت هذه المصاحف جميعها من النقط والشكل؛ ليحتملها ما صحّ نقله، وثبتت تلاوته عن النبي ﷺ، إذ كان الاعتماد على اللفظ لا على مجرد الخط، وكان من جملة الأحرف السبعة التي أشار إليها النبي ﷺ بقوله: «أُنزِلَ القرآن على سبعة أحرف»^(١)، فكتبت المصاحف على اللفظ الذي استقرّ عليه في العرضة الأخيرة عن رسول الله ﷺ، فإن النبي ﷺ كان يعرض القرآن على جبريل - عليه السلام - في كل عام مرة، فعرض عليه القرآن في العام الذي قبض فيه رسول الله ﷺ مرتين، ونسخ منه، وغير فيه في العرضة الأخيرة، واستقرّ منه ما كتب في المصاحف العثمانية.

قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: لو وليت في المصاحف ما ولي عثمان، لفعلت كما فعل^(٢).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٤٢/٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٤٣/٣٩ - ٢٤٤).

وقرأ أهل كل مِصر بما في مُصحفهم، وتلقَّوا ما فيه عن الصحابة الذين تلقَّوه من في رسول الله ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن حجر - رحمه الله - في «شرح البخاري»: «واختلف هل رتب القرآن الصحابة بتوقيف عن النبي ﷺ، أو باجتهاد منهم؟ قال القاضي أبو بكر: الصحيح: الثاني، وأما ترتيب الآيات، فتوقيفي بلا خلاف، وحكاه ابن عطية في «تفسيره»، والله أعلم^(١).

* * *

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٢/٢٥٧).

فصل في ذكر شكل القرآن ونقطه

قد تقدم أن المصاحف العثمانية كانت مجردة من النقط والشكل، فلم يكن فيها إعرابٌ، وسبب ترك الإعراب فيها - والله أعلم - : استغناؤهم عنه ؛ فإنَّ القوم كانوا عرباً لا يعرفون اللَّحْنَ، ولم يكن في زمنهم نحوٌ.

وأول مَنْ وضع النحوَ، وجعل الإعرابَ في المصاحف : أبو الأسود الدؤليُّ التابعيُّ البصريُّ، حُكي أنه سمع قارئاً يقرأ : ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيٌّ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة : ٢] بكسر اللام، فأعظمه ذلك، وقال : عزَّ وجهُ الله أن يبرأ من رسوله^(١). ثم جعل الإعرابَ في المصاحف، وكانت علاماته نقطاً بصيغ لونه غير لونِ المداد، وهو الحُمْرة؛ فكانت علامة الفتحة نقطة فوق الحرف، وعلامة الضمة نقطة في نفس الحرف، وعلامة الكسرة نقطة تحت الحرف، وعلامة الغنة نقطتان.

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٩٢/٢٥)، والقراءة التي سمعها أبو الأسود، هي قراءة الحسن، كما في «الكشاف» للزمخشري (١٧٣/٢)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (٦/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/٣)، وقد وجَّهها بعض الأئمة بأنَّ الواو للقسَم، ومع كل التوجيهات فهي غاية في الشذوذ.

ثم أحدث الخليل بن أحمد الفراهيدي بعد هذا هذه الصور: الشدة، والمدّة، والهمزة، وعلامة السكون، وعلامة الوصل، ونقل الإعراب من صورة النقط إلى ما هو عليه الآن.

وأما النقط: فأول من وضعها بالمصحف نصر بن عاصم الليثي بأمر الحجاج بن يوسف أمير العراق وخراسان، وسببه: أن الناس كانوا يقرؤون في مصحف عثمان نيقاً وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك بن مروان، ثم كثرت التصحيف، وانتشر بالعراق، فأمر الحجاج: أن يضعوا لهذه الأحرف المشتبهة علامات، فقام بذلك نصر المذكور؛ فوضع النقط أفراداً وأزواجاً، وخالف بين أماكنها، وكان يقال له: نصر الحروف.

وأول ما أحدثوا النقط على الياء والتاء، وقالوا: لا بأس به، هو نور له، ثم أحدثوا نقطاً عند منتهى الآي، ثم أحدثوا الفواتح والخواتم.

فأبو الأسود الدؤلي هو السابق إلى إعرابه، والمبتدي به، ثم نصر بن عاصم وضع النقط بعده، ثم الخليل بن أحمد نقل الإعراب إلى هذه الصور.

وكان مع استعمال النقط والشكل، يقع التصحيف، فالتمسوا حيلة، فلم يقدروا فيها إلا على الأخذ من أفواه الرجال بالتلقين؛ فانتدب جهابذة علماء الأمة، وصناديد الأئمة، وبالغوا في الاجتهاد، وجمعوا الحروف والقراءات، حتى بينوا الصواب، وأزالوا الإشكال - رضي الله عنهم -.

* * *



فصل في ذكر عدد سور القرآن وآياته وحروفه وكلماته وأحزابه ونقطه

أما عدد سور القرآن، فهو: مئة وأربع عشرة سورة.
وعدد آياته ستة آلاف ومئتان وست وثلاثون آية.
وعدد حروفه: ثلاث مئة ألف حرفٍ وأحد وعشرون ألف حرفٍ،
ومئتان وخمسون حرفاً.

روي ذلك كله عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ،
ذكره الإمام أبو عبد الله^(١) أحمد بن أبي عمر الأندرائي في كتابه
«الإيضاح في علم القراءات» في الباب العاشر. وعدد كلماته في قول
عطاء بن يسار - رحمه الله -: سبع وسبعون ألف كلمة، وأربع مئة كلمة،
وتسع وثلاثون كلمة^(٢).

وأحزابه: ستون حزباً.

قيل: إن الحجاج لما جدَّ في نَقْط المصحف، زاد تحزيبه، وأمر الحسن
ويحيى بن يعمر بذلك.

(١) لفظ الجلالة سقط من «ت».

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٨/١).

وأما وضعُ الأعشارِ فيه ، فحُكي : أن المأمون العباسيَّ أمر بذلك .
وقيل : إن الحجاج فعل ذلك .

وهذا الذي ذكرته من العدد جملة ، وأما عددُ أي كل سورة وحروفها
وكلمها ، فسأذكره عند أولها - إن شاء الله تعالى - .

وأما عددُ كلِّ حرفٍ من حروف المعجم :
فالألف : ثمانية وأربعون ألفاً ، وتسع مئة وأربعون .
والباء : أحدَ عشرَ ألفاً ، وأربع مئة وعشرون .
والتاء : عشرة آلاف ، وأربع مئة وثمانون .
والتاء : ألفٌ ، وأربع مئة وأربعة .
والجيم : ثلاثة آلاف ، وثلاث مئة واثني عشر .
والحاء : أربعة آلاف ، ومئة وثمانية وثلاثون .
والخاء : ألفان ، وخمس مئة وثلاثة .
والدال : خمسة آلاف ، وتسع مئة ، وثمانية وتسعون .
والذال : أربعة آلاف ، وتسع مئة ، وأربعة وثلاثون .
والراء : ألفان ، ومئتان ، وستة .
والزاي : ألفٌ ، وست مئة وثمانون .
والسين : خمسة آلاف ، وسبع مئة ، وتسعة وتسعون .
والشين : ألفان ، ومئة ، وخمسة عشر .
والصاد : ألفان ، وسبع مئة ، وثمانون .

والضاد: ألفٌ، وثمانِي مئة، واثنان وثمانون.

والطاء: ألف، ومئتان وأربعة.

والظاء: ثمانِي مئة، واثنان وأربعون.

والعين: تسعة آلاف، وأربع مئة وتسعون.

والغين: ألفٌ ومئتان، وتسعة وعشرون.

والفاء: تسعة آلاف، وثمانِي مئة، وثلاثة عشر.

والقاف: ثمانية آلاف، وتسعة وتسعون.

والكاف: ثمانية آلاف، واثنان وعشرون.

واللام: ثلاثة وثلاثون ألفاً، وتسع مئة، واثنان وعشرون.

والميم: ثمانية وعشرون ألفاً، وتسع مئة، واثنان وعشرون.

والنون: تسعة وعشرون ألفاً، وتسع مئة، وخمسة وخمسون.

والواو: خمسة وعشرون ألفاً، وخمس مئة وستة.

والهاء: سبعة عشر ألفاً.

ولامُ الألف: أربعة عشر ألفاً، وسبع مئة، وسبعة.

والياء: خمسة وعشرون ألفاً، وسبع مئة، وخمسة عشر.

قال ذلك الإمام نجم الدين النسفي، ونظمه الشيخ شمس الدين القباقي

- رحمه الله تعالى -.

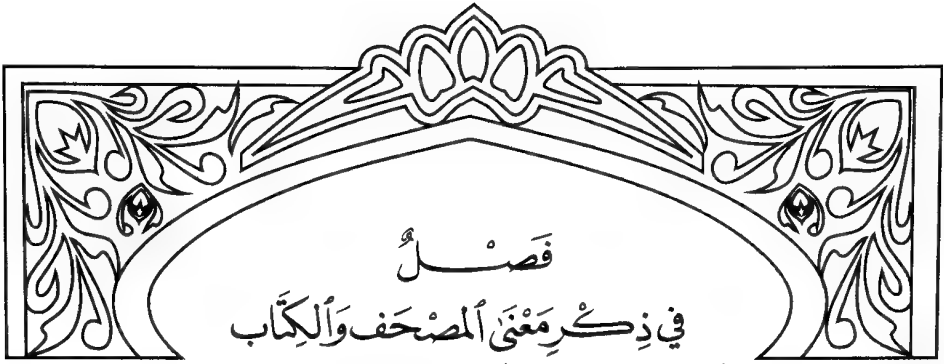
وعدد نقطه مئة ألفٍ، وستون ألفاً، وثلاثة آلاف، وسبع مئة، وتسع

وعشرون نقطة؛ قاله القباقي في نظمه.

وقد اختلف علماء القراءة في عدد الآي والكلمات والحروف، وليس ذلك باختلاف على الحقيقة، وإن كان اختلافاً في اللفظ.

قال بعض أهل العلم: يصرف الأمل فيما اختلفوا فيه من الحروف والكلمات، إلا أن بعضهم كان يعدُّ كلَّ حرفٍ مشدِّدٍ حرفين، وبعضهم لم يفعل ذلك؛ فصار عددُ حروفٍ من لم يفعل ذلك أقلَّ، وعدَّ بعضهم (في خَلَقَ) كلمتين، و(في السموات) كلمتين؛ كأنه يقول: (في) كلمة، و(خلق) كلمة، وبعضهم لم يفعل ذلك، بل عدَّ (في خلق) و(في السموات) وما أشبه ذلك، كلمة كلمة؛ فصار عدد من فعل ذلك أقلَّ من عدد كلمات من لم يفعل ذلك، وإلى هذا يُصرف اختلافُهم في عدد الحروف والكلمات، والله أعلم.

* * *



فَصْلٌ فِي ذِكْرِ مَعْنَى الْمُصْحَفِ وَالْكِتَابِ وَالْقُرْآنِ وَالسُّورِ وَالآيَاتِ وَالْكَلِمَةِ وَالْحَرْفِ

* أما معنى المصحف^(١): فهو مُفْعَل، من أَصْحَفَ؛ أي: جُمع فيه الصحفُ، واحِدُهَا صحيفة؛ كمدينة ومدن. وروي أن أبا بكر - رضي الله عنه - لما أمر بجمع القرآن، وكتبوه، استشار الناس في اسمه، فسماه مُصْحَفًا، وذلك لمعنيين:

أحدهما: أن القرآن كان في صُحف متفرقة، فلما جمعه في موضع واحد، سموه مُصْحَفًا، أي: جُمع فيه الصحف.

والآخر: أنه جُمع فيه علمُ الصحف الأولى، وأنه يَعْدِلُهَا، وهي: التوراة والإنجيل والزبور.

ومعنى الصحيفة: القطعة من جلدٍ أو رقٍّ، وجمعُها صُحف، فلما ضُمَّ بعضها إلى بعض، سمي مصحفًا.

* وأما الكتابُ: فهو ضَمُّ الحروف الدالَّة على معنى بعضها إلى بعض، لأنه مصدرٌ كَتَبَ، ومعناه: جمع، ومنه قوله - عز وجل -: ﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [المجادلة: ٢٢]؛ أي: جمع، حتى آمنوا بجميع ما يجب عليهم.

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ن».

وقد سمي الله تعالى القرآن كتاباً، فقال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢].

* وأما القرآن: فهو اسمُ الكتاب الذي أنزله الله تعالى على محمدٍ عبده ورسوله ﷺ خاصةً، لم يُسمَ به شيءٌ غيره من الكتب؛ كما أن التوراة اسمُ الكتاب المنزل على موسى، والإنجيل اسم الكتاب المنزل على عيسى، والزبور اسم الكتاب المنزل على داود - صلوات الله عليهم أجمعين -.

وهو: منزلٌ غيرُ مخلوقٍ بإجماع أهل السُنَّة، واتفاق الأئمة، معجزٌ، مُتَعَبَّدٌ بتلاوته، مكتوبٌ في مصاحفنا، محفوظٌ في صدورنا، مقروءٌ بالسُّنَنِ.

وإنما سمي قرآناً؛ لأنه: جَمَعَ السُّورَ وَضَمَّهَا، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ﴾ [القيامة: ١٧] أي: تأليفه، وضمَّ بعضه إلى بعضٍ ﴿إِذَا قُرَأَتْهُ فَانْتَبَهِ﴾ [القيامة: ١٨] أي: إذا أَلْفَنَاهُ وَضَمَمْنَاهُ، فخذُه واعملْ به.

وسمي أيضاً: الفرقان؛ لأنه: فرقَ بينَ الحقِّ والباطل، والمؤمن والكافر، فَرَقاً وَفُرْقَاناً.

وسمي: الذكر؛ لأنه: ذَكَرَ النَّاسَ آخِرَتَهُمْ وَإِلَهُهُمْ، وما كانوا في غفلة عنه.

* وأما السُّورَةُ من القرآن: فهي اسمٌ لآيٍ جُمِعت، وقُرئت بعضها إلى بعض؛ حتى تَمَّتْ، وَكَمُلَتْ، وَبَلَغَتْ في الطول المقدار الذي أراد الله تعالى، ثم فصلَ بينها وبين سورةٍ أخرى بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ولا تكونُ السُّورَةُ إِلَّا معروفَ المبتدأ معروفَ المنتهى.

* وأما الآية: ففيها خلاف، فقل:

معنى الآية من القرآن: كلامٌ متصلٌ إلى انقطاعه، وانقطاع معناه فصلاً
فصلاً.

وقيل: معنى الآية: العلامة؛ كقوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً﴾ [مريم: ١٠]
أي: علامة.

وإنما سميت الآية آية؛ لأنها: علامة تدل على نفسها بانفصالها عن الآية
التي تقدّمتها، أو تأخّرت عنها، فكلُّ آيةٍ كأنها علامةٌ.

* وأما الكلمة: فهي الواحدة من جملة الكلام، وجمعها كَلِمٌ، وتجمعُ
أيضاً على: كَلِمَاتٍ، فالكلام: اسمُ جنسٍ يقعُ على القليل والكثير من جنسه.

* وأما الحَرْفُ: فهو الواحد من حروف المعجم، سمي: حرفاً؛ لقلته
ودقته، ولذلك قيل: حرف الشيء لطرفه؛ لأنه آخره، والقليل منه،
والحرف أيضاً: القراءةُ بكمالها، والحرفُ أيضاً: اللغةُ، ومنه قول
النبي ﷺ: «أُنزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ»^(١) أي: على سبعِ لغاتٍ للعرب
متفرقة في القرآن مختلفة الألفاظ متفقة المعاني.

وقولهم لمكتسب الرجل وطُعْمَتِه: الحِرْفَةُ، كأنها الجهة التي انحرف
إليها عما سواها.

والتحريفُ في الكلام: تغييرُه عن معناه، كأنه ميلٌ به إلى غيره،
وانحرفَ عنه، كما قال الله تعالى في صفة اليهود: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ
مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ١٣]؛ أي: يغيرون معاني التوراة بالتَّمْويهاتِ، والله
أعلم.

* * *

(١) تقدم تخريجه (ص: ١٠).

فَصْلٌ وَأَمَّا كَيْفَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟

فإن كلام الله يقرأ: بالتحقيق، وبالحدُر، وبالتدوير الذي هو التوسُّط بين الحالتين، مُرْتَلًّا مُجَوِّدًا بِلُحُونِ الْعَرَبِ وَأَصْوَاتِهَا، وتحسين اللفظ والصوت بحسب الاستطاعة.

* أما التحقيق: فهو المبالغة في الإتيان بالشيء على حَقِّه من غير زيادة فيه ولا نقصان، وهو نوعٌ من الترتيل، وهذا النوع من القراءة - وهو التحقيق - مذهب حمزة، وورث، والكسائي، وأبي بكر، وحفص، وهشام، وابن ذكوان.

وفرق بعضهم بين الترتيل والتحقيق؛ إذ التحقيق يكون للرياضة والتعليم والتمرين، وأما الترتيلُ يكون للتدبُّر والتفكُّر والاستنباط، فكل تحقيق ترتيلٌ، وليس كل ترتيلٍ تحقيقاً.

* وأما الحدُر: فهو عبارة عن إدراج القراءة وسرعتها، وتخفيفها بالقصر والتسكين والاختلاس، والبدل، والإدغام الكبير، وتخفيف الهمز، ونحو ذلك مما صَحَّتْ به الرواية، ووردت به القراءة، وهو ضدُّ التحقيق، وهذا النوع مذهب ابن كثير، وأبي جعفر، وأبي عمرو، ويعقوب، وقالون، وورث، ورؤي عن حفص، وهشام.

* وأما التَّدْوِيرُ: فهو التَّوَشُّطُ بين المقامين من التحقيق والحدَر، وهو مذهبُ سائر القراء، وصَحَّحَ عن جميع الأئمة، وهو المختارُ عن أكثر أهل الأَداء.

* وأما التَّرْتِيلُ: فهو مصدرٌ من رَتَّلَ فلانٌ كلامَه؛ إذا أتبعَ بعضَه بعضاً على مُكْثٍ وتَفَهُّمٍ، من غير عَجَلَةٍ، وهو الذي نَزَلَ به القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان: ٣٢].

وعن علي - رضي الله عنه -: أنه سُئِلَ عن قوله تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤]، فقال: الترتيلُ تجويدُ الحروف، ومعرفةُ الوقف^(١).

والصحيحُ بلِ الصوابُ: أن الترتيلَ والتدبُّرَ مع قلةِ القراءة، أفضلُ من السرعةِ مع كثرتها.

* والتَّجْوِيدُ: هو حليةُ التلاوةِ وزينةُ القراءة، وهو: إعطاءُ الحروفِ حقوقَها، وترتيبُها مراتبَها، وردُّ الحرفِ إلى مخرجه وأصله، من غير إسرافٍ ولا تعسُّفٍ، ولا إفراطٍ ولا تكلفٍ.

قال الحبرُ العلامةُ أبو زكريا النووي - رضي الله عنه -: وإذا ابتدأَ القارئُ بقراءة شخصٍ من السبعة، فينبغي أن لا يزالَ على تلك القراءة، ما دام للكلامِ ارتباطٌ، فإذا انقضَى ارتباطُه، فله أن يقرأ بقراءةٍ آخرَ من السبعة، والأوَّلَى دوائمه على تلك القراءة في ذلك المجلس^(٢).

وقال الأستاذ أبو إسحقَ الجعبريُّ - رحمه الله -: والتركيبُ ممتنعٌ في

(١) انظر: «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي (٢٢١).

(٢) انظر: «التبيان في آداب حملة القرآن» للنووي (ص: ٣٧).

كلمة، وفي كلمتين؛ إن تعلق أحدهما بالآخر، وإلا كُره.

وأجازها أكثر الأئمة مطلقاً، وجعل خطأ مانعي ذلك مخففاً.

قال الحافظ العلامة ابن الجزري - رحمه الله -: والصواب في ذلك عندنا^(١) التفصيل، والعدول بالتوسط إلى سواء السبيل، فنقول: إن كانت إحدى القراءتين مترتبة على الأخرى، فالمنع من ذلك منع تحريم؛ كمن يقرأ: ﴿فَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ٣٧] بالرفع فيهما، أو بالنصب، أخذاً رفع (آدم) من قراءة غير ابن كثير، ورفع (كلمات) من قراءة ابن كثير^(٢)، ونحو: (وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا) بالتشديد مع الرفع، أو عكس ذلك^(٣)، ونحو: (وَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ) وشبهه مما يُرَكَّب بما لا تجيزه العربية، ولا يصح في اللغة، وأما ما لم يكن كذلك، فإننا نفرق فيه بين مقام الرواية وغيرها:

فإن قرأ بذلك على سبيل الرواية، فإنه لا يجوز أيضاً، من حيث إنه كذب في الرواية، وتخليط على أهل هذه الدراية.

(١) في «ن» و«ظ»: «عندنا في ذلك».

(٢) قراءة ابن كثير: ﴿فَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾، والباقون برفع آدم، انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٣)، و«تفسير البغوي» (١/٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١١) و«معجم القراءات القرآنية» (١/٤٨)، ووجه البغوي - رحمه الله - قراءة ابن كثير بقوله: يعني: جاءت الكلمات آدم من ربه، وكانت سبب توبته.

(٣) انظر: توجيه المؤلف لقراءات هذه الآية، في تفسير سورة آل عمران، الآية:

وإن لم يكن على سبيل النقل والرواية، بل على سبيل القراءة والتلاوة، فإنه جائزٌ صحيحٌ مقبولٌ، لا منع منه، ولا حَظَرٌ، وإن كنا نَعِيبُ على أئمة القراءات والعارفين باختلاف الروايات، من وجه تساوي العلماء بالعوام، لا من وجه أن ذلك مكروهٌ أو حرام، إذ كلُّ من عند الله نزلَ به الرُّوحُ الأمينُ على قلبِ سيِّدِ المرسلين؛ تخفيفاً عن الأمة، وتهويناً على أهلِ هذه الملة، فلو أوجَبْنَا عليهم قراءة كلِّ روايةٍ على حِدةٍ، لَشَقَّ عليهم تمييزُ القراءة الواحدة، وانعكسَ المقصودُ من التخفيفِ، وعادَ الأمرُ بالسهولةِ إلى التكليف، وقد تقدَّم لفظُ الحديثِ الشريفِ: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ»^(١).

* * *

(١) تقدم تخريجه (ص: ١٠).

فصل في الاستعاذة

قال الله تعالى ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].
معناه: إذا أردت أن تقرأ، وشرعت، فأوقع الماضي موقع المستقبل؛
لثبوته.

وأجمع العلماء على أن قول القارئ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ليس
بآية من كتاب الله تعالى، وأجمعوا على استحسان ذلك، والتزامه في كل
قراءة في غير صلاة.

ويجهرُ بها عند جميع القراء قبل القراءة.

وروي عن حمزة إخفاؤها قبلُ حيث قرأ.

وروي عنه الإخفاء في غير الفاتحة.

وروي عن قالون إخفاء الاستعاذة في جميع القرآن.

ويجوز الوقف على الاستعاذة، ووصلها بما بعدها، بِسْمَلَةٍ كَانَ
أَوْغَيْرَهَا مِنَ الْقُرْآنِ.

ومعنى (أعوذ بالله) أي: أستجيرُ وأمتنعُ بعظمة الله (من الشيطان) هو
إبليس، فيَعَالُ مِنْ شَظَنَ؛ أي: بَعُدَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ. (الرَّجِيمُ)؛ أي:

المرجوم بالشُّهْبِ عندَ استراقِ السَّمْعِ، فصار المعنى: أَسْتَجِيرُ وَأَمْتَنُ بِعِظَةِ اللَّهِ مِنَ الْمَرْجُومِ الْمَطْرُودِ عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

والمختارُ لجميعِ القراءِ من حيثُ الروايةُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، كما ورد في سورة النحل، وهو المأخوذ به عند عامة الفقهاء؛ كالشافعي، وأبي حنيفة، وأحمد بن حنبل^(١)، وغيرهم.

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قرأتُ على رسول الله ﷺ: أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ، فقالَ لي: «قُلْ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ؛ فَإِنِّي قَرَأْتُ عَلَى جِبْرِيلَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ، فَقَالَ لِي: قُلْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ؛ ثُمَّ قَالَ لِي جِبْرِيلُ: هَكَذَا أَخَذْتُ عَنْ مِيكَائِيلَ، وَأَخَذَ مِيكَائِيلُ عَنِ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ» رواه الحافظُ ابنُ الجوزيِّ في «النشر»^(٢).

والمختار عند أئمة القراءة الجهرُ بها كما تقدَّم، ومحلُّها قبلَ القراءة إجماعاً، وهي مستحبةٌ في القراءة بكل حال، في الصلاة وخارجها ندباً، وهي في الصلاة للقراءة لا للصلاة، وهو مذهب الأئمة الثلاثة، وأما الإمام مالك، فإنه قال: لا يُستعاذ إلا في قيام رمضان فقط، والله أعلم.

* * *

(١) «بن حنبل» ساقطة من «ش» و«ت».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجوزي ().

الكَلَامُ فِي تَفْسِيرِ الْبَسْمَلَةِ

رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مِفْتَاحُ الْقُرْآنِ التَّسْمِيَةُ»^(١).

وقال ابنُ عباس - رضي الله عنهما - «إِجْلَالُ الْقُرْآنِ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ومِفْتَاحُ الْقُرْآنِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»^(٢).
ورُوي أن أولَ ما جرى به القلمُ في اللوحِ المحفوظ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

وروي أن رجلاً قال بحضرة النبي ﷺ: تَعَسَّ الشَّيْطَانُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «لَا تَقُلْ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ يَتَعَاطَمُ عِنْدَهُ، وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؛ فَإِنَّهُ يَصْغُرُ حَتَّى يَصِيرَ أَقْلٌ مِنْ ذُبَابٍ»^(٣).

وقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الباءُ في محلِّ نصبٍ؛ لأنها في موضعِ

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، لكن روى الخطيب البغدادي في كتابه «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢٦٤/١) عن أبي جعفر محمد بن علي معضلاً: «بسم الله الرحمن الرحيم مفتاح كل كتاب»، وأورده السيوطي في «الجامع الصغير»، والمنائوي في «فيض القدير» (١٩٢/٣).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) رواه أبو داود (٤٩٨٢)، كتاب: الأدب، باب: (٨٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٣٨٨)، والإمام أحمد في «المسند» (٥٩/٥)، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

مفعول به، تقديره: أبدأ بسم الله، أو: بدأت بسم الله، أو في محل رفع؛ لأنها في موضع خبر الابتداء، تقديره: مفتاح كلامي بسم الله، وكُسرت باء الجر ليناسب لفظها عملها، وحذفت الألف من بسم الله في الخط؛ طلباً للخفة؛ لكثرة استعمالها، وطولت الباء ليكون افتتاح كتاب الله بحرفٍ معظم.

والاسمُ: هو المسمّى وعينه وذاته، وقيل: الاسمُ غيرُ المسمّى، وإنما هو يدلُّ على المسمّى، وهو مشتق من السمو، وهو العلو.

واللهُ: هو اسمٌ تفرّد به الباري سبحانه، قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لِمَ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وهو اسمُ الله الأعظم، ومعناه: السيد.

واختلف في اشتقاقه، فقال جماعة من العلماء: هو غيرُ مشتق؛ كأسماء الأعلام للعباد مثل زيد وعمر.

و^(١) قال آخرون: هو مشتق من أله إلهة؛ أي عبد عبادة، معناه: أنه المستحق للعبادة دون غيره.

﴿الرَّحْمَنُ﴾ صفةٌ مبالغة من الرحمة، معناها: أنه انتهى إلى غاية الرحمة، وهي صفةٌ تختصُّ بالله، ولا تطلق على البشر.

﴿الرَّحِيمُ﴾ عظيم الرحمة، والرحمةُ إرادةُ الخيرِ لأهله، وأصلها الرقة والتعطّف.

واختلف العلماء والقراء فيها، فقليل: هي آية من الفاتحة فقط، وهو مذهب أهل مكة، والكوفة، ومن وافقهم.

وقيل: آية من الفاتحة، ومن أول كل سورة سوى براءة، وهو الصحيح من مذهب الإمام الشافعي ومن وافقه، فيجهر بها في صلاة الجهر.

(١) «و» زيادة من «ن» و«ظ».

وقيل: آيةٌ فاصلةٌ بين كلِّ سورتين سوى براءة، فيكره ابتداءها بها، وهو مذهب الإمامين أبي حنيفة، وأحمد بن حنبل، ومن وافقهما، فتقرأ سرّاً في صلاة الجهر.

وقيل: ليست بآية، ولا بعض آية من الفاتحة، ولا من غيرها، وإنما كتبت للتميُّن والتبرُّك، وهو مذهب الإمام مالك، ومن وافقه، ونقل جماعة عن أبي حنيفة كمذهب مالك، وعند مالك تكره قراءتها في صلاة الفرض، مع إجماعهم على أنها بعض آية من سورة النمل، وأن بعضها آية من الفاتحة. وليست من القرآن أول براءة؛ لنزولها بالقتال الذي لا تناسبه^(١) البسملة المناسبة للرحمة والرفق.

وأما مذاهبُ القراء فيها، فقد أجمعَ القراء على إثبات البسملةِ أولَ الفاتحة، سواء وُصلت بسورة الناس قبلها، أو ابتُدئَ بها، واختلفوا فيها. فأما ابنُ كثير، وعاصمٌ، والكسائيُّ، فإنهم يعتقدونها آية من الفاتحة، ومن كل سورة، وافقهم حمزةٌ على الفاتحة فقط، وصحَّ عن نافع أنه قال: أشهد أنها من السبع المثاني، وأن الله أنزلها.

وقيل: إن أبا عمرو، وقالون، ومن تابعَ الثاني من قراء المدينة لا يعتقدونها آية من الفاتحة، ولم يرضَ ابنُ الجزريّ هذا القول.

وأما الفصلُ بالبسملة بين كلِّ سورتين، فاختلف القراء في ذلك، ففصلَ بها بين كلِّ سورتين إلا بين الأنفالِ وبراءة: ابنُ كثير، وعاصمٌ، والكسائيُّ، وأبو جعفر، وقالون، والأصبهانيُّ عن ورش.

(١) في «ت»: «لا يناسبه».

ووصلَ بينَ كلِّ سورتين: حمزة، وكان يقول: القرآنُ عندي كسورةٍ واحدةٍ، فإذا قرأتُ: بسم الله الرحمن الرحيم في أول فاتحة الكتاب، أجزأني.

قال ابن الجزري: كلامُ حمزة يُحمل على حالة الوصل، لا الابتداء؛ لإجماع أهل النقل على ذلك، والله أعلم.

واختلف عن خلف في اختياره بين الوصل والسكت.

واختلف أيضاً عن الباقيين وهم: أبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب، وورشٌ من طريق الأزرق بين الوصل والسكت والبسملة.

ثم إن الآخذين بالوصل لمن ذكر من حمزة، أو أبي عمرو، أو ابن عامر، أو يعقوب، أو ورش، اختار كثيرٌ منهم لهم السكت بين المدثر والقيامة، وبين الانفطار والمطففين، وبين الفجر والبلد، وبين العصر والهمزة، وكذا الآخذون بالسكت لمن ذكر من أبي عمرو، وابن عامر، ويعقوب وورش، اختار كثيرٌ منهم لهم البسملة في هذه الأربعة مواضع، وإنما اختاروا ذلك؛ لبشاعة وقوع مثل ذلك إذا قيل: ﴿وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ﴾ [المدثر: ٥٦] ﴿لَا﴾ [القيامة: ١]، أو ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٣٠] ﴿لَا﴾ [البلد: ١]، أو ﴿وَلِلَّهِ﴾ [الإنفطار: ١٩] ﴿وَيْلٌ﴾ [المطففين: ١]، أو ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣] ﴿وَيْلٌ﴾ [الهمزة: ١] من غير فصل، ففصلوا بالبسملة للسكوت، وبالسكت للواصل، ولم يمكنهم البسملة له؛ لأنه ثبت عنه النصُّ بعدمها، فلو بَسَمَلُوا، لصادموا النصَّ بالاختيار، وذلك لا يجوز.

والأكثر على عدم التفرقة بين الأربعة وغيرها، وهو اختيار المحققين.

والمشترطُ في السكت أن يكون من دون تنفُّس .

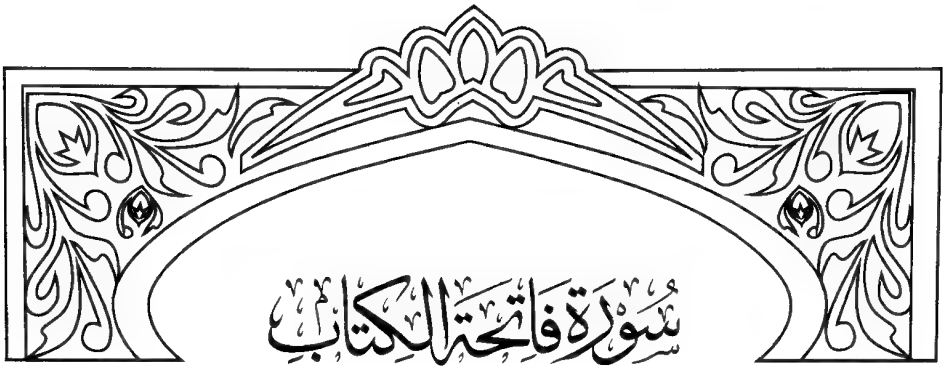
ولا خلاف في حذفها بين الأنفال وبراءة، وكذلك في الابتداء ببراءة،
وأما الابتداء بالآي وسط براءة، ففيه خلاف، ولا يجوز القطع عليها إذا
وصلت بآخر السورة، ويجوز بين الأنفال وبراءة كلُّ من الوصل والسكتِ
والوقف لجميع القراء إذا لم يقطع على آخر الأنفال .

فالقطعُ: هو قطعُ القراءة رأساً، فهو كالانتهاء .

والوقف: هو قطعُ الصوت على الكلمة زمناً يتنفس فيه عادة بنية
استئناف القراءة .

والسكتُ: هو قطعُ الصوت زمناً دون زمن الوقف عادةً من غير تنفس،
والله أعلم .

* * *



مكية، وإيها سبعُ آيات، وحروفُها بالبسملةِ والتشديداتِ لمن قرأ: (مَالِكٍ) مئةٌ وستٌ وخمسون حرفاً، وكلُّها تسعٌ وعشرون كلمةً، وبغيرِ البسملةِ حروفُها مئةٌ وأربعةٌ وثلاثون، وكلُّها خمسٌ وعشرون.

فمن قال إنها سبعُ آيات غيرِ البسملةِ جعلَ ﴿الْعَلَمِينَ﴾ ١ آية ﴿الرَّحِيمِ﴾ ٢ آية ﴿الَّذِينَ﴾ ٣ آية ﴿نَسْتَعِينُ﴾ ٤ آية ﴿الْمُسْتَقِيمَ﴾ ٥ آية ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ٦ آية ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ٧ آية.

ومن قال: إن البسملةَ منها، وعدّها من الآيات السَّبعِ، جعلَ البسملةَ آيةً، ولم يجعلْ ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

وليست فيها سبعةٌ أحرفٍ من حروفِ المعجم، وهي الـثاءُ والجيمُ والخاءُ والزايُّ والشينُ والظَّاءُ والفاءُ.

وفي بعض الآثار: أن الحكمةَ فيها أن الـثاءَ من الثُّبور، والجيمَ من الجحيم، والخاءَ من الخوف، والزايَ من الزُّقُوم، والشينَ من الشَّقَاوَةِ، والظَّاءَ من الظُّلْمَةِ، والفاءَ من الفِراق، ومعتقِدُ هذه السورةِ وقارئُها على التعظيمِ والحرمةِ آمِنٌ من هذه الأشياءِ السبعةِ.

وأما أسماء الفاتحة، فهي^(١) ثلاثة أسماء معروفة:

الأول: فاتحة الكتاب؛ لأن القرآن افتُتِحَ بها.

والثاني: أمُّ القرآن؛ لأن القرآن يُبَدَأُ منها؛ كقولهم لمكة: أمُّ القرى، ولتقدّمها في المصحف، وفي الصلاة.

والثالث: السبعُ المثاني؛ لأنها سبعُ آيات بإجماع، ولأنها تثنى في الصلاة.

واختلف الأئمة فيها، هل هي فرض في الصلاة؟ فقال أبو حنيفة: ليست فرضاً، فلو قرأ آية في كل ركعة، صحّت صلاته، وقال صاحباه: ثلاثُ آياتٍ قصار، أو آيةٌ طويلة تعدّلها؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَقْرءُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠] من غير تقييد، وفرضُ القراءة عندهم إنما هو في الركعتين الأوليين من الرباعية، وأما في الآخرين، فسنّة، فلو سبّح أو سكتَ فيهما، أجزأه.

وقال الأئمة الثلاثة: هي ركنٌ في كلّ ركعة من الرباعية وغيرها، وتبطل الصلاة بتركها عمداً أو سهواً؛ لقوله ﷺ: «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب»^(٢)، والله أعلم.

* * *

(١) في «ن» و«ظ»: «فلها».

(٢) رواه البخاري (٧٢٣)، كتاب: صفة الصلاة، باب: وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها، في الحضر والسفر، ومسلم (٣٩٤)، كتاب: الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه -.

التفسير:

﴿يَسْمِ اللَّهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾ ﴿١﴾.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾.

[٢] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ مبتدأ وخبرٌ، كأنه يخبر أن الله هو المستحقُّ للحمدِ، وهو بمعنى الأمرِ؛ أي: احمده، والحمدُ: هو الثناءُ الكاملُ، وهو أعمُّ من الشكر؛ لأن الشكرَ إنما يكون على فعلٍ جميلٍ يُسَدِّى إلى الشاكر، والحمدُ المجرَّدُ هو ثناءُ بصفاتِ المحمود من غير أن يُسَدِّى شيئاً، واللام في (لله) للاستحقاق، كما يقال: الدارُ لزيدٍ، وهو اسمٌ خاصُّ لله - عز وجل -، وتقدم تفسيرُهُ مستوفى في البسملة، واتفق القراء على تغليظ اللام من اسمِ الله تعالى إذا كان بعدَ فتحةٍ أو ضمةٍ نحو: (شَهِدَ اللهُ) و(رُسِّلَ اللهُ)، فإن كان قبلها كسرةٌ، فلا خلافَ في ترقيقها، نحو (بِسْمِ اللهِ) و(الْحَمْدُ لِلَّهِ)، فإن فصلَ هذا الاسمُ مما قبله، وابتدئَ به، فتحت همزةُ الوصل، وغُلِظَت اللامُ من أجل الفتحة.

﴿رَبِّ﴾ أي: مالك، كما يقال لمالكِ الدار: ربُّ الدار، ويقالُ لربِّ الشيء إذا ملكه، ويكونُ بمعنى التربية والإصلاح؛ فالله سبحانه مالكُ العالمين ومُرَبِّيهم، ولا يقال للمخلوق: هو الربُّ، معرفاً، إنما يقال: ربُّ كذا، مضافاً؛ لأن الألف واللام للتعميم، وهو لا يملك الكل.

﴿الْعَلَمِينَ﴾ أصنافِ الخلائق، فكلُّ موجودٍ سوى الله يقال لجملته :
عالمٌ، واشتقاقه من العلم، وهو العلامة، سُمُّوا به، لظهور أثر الصنعة
فيهم، وعلمهم وجودُ الصانع - جلَّت قدرته -.

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

[٣] ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ تقدم تفسيرهما في البسملة.

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

[٤] ﴿مَلِكِ﴾ قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف (مَالِكِ) بألف بعد
الميم، والمعنى أن الله تعالى يملك ذلك اليوم أن يأتي به كما يملك سائر
الأيام، لكن خصَّصه بالذكر؛ لعظمه في جمعه وحوادثه. وقرأ الباقر
(مَلِكِ) بغير ألف^(١). المعنى: أنه ملكُ الملوك في ذلك اليوم، لا مُلْكَ
لغيره. وقرأ أبو عمرو (الرَّحِيمِ مَلِكِ) بإدغام الميم في الميم^(٢)، وكذلك
يدغم كلَّ حرفين، سواءً كانا مثليين، أم جنسين، أم متقاربين، إذا لم ينون
الأول نحو: ﴿وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥]، أو يشدد نحو: ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ﴾
[الأعراف: ١٤٢]، أو تاء متكلم نحو: ﴿كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبا: ٤٠]، أو مخاطبٍ نحو:

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٠٤)، و«الحُجَّة» لابن خالويه (ص: ٦٢)،
و«التيسير» للداني (ص: ١٨)، و«تفسير البغوي» (٥/١)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٧/١).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٥/١)، «معجم القراءات القرآنية» (٦/١).

﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ﴾ [يونس: ٩٩]، وشبهه، وسيُذكر كلُّ شيءٍ في محله إن شاء الله تعالى.

واختلف الآخذون بوجه الإدغام فيما إذا كان الأول مجزوماً، وذلك في قوله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، و﴿يَخْلُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩]، و﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا﴾ [غافر: ٢٨]، وكذلك اختلفوا في ﴿إِلَّا لَوْطٍ﴾ [القمر: ٣٤]، وفي الواو إذا وقع قبلها ضمة، نحو: ﴿هُوَ وَالَّذِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، و﴿هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [آل عمران: ١٨]، واتفقوا على إظهار ﴿يَحْزُنُكَ كُفْرَهُ﴾ [لقمان: ٢٣] من أجل الإخفاء قبل. ومعنى المثليين: ما اتفقا مخرجاً وصفة، نحو: ﴿فَأَضْرِبْ بِهِ﴾ [ص: ٤٤]، و﴿رَبِّحْتَ يَحْزَنُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦]، وشبهه. والجنسين: ما اتفقا مخرجاً، واختلفا صفة، نحو: ﴿قَالَتْ طَائِفَةٌ﴾ [الأحزاب: ١٣]، ﴿أَثْقَلْتُ دَعْوًا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، وشبهه. والمتقاربين: ما تقاربا مخرجاً أو صفة، نحو: ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، و﴿خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾ [النور: ٤٥]، وشبهه.

﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي: الجزاء، ومنه قولهم: كما تدين تدان.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

[٥] ﴿إِيَّاكَ﴾ كلمة ضمير خُصَّتْ بالإضافة إلى المضمَر، وتستعمل مقدماً على الفعل، فيقال: إِيَّاكَ أعني، ولا تُستعمل مؤخراً، ولا منفصلاً، فيقال: ما عنيتُ إلا إِيَّاكَ، وتقديمها اهتماماً، وشأن العرب تقديم الأهم.

﴿نَعْبُدُ﴾ أي: نوحِّدك ونُطيعك خاضعين، والعبادة: الطاعة مع التذلل والخضوع، وسُمِّي العبد عبداً؛ لذَّته وانقياده.

﴿وَإِيَّاكَ﴾ كرَّرها تأكيداً للاختصاص.

﴿ نَسْتَعِينُ ﴾ نطلبُ منك المعونة على عبادتك، وعلى جميع أمورنا، تلخيصه: نخضُّك بالعبادة وطلب المعونة، وهذا كله تبرُّ من الأصنام.

﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾.

[٦] ﴿ أَهْدِنَا ﴾ أي: أرشدنا، وهذا الدعاء من المؤمنين - مع كونهم على الهداية - بمعنى التثبيت، وبمعنى طلب مزيد الهداية.

﴿ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ الطريق الواضح، وهو الإسلام، أو القرآن. قرأ قبلُ عن ابن كثير، ورويسُ عن يعقوبَ (السُّرَّاطَ) حيثُ وقع، وكيف أتى: بالسین، وهو أصلُ اللفظة، وأشمَّ الصادَ الزايَ حيث وقع: خلفُ عن حمزة، وافقه في (الصُّرَّاطَ) هنا خاصة: خلاَّدُ عن حمزة^(١)، وكلُّها لغات صحيحة، والاختيارُ الصادُ عند أكثر القراء؛ لموافقة المصحف.

﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾.

[٧] ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ ﴾ الذين مَنَنْتَ.

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٨٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٠٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٦٢)، و«تفسير البغوي» (٦/١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١١/١)، ووقع في «تفسير البغوي»: عن أويس، بدل: عن رويس. والذي ذكر قراءة الإشمام (الزراط) أبو زرعة، وابن مجاهد، والبغوي.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ عليهم بالهداية والتوفيق، وهم كلُّ من ثبته الله على الإيمان من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين. قرأ حمزة ويعقوب (عَلَيْهِمْ) بضم الهاء حيث وقع، والباقون بكسرها، ومنهم: ابن كثير، وأبو جعفر، وقالون بخلاف عنه (عَلَيْهِمْ) بضم الميم وصلتها بواو حالة الوصل، والباقون بإسكان الميم في الحالين^(١)، فمن ضمَّ الهاء، ردّها إلى الأصل؛ لأنها مضمومة عند الانفراد، ومن كسرَ لأجل الياء الساكنة، والياء أختُ الكسرة.

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: غير صراط الذين غضبت عليهم، وهم اليهود، والغضبُ من الله تغييرُ النعمة، وغضبُ الله لا يلحقُ عَصاةَ المؤمنين، إنما يلحق الكافرين.

﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ أي: وغير الضالين عن الهدى، وهم النصارى، والضلالُ: الذهابُ عن الصواب في الدين؛ لأن الله تعالى حكم على اليهود بالغضب، فقال: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠]، وحكم على النصارى بالضلالة، فقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ [المائدة: ٧٧].

ويسن للقارئ أن يقول بعد فراغه من قراءة الفاتحة: آمين مفصلاً عنها

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/١٢٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٠٨)، و«المحتسب» لابن جني (١/٤٣-٤٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩)، و«تفسير البغوي» (١/٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٢).

بسكته، وهو مخفّف، ويجوز ممدوداً ومقصوراً، ومعناه: اللهم اسمع واستجب.

روى أبو هريرة وغيره عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا قال الإمام: ولا الضَّالِّينَ، فقولوا: آمين، فإنَّ الملائكة تقولُ في السماء: آمين، فمن وافق قوله قولَ الملائكة، غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبه»^(١).

وليس التَّأمينُ من القرآن بالاتفاق، بدليل أنه لم يثبت بالمصاحف. واختلف الأئمة في الجهر به في الصلاة الجهرية، فعند أبي حنيفة: يخفيه الإمامُ والمأموم، وعند مالك: لا يؤمِّنُ الإمامُ في الجهرية، وهو الأفضل عنده، وروي عنه: يؤمِّنُ ويُسرُّ كالمأموم والمنفرد، وعند الشافعي وأحمد: يجهرُ به الإمامُ والمأموم، والله أعلم.

* * *

(١) رواه البخاري (٤٢٠٥)، كتاب: التفسير، باب: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، ومسلم (٤١٠)، كتاب: الصلاة، باب: التسميع والتحميد والتأمين، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.



مدنية، وآيها مئتان وثمانون وستُ آيات، وحروفها خمسةٌ وعشرون ألفَ حرفٍ وخمسةٌ مئةٌ حرف، وكلمها ستةٌ آلاف ومئةٌ وإحدى وعشرون كلمةً.

ويقال لسورة البقرة: فُسْطَاطُ الْقُرْآن، وذلك^(١) لعظمها وبهائها، وما تضمنت من الأحكام والمواعظ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْمِ﴾

[١] ﴿الْمِ﴾ اختلف في سائر حروف الهجاء من فواتح السور، فقليل: هي من المتشابه الذي انفرد الله بعلمه، وهي سرُّ القرآن، ولا يجب أن يُتكلَّم فيها، ولكن نؤمن بها، وتُمرُّ كما جاءت، وقال الجمهور من العلماء: بل يجب أن يُتكلَّم فيها، وتُلتمس الفوائد التي تحتها، والمعاني التي تخرج عليها، واختلفوا فيها، فقليل: هي اسم الله الأعظم، وقيل: أسماءُ أقسم الله بها، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: معنى (الم):

(١) في «ت»: «ولذلك».

أنا الله أعلم، ومحل ذلك من الإعراب: أن (الم): ابتداء، و(ذلك) خبره، و(الكتاب) صلة خبره؛ كقولك: زيدٌ ذلك الرجل لا تشكَّ^(١) فيه. قرأ أبو جعفر بتقطيع الحروف، يسكت على^(٢) كل حرف سكتة يسيرة في جميع أحرف الهجاء من فواتح السور، ويلزم من سكتة إظهار المدغم منها، والمخفي وقطع همزة الوصل بعدها.

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٢﴾

[٢] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: هذا.

﴿الْكِتَابُ﴾ هو القرآن؛ لأن الله سبحانه كان قد وعد نبيه ﷺ أن يُنزل عليه كتاباً لا يمحوه الماء، فلما أنزل القرآن، قال: هذا ذلك الكتاب الذي وعدتك بإنزاله، و(هذا) للتقريب، و(ذلك) للتبعيد، وأصل الكتاب الضم والجمع، فسمي الكتاب كتاباً لأنه جمعُ حرفٍ إلى حرف.

﴿لَا رَيْبَ﴾ أي: لا شك.

﴿فِيهِ﴾ أنه من عند الله تعالى، وأنه الحق والصدق. قرأ حمزة: (لا ريب) بالمد بحيث لا يبلغ الإشباع، وكذلك ﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧١] ﴿لَا مَرَدَّ لَهُ﴾ [الرعد: ١١] ﴿لَا جَرَمَ﴾ [هود: ٢٢] ﴿لَا خَيْرَ﴾ [النساء: ١١٤] ﴿لَا ضَرِيرٌ﴾^(٣) [الشعراء: ٥٠]، وابن كثير يصلُّ هاء الكناية الساكن قبلها بياء في الوصل إن كانت مكسورة، وبواو إن كانت مضمومة نحو (فيهي هُدًى)

(١) في «ت»: «لا شك».

(٢) في «ت»: «في».

(٣) انظر: «الإتقان» للسيوطي (١/ ١١٥)، النوع الثاني والثلاثون، المد والقصر.

و(شرو هو بضمن) ونحوه حيث وقع^(١). وقرأ أبو عمرو: (فيه هدى) بإدغام الهاء في الهاء^(٢).

﴿هُدًى﴾ أي: هو رشد وبيان لأهل التقوى، والهدى: ما يهتدي به الإنسان.

﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي: للمؤمنين وهم من يتقي الشرك والكبائر والفواحش، وهو مأخوذ من الاتقاء، وأصله الحجز بين شيئين، والوقاية: فرط الصيانة، وتخصيص المتقين بالذكر تشريف^(٣) لهم.

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾

[٣] ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: يصدقون، وحقيقة الإيمان: لغة: التصديق بما غاب، وشرعاً: عند أبي حنيفة: تصديق القلب، وعمل باللسان، وعند الثلاثة: عقد بالجنان، ونطق باللسان، وعمل بالأركان، فدخل كل الطاعات، ويأتي ذكر الخلاف في زيادته ونقصانه، والاستثناء فيه في سورة

(١) انظر: قراءة ابن كثير (فيهي) في «إعراب القرآن» للنحاس (١/١٢٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٣٠)، و«الغيث» للصفاطي (ص: ٩٩)، و«تفسير البغوي» (١/١٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ١٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٧).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/١٢٩)، و«الحجة» لأبي زرة (ص: ٩٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» (ص: ١٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٨).

(٣) في جميع النسخ «تشريفاً»، وظاهره خطأ، لأنها خبر للمبتدأ «تخصيص».

الفتح إن شاء الله تعالى. قرأ أبو عمرو، وورش عن نافع، وأبو جعفر: (يومنون) حيث وقع بواو ساكنة بغير همز، والآخرون يهمزونه^(١).

﴿بِالْغَيْبِ﴾ هو مصدر، وضع موضع الاسم، ف قيل للغائب: غيب، كما قيل للعادل: عدل، والغيب ما كان مُغَيَّباً عن العيون؛ المعنى: يؤمنون بما غاب عنهم مما أخبر الله عنه.

﴿وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ أي: يديمونها، ويحافظون عليها في مواقيتها بحدودها وأركانها وهيئاتها، والمراد بها الصلوات الخمس. والصلاة في اللغة: الدعاء. قرأ ورش عن نافع (الصَّلَاة) بتغليظ اللام حيث وقع^(٢).

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ أي: أعطيناهم، والرزق: اسم لكل ما يُتَنَفَعُ به، حتى الولد والعبد، وأصله في اللغة الحظُّ والنصيب. قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وقالون بخلافٍ عنه: (رزقناهمو) بواو بعد الميم.

﴿يُفْقَهُونَ﴾ يُخرجون عن أيديهم ما فيها في طاعة الله، وأصل الإنفاق: الإخراج عن اليد والملك، فهذه الآية في المؤمنين من مشركي العرب.

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٨٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٣٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٧٠)، و«تفسير البغوي» (١/١٣، ١٦١٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي: (ص: ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٨/١).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٨/١).

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.

[٤] ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني: القرآن.

﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ من التوراة والإنجيل وسائر الكتب المنزلة على الأنبياء - عليهم السلام - . قرأ ابن كثير، وأبو جعفر: بقصر المد المنفصل حيث وقع^(١)، واختلف عن قالون، وورش، وأبي عمرو، ويعقوب، وهشام، وحفص، فروي عنهم القصر، والباقون يطولونه، وأما المتصل، فاتفق جمهور القراء على مده قدرأ واحداً مشبعاً من غير إفحاش، وذهب آخرون إلى تفاضل مراتبه، فأطولهم مدّاً في نوعي المتصل والمنفصل: ورش وحمزة، ودونهما: عاصم، ودونه: ابن عامر، والكسائي وخلف لنفسه، ودونهم: قالون، والدُّوري عن أبي عمرو، ويعقوب، وأقلُّهم مدّاً: ابن كثير وأبو جعفر، والتفاوت بينهم لا يكاد ينضبط، والمد: هو زيادة المطّ في حروف المدّ، وهي الألف مطلقاً، والواو الساكنة المضمومة ما قبلها، والياء الساكنة المكسورة ما قبلها، فالمتصل أن تكون الهمزة مع حرف المد في كلمة واحدة؛ نحو: (أُولَئِكَ) و(شاء الله)، وشبهه، والمنفصل أن تكون الهمزة أول كلمة وحرف المد آخر كلمة أخرى، نحو: (بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ)، و(يا أيُّها)، و(قَالُوا آمَنَّا)، ونحو ذلك، والقصر: هو ترك تلك الزيادة، وهذه الآية في المؤمنين من أهل الكتاب.

﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أي: وبالدار الآخرة، وسميت بالآخرة؛

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٨٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٣٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٨-١٩).

لتأخرها عن الدار الأولى؛ كما سميت الدنيا دنيا لدنوِّها من الخلق الأول. قرأ ورشٌ عن نافع: (وبالآخرة) بنقل حركة الهمز إلى الساكن قبله، وترقيق الراء حيث وقع^(١)، وحمزةٌ يسكت في لام التعريف حيث أتت، نحو (الأَرْض) و(الآخِرَة) سكتةً من دون تنقُّس، وإذا وقف له النقل بخلاف عنه^(٢)، ويسكت رويس على ذلك دون سكتِهِ. وقرأ الكسائي (وبالآخرة) بالإمالة حيث وقف على هاء التأنيث^(٣)، وقيل للكسائي: إنك تُميل ما قبل هاء التأنيث، فقال: هذا طباع العربية.

﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يستيقنون أنها كائنة، من الإيقان، وهو العلمُ الحاصلُ، وهو طمأنينة القلب على حقيقة الشيء.

﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

[٥] ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: أهل هذه الصفة، و(أولاءٍ) كلمةٌ معناها الكناية عن جماعة نحو: هم، والكاف للخطاب كما في حرف ذلك.

﴿عَلَى هُدًى﴾ أي: على رشد وبيان وبصيرة.

﴿مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الناجون والفائزون، فازوا بالجنة،

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٧٥)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٤١/١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٩/١).

(٢) انظر: «الكشف» لمكي (٢٣٢-٢٣٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٩/١).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٩/١).

ونجوا من النار، ويكون الفلاح بمعنى البقاء؛ أي: الباقون في النعيم، وأصل الفلاح: القطعُ والشقُّ، ومنه سمي الزَّراعُ فلاحاً؛ لأنه يشق الأرض، فهم المقطوعُ لهم بالخير في الدنيا والآخرة. روي عن يعقوبَ الوقفُ بالهاء على النون المفتوحة نحو (العالمين)، و(الذين)، و(يؤمنون)^(١)، و(ينفقون)، و(المفلحون)، وشبهه، حيث وقع^(٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [٦].

[٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: مشركي العرب، أو اليهود، والكفر: هو الجحود، وأصله، من الستر، ومنه سمي الليل كافراً؛ لأنه يستر الأشياء بظلمته، وسمي الزَّراعُ كافراً؛ لأنه يستر الحبَّ بالتراب، والكافرُ يستر الحقَّ بجحوده، والكفرُ على أربعة أنواع: كفرُ إنكار، وهو ألا يعرف الله أصلاً، ولا يعترف به، وكفر جحود، وهو: أن يعرف الله بقلبه، ولا يقر بلسانه؛ كإبليس، وكفر عناد: أن يعرف الله بقلبه، ويعترف بلسانه، ولا يدين به؛ كأبي طالب، وكفر نفاق، وهو: أن يقر باللسان، ولا يعتقد بالقلب.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: متساوٍ عندهم، وقد تقدم في الفاتحة مذهب يعقوبَ في ضمِّ هاء (عَلَيْهِمْ)، وكذلك يضم كل هاء وقعت بعد ياء ساكنة، نحو: (إِلَيْهِمْ)، و(لَدَيْهِمْ) و(عَلَيْهِمَا)، و(إِلَيْهِمَا)، و(فِيهِمَا)، و(عَلَيْهِنَّ)،

(١) في «ت»: «والذين يؤمنون».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدبياطي (ص: ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٨/١).

و(إِيْهْن)، و(فِيْهْن)، و(أَبِيْهْم)، و(صِيَاصِيْهْم)، و(بَجْتِيْهْم)، و(تَرْمِيْهْم)،
و(مَا نَرِيْهْم)، و(بَيْنَ أَيْدِيْهْم)، وشبه ذلك، وافقه حمزة في (عَلِيْهْم)
و(إِلَيْهْم)، و(لَدِيْهْم) فقط، وتقدم^(١) مذهب ابن كثير وأبو جعفر وقالون في
صلة ميم الجمع بواو في اللفظ حيث وقع، وافق ورش على الصلة عند همز
القطع لمن وصل الميم في نحو (عليهمو) (أنذرتهمو أم لم)، وشبهه حيث
وقع.

﴿أَنْذَرْتَهُمْ﴾ أعلمتهم محذراً، والإنذار: إعلامٌ مع تخويف وتحذير.
قرأ أبو عمرو وابن كثير وأبو جعفر وقالون عن نافع، ورؤيس عن يعقوب
(أنذرتهم) بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية بين الهمزة والألف،
وأبو عمرو وقالون وأبو جعفر يفصلون بين الهمزتين بألف، وورش يبدها
ألفاً خالصةً، ورؤي عنه التسهيل بينَ بينَ. وقرأ الباكون، وهم الكوفيون،
وابن ذكوان، وروحٌ بتحقيق الهمزتين^(٢)، من غير فصل بينهما كل القرآن.
واختلف عن هشام في الفصل مع تحقيق الهمزتين، واختلف عنه أيضاً في
تسهيل الثانية بينَ بينَ وتحقيقها، وزعم بعضهم أن من قلب الهمزة الثانية
ألفاً على أحد الوجهين لورش لاحقٌ؛ لجمعه بين ساكنين على غير حدّه.
قال الكواشي: وفي زعمه نظراً، ثم يبيّن وجه القراءة بذلك، وجواز الجمع

(١) انظر: (ص: ٢٣) من هذا الكتاب.

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٣٤)، و«الحجة» لأبي زرة (ص: ٨٦)،
و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٣٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٦٥)،
و«الغيث» للصفارسي (ص: ٧٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٧)، و«التيسير»
للداني (ص: ٣١-٣٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٨)،
و«معجم القراءات القرآنية» (١١/ ٢١).

بين ساكنين، وملخصه أنه يجوز الجمع بين ساكنين مطلقاً إذا صحَّ نقله، وقد صحَّ، ومتى اجتمعت همزتان في كلمةٍ الثانية ساكنةً، والأولى متحركةً بأية حركة كانت، فأجمع القراء أن الأولى محققة، والثانية مسهلة تُبدل واواً إذا انضم ما قبلها، وألفاً إذا انفتح، وياء إذا انكسر؛ كآدم وأوتي وإيمان.

﴿أَمْ لَمْ نُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ المعنى: إن الذين كفروا مستوٍ لديهم إنذارك وعدمه، والألف في قوله (ءأنذرتهم) ألفُ التسوية؛ لأنها ليست كالاستفهام، بل المستفهم والمستفهم مستويان في علم ذلك، وهذه الآية في أقوام حَقَّتْ عليهم كلمةُ الشقاوة في سابق علم الله.

ثم ذكر سبب تركهم الإيمان فقال:

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[٧] ﴿خَتَمَ اللَّهُ﴾ أي: طبع الله.

﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ فلا تعي خيراً، ولا تفهمه، وحقيقة الختم: الاستيثاق من الشيء، ومنه الختم على الباب.

﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ أي: على موضع^(١) سمعهم، فلا يسمعون الحق، ولا ينتفعون به، وأراد: على أسماعهم؛ كما قال: على قلوبهم.

﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ﴾ وهذا ابتداء كلام.

﴿غِشْوَةً﴾ أي: غطاء، فلا يرون الحق. قرأ أبو عمرو، وورش عن

(١) في «ت»: «مواضع».

نافع، والدوريُّ عن الكسائي (أبصارهم) و(ديارهم) وشبهه بالإمالة حيث وقع^(١)، والباقون بالفتح، فالفتح بلغة أهل الحجاز، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسدٍ وقيس، والفتح عبارة عن فتح القارئ فيه بلفظ الحرف، وهو فيما بعده ألف أظهر، والإمالة: أن ينحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: في الآخرة، والعذاب: كل ما يُعنى به الإنسان ويشقُّ عليه. قرأ حمزة برواية خلف (غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ) بإدغام التنوين بغير غنة^(٢).

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيَوْمَ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾

[٨] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ نزلت في المنافقين: عبد الله بن أبي ابن سلول، وسلول أمُّه، وبها يُعرف، وحارث بن عمرو، وعمر بن زيد، ومُعَتَّب بن قُشير، وجدُّ بن قيس، وأصحابهم؛ حيث أظهروا كلمة الإسلام ليسلموا من النبي وأصحابه، واعتقدوا خلافها، وأكثرهم من اليهود^(٣). والناس: جمعُ إنسان سمي به؛ لأنه عهد إليه فنسي كما قال

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٨٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٦٦)، و«تفسير البغوي» (١/١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٢)، حيث ذكرت عن أبي عمرو والكسائي.

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٤).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١/١١٦)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/٤٢)، و«الدر =

تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسَىٰ﴾ [طه: ١١٥]. قرأ أبو عمرو والكسائي (وَمِنَ النَّاسِ) بالإمالة حيث وقع هذا الاسم مجروراً في جميع القرآن^(١). وقرأ خلف عن حمزة، والدوري عن الكسائي (مَنْ يَقُول) بإدغام النون بغير غنة.

﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: بيوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ نظراً إلى معناها؛ لأن (مَنْ) لفظ مفرد للعقلاء يعلم الواحد والجمع، والذكر والأنثى.

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾

[٩] ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ أي: يخالفون الله، أصل الخَدْع في اللغة: الإخفاء، ومنه المَخْدَعُ للبيت الذي يُخْفَى فيه المتاع، فالمخادع هو الذي يُظهر خلاف ما يُضمّر، والخدع من الله تعالى في قوله: ﴿وَهُوَ خَدِعَهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، أي: يُظهر لهم، ويُعْجَلُ لهم من النعيم في الدنيا خلاف ما يُغَيَّبُ عنهم من عذاب الآخرة.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: ويخادعون المؤمنين بقولهم إذا رأوهم: آمنا، وهم غير مؤمنين.

﴿وَمَا يُخَادِعُونَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: (وَمَا يُخَادِعُونَ)

= المنثور للسيوطي (١/٧٣).

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٤).

بالألف مع ضمّ الياء وفتح الخاء وكسر الدال، على موافقة الكلمة الأولى.
وقرأ الباكون: (وَمَا يَخْدَعُونَ) بغير ألف مع فتح الياء والدال وإسكان
الهاء^(١).

﴿إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ لأن خدعهم أنفسهم لا يعدّوهم. وقال بعض أهل
اللغة: يقال: خادَع: إذا لم يبلغ مرادَه، وخَدَعَ: إذا بلغ مرادَه، فلما لم ينفذ
خداعهم فيما قصدوه، كان مخادعةً، فلما وقع ضررٌ فعلِهم على أنفسهم،
كان في حقّ أنفسهم خداعاً، وتفسيره: فلا ينفذ خداعهم فيمن قصدوه،
فكأنهم خدعوا أنفسهم؛ كما يقال: فلانٌ سخرَ بفلانٍ، وما سخرَ إلا بنفسه،
والنفسُ: ذات الشيء وحقيقته.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ الشعور: علمٌ حسنٌ؛ أي: لا يعلمون أنهم يخدعون
أنفسهم، وأن وبال خداعهم يعودُ عليهم.

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا
يَكْذِبُونَ﴾.

[١٠] ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شكٌ ونفاق، والمرضُ في اللغة: العلة،

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٨٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٣٩)،
و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٦٨)، و«الكشف» لمكي (١/٢٢٤-٢٢٧)،
و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٨٢)، و«تفسير البغوي» (١/١٩)، و«التيسير»
للداني (ص: ٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٠٧)،
و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية»
(١/٢٥)، قال البغوي عن قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو: وجعلوه من
المفاعلة التي تختص بالواحد.

سمي الشك في الدين مرضاً؛ لأنه يُضعف الدين؛ كالمرض يضعف البدن.

﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ أي: أمدّهم الله بمرض آخر تنمية لمرضهم؛ لأن الآيات كانت تنزل تترأى آية بعد آية، فكلما^(١) نزلت آية، فكفروا بها، ازدادوا شكاً ونفاقاً. قرأ حمزة، وابن ذكوان: (فَزَادَهُمُ) بالإمالة، والباقون بالفتح^(٢).

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: مؤلم.

﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ أي: بتكذيبهم الله ورسوله في السرّ. قرأ أهل الكوفة: (يَكْذِبُونَ) بفتح الياء والتخفيف؛ أي: بكذبهم إذ قالوا: آمنا، وهم غير مؤمنين، والكذب: إخبار بما لم يقع. وقرأ الباقر: بضم الياء والتشديد على المعنى الأول^(٣).

(١) في «ت»: «فلما».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٨٨)، و«المحتسب» لابن جني (٤٧/١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٦٨)، و«تفسير البغوي» (١٩/١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٦/١).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٨٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٤١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٦)، و«الكشف» لمكي (٢٢٧/١)، و«الغيث» للصفارسي (ص: ٨٣)، و«تفسير البغوي» (١٩/١)، و«التيسير» للبداني (ص: ٣٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٠٨-٢٠٧/٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٦/١).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ ﴿١١﴾ .

[١١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ يعني: قال المؤمنون للمنافقين أو لليهود. قرأ الكسائي، وهشام، ورويس: (قِيلَ، وَغِيضَ، وَجِيءَ، وَحِيلَ، وَسِيقَ، وَسِيءَ، وَسِيئَتْ) بإشمام الضم كسر أو إثلهن، وافقهم ابن ذكوان في (حِيلَ، وَسِيءَ، وَسِيئَتْ)، ووافقهم المدنيان في (سِيءَ وَسِيئَتْ) فقط. وقرأ الباقون بإخلاص الكسر^(١).

﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالكفر وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن، والفساد: خروج الشيء عن حال الاستقامة.

﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ يقولون هذا القول كذباً؛ كقولهم: آمنا وهم كاذبون.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿١٢﴾ .

[١٢] ﴿أَلَا﴾ كلمة تنبيه يُنبه بها المخاطب.

﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ أنفسهم بالكفر، والناس بالتعويق عن الإيمان.

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٨٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٤١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٦٩)، و«الكشف» لمكي (٢٣٢-٢٢٩/١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ٨٣)، و«تفسير البغوي» (٢٠/١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٠٨/٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٧/١).

﴿وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يعلمون أنهم مفسدون؛ لأنهم يظنون أن الذي هم عليه من إبطان الكفر حق صلاح.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٣).

[١٣] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: المنافقين واليهود:

﴿ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾ عبد الله بن سلام وغيره من مؤمني أهل الكتاب.

﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾ أي: الجهال، وهذا القول كانوا يُظهرونه فيما بينهم، لا عند المؤمنين، فأخبر الله نبيه والمؤمنين بذلك، وقال ردّاً عليهم:

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لا يدرون أنهم كذلك، والسفيه: خفيف العقل، رقيق الحلم، من قولهم: ثوبٌ سفيهٌ؛ أي: رقيق. قرأ الكوفيون وابنُ عامرٍ، وروح: (السُّفَهَاءُ أَلَا) بتحقيق الهمزتين، والباقون: بتحقيق الأولى، وتسهيل الثانية، وهي أن تُبدل واواً محضةً، وما ذكر من تسهيل إحدى^(١) الهمزتين إنما هو في حالة الوصل، فإذا وقفت على الكلمة الأولى، أو^(٢) بدأت بالثانية، حَقَّقَتِ الهمز^(٣) في ذلك لجميع القراء^(٤).

(١) في «ت»: «أحد».

(٢) في «ن»: «و».

(٣) في «ن»: «الهمزة».

(٤) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/١٣٩)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ٨٤)، =

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [١٤].

[١٤] ﴿ وَإِذَا لَقُوا ﴾ يعني : هؤلاء المنافقين .

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ أي : المهاجرين والأنصار .

﴿ قَالُوا ءَامَنَّا ﴾ كإيمانكم .

﴿ وَإِذَا خَلَوْا ﴾ رجعوا .

﴿ إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ ﴾ أي : رؤسائهم وكهنتهم ، والشیطان : المتمرد العاتي ؛ أي : الطويل الجسم من الجن والإنس ومن كل شيء .

﴿ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ أي : على دينكم .

﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ ساخرون بمحمد وأصحابه بما نُظهر من الإسلام . قرأ أبو جعفر : (مُسْتَهْزُونَ ، وَمُتَكُون) وشبهه حيث وقع بترك الهمزة^(١) .

﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [١٥].

[١٥] ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ أي : يجازيهم جزاء استهزائهم ، وهو أن يُفتح

= و«تفسير البغوي» (١/٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للذمياطي (ص : ١٢٩)،

و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٧٨-٢٨).

(١) انظر : «الغيث» للصفاسي (ص : ٨٦)، و«تفسير البغوي» (١/٢١)، و«إملاء

ما من به الرحمن» للعكبري (١/١٢)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١/٦٩)،

و«إتحاف فضلاء البشر» للذمياطي (ص : ١٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية»

(١/٢٩).

لهم بابٌ من الجنة، فإذا انتهوا إليه، سُدَّ عنهم، ورُدُّوا إلى النار.

﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ يُطِيلُ مدةَ غِيَّتِهِمْ، والمدُّ والإمدادُ واحدٌ، وأصله الزيادةُ، إلا أن المدَّ أكثرُ ما يأتي في الشرِّ، قال الله تعالى: ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنْ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٩]، والإمدادُ في الخير، قال الله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ [الأنعام: ٦].

﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ أي: ضلالتهم، والطُّغيانُ: الغلوُّ في الكفر. قرأ الدوري عن الكسائي (طغيانهم وآذانهم) بالإمالة حيث وقع^(١)، وأمال حمزة والكسائي وخلف جميع ما رُسِمَ بالياء من الأسماء، نحو: (الهُدَى، وَالْهَوَى، وَالْعَمَى)، وما أشبه ذلك^(٢)، والأفعال نحو: (أَتَى، وَأَبَى، وَسَعَى)، وما أشبه ذلك، وافقهم^(٣) أبو عمرو على ما كان فيه راءٌ بعدها ألفٌ ممالاةً بأيٍّ وزنٍ كان، نحو: (ذِكْرَى، وَبُشْرَى، وَأَسْرَى)، وما أشبه ذلك، واختلف في ذلك كله عن ابنِ ذكوان، واختلف عن ورشٍ فيما فيه راءٌ، فروي عنه الإمالة بينَ بين، وروي عنه الفتح^(٤)، والوجهان صحيحان عنه. وقرأ الباقون بالفتح.

﴿يَعْمَهُونَ﴾ أي: حائرون مترددون^(٥).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٤٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٠)، و«الغيث» للصفاحسي (ص: ٩٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ١٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٩).

(٢) انظر: «تفسير الألوسي»، في تفسيره سورة البقرة، الآية (١٦).

(٣) في «ن»: «ووافقهم».

(٤) «الفتح» سقط من «ت».

(٥) انظر: «اللباب» لابن عادل الحنبلي، في تفسيره سورة يوسف، الآية (١٩).

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ ﴿١٦﴾ .

[١٦] ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ ﴾ أي: استبدلوا الكفر بالإيمان. والضلالة: الجور عن القصد.

﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ ﴾ أي: فما ربحوا في تجارتهم.

﴿ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ ناجين من الضلالة.

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ ﴿١٧﴾ .

[١٧] ﴿ مَثَلُهُمْ ﴾ أي: شبههم. والمثل: قول سائر في عرف الناس، يُعرف به معنى الشيء.

﴿ كَمَثَلِ الَّذِي ﴾ يعني: الذين؛ بدليل سياق الآية.

﴿ اسْتَوْقَدَ ﴾ أي: أوقد.

﴿ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ ﴾ النار.

﴿ مَا حَوْلَهُ ﴾ أي: حول المستوقد.

﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ أي: أزاله.

﴿ وَتَرَكَهُمْ ﴾ طرحهم.

﴿ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ نزلت في المنافقين، يقول: مثلهم في نفاقهم

كمثل رجل أوقد ناراً في ليلة مظلمة في مفازة، فاستدفاً، ورأى ما حوله،

واتقى ما يخاف، فبينما هو كذلك إذ طُفئت ناره، فبقي في ظلمة خائفاً متحيراً، فكذلك المنافقون بإظهار كلمة الإيمان آمنوا على أموالهم وأولادهم، وناكحوا المؤمنين، ووارثوهم، وقاسموهم الغنائم، فذلك نورهم، فإذا ماتوا، عادوا إلى الظلمة والخوف.

﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿صُمٌّ﴾ أي: هم صمٌّ عن الحق، لا يقبلونه، وإذا لم يقبلوا، كأنهم لم يسمعوا.

﴿بَكْمٌ﴾ خرس عن الحق لا يقولونه.

﴿عُمَىٰ﴾ أي: لا بصائر لهم، ومن لا بصيرة له كمن لا بصَر له.

﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ عن الضلالة إلى الحق.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَّرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيٓءَازِهِمْ مِّنَ الصُّورِ حَذَرِ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ أي: كأصحابِ صَيِّبٍ؛ فهذا مثل آخرُ ضربه الله تعالى للمنافقين، معناه: إن شئت مثلهم بالمستوقد، وإن شئت بأهل الصَّيِّبِ (أو) بمعنى الواو، يريد: وكصَيِّبٍ من السماء. والصَّيِّبُ: المطر، وكلُّ ما نزل من الأعلى إلى الأسفل، فهو صَيِّبٌ؛ أي: نزل من السماء؛ أي: من السحاب.

﴿فِيهِ ظُلُمٌ﴾ جمع ظلمة.

﴿وَرَعْدٌ﴾ اسم مَلَكٍ، وهو الذي يُسمع صوته من السحاب، وهو الذي يسوقه.

﴿وَبَرَقٌ﴾ لمعانٌ سوطٍ من نورٍ يزجرُ به الملكُ السحاب.

﴿يَجْعَلُونَ أَصْصِعَهُمْ فِيءَ إِذَا نَهَمَ مِنَ الصَّوْعِ﴾ جمع صاعقة، وهي الموت، وكلُّ عذابٍ مُهلِكٍ. وعن رسولِ الله ﷺ: أنه كان إذا سمعَ صوتَ الرعدِ والصواعِ قال: «اللَّهُمَّ لَا تَقْتُلْنَا بِغَضَبِكَ، وَلَا تُهْلِكْنَا بِعَذَابِكَ، وَعَافِنَا قَبْلَ ذَلِكَ»^(١).
﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ أي: مخافةُ الهلاك.

﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ عالمٌ بهم، لا يفوتونه. وأصلُ^(٢) الإحاطة: الإحداقُ بالشيء من جميع جهاته، ومنه الحائط. قرأ أبو عمرو، وورش، والدوريُّ عن الكسائي ورويس: (بالكافرين) بالإمالة حيث وقع في محلِّ النصبِ والخفض^(٣).

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

-
- (١) رواه الترمذي (٣٤٥٠)، كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا سمع الرعد، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٧٦٤)، والإمام أحمد في «المسند» (١٠٠/٢)، وغيرهم، عن ابن عمر - رضي الله عنهما -.
- (٢) في «ت»: «والأصل».
- (٣) انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٣)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ٩٠)، و«تفسير البغوي» (١/٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٣٣).

[٢٠] ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ﴾ أي: يقربُ. يُقال: كَادَ يفعلُ: إذا قَرَّبَ ولم يفعل.

﴿يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ﴾ يختلسُها، والخطفُ: استلابٌ بسرعة.

﴿كُلَّمَا﴾ (كُلُّ) حرفُ جملةٍ ضَمَّ إلى (ما) الجزاء، فصار أداةً للتكرار، ومعناها: متى ما.

﴿أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ أي: كلما أُنَارَ البرقُ لهم الطريق، ساروا في ضوئه.

﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ أي: وقفوا متحيرين، فالله تعالى شبههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مَفَازَةٍ في ليلةٍ مظلمة، أصابهم مطرٌ فيه ظلماتٌ من صِفَتِهَا أَنَّ السَّارِيَ لا يمكنه المشي فيها، ورعدٌ من صِفَتِهِ أَنَّهُ يَضُمُّ السَّامِعُونَ أَصَابَهُمْ إِلَى آذَانِهِمْ مِنْ هَوْلِهِ، وبرقٌ من صِفَتِهِ أَنَّهُ يَقْرُبُ أَنْ يَخْطَفَ أَبْصَارَهُمْ وَيُعْمِيهَا مِنْ شِدَّةِ تَوَقُّدِهِ، فهذا مثلٌ ضربَهُ اللهُ للقرآنِ وصنيعِ الكافرينَ والمنافقينَ معه، فالْمَطَرُ: القرآنُ؛ لأنه حياةُ الْجَنَانِ، كالْمَطَرِ حياةُ الْأَبْدَانِ، وَالظُّلُمَاتُ: ما في القرآنِ من ذِكْرِ الْكُفْرِ وَالشَّرِكِ، وَالرَّعْدُ: ما خُوفُوا بِهِ مِنَ الْوَعِيدِ، وَذِكْرُ النَّارِ، وَالْبَرْقُ: ما فيه من الهدى والبيانِ وَالْوَعْدِ وَذِكْرِ الْجَنَّةِ، فَالْكَافِرُونَ يَسُدُّونَ آذَانَهُمْ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ مَخَافَةَ مِيلِ الْقَلْبِ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ عِنْدَهُمْ كَفْرٌ، وَالْكَفْرُ مَوْتُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ﴾؛ أي: القرآنُ يبهِّرُ قُلُوبَهُمْ.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أَمَالَ حَمْزَةً (شَاءَ، وَجَاءَ، وَخَابَ، وَطَابَ، وَخَافَ، وَحَاقَ، وَضَاقَ، وَزَالَ، وَزَاغَ) حَيْثُ وَقَعَ، سَوَى (زَاغَتْ) وَافَقَهُ ابْنُ ذَكْوَانَ

وَحَلَفَ فِي (شَاءَ، وَجَاءَ) حَيْثُ وَقَعَ^(١).

﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾ أي: بأسماعهم وأبصارهم الظاهرة كما ذهب بأسماعهم وأبصارهم الباطنة. قرأ أبو عمرو، ورويس: (لذهب بسمعهم) بإدغام الباء في الباء.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: فاعل لما يشاء، ولا يُوصَفُ غيرُ الله تعالى بالقدير.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢).

[٢١] ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: يا أيُّها الناسُ خطابُ أهلِ مكَّةَ، ويا أيُّها الذين آمنوا خطابُ أهلِ المدينة^(٢)، وهو هاهنا عام إلا من حيث إنه لا يدخله^(٣) الصغار والمجانين.

﴿أَعْبُدُوا﴾ وَحَدُّوا.

﴿رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ الخَلَقُ: اختراعُ الشيء على غيرِ مثالٍ سبق. قرأ أبو عمرو: (خلقكم) بإدغام القاف في الكاف، وروي عن يعقوب إدغامُ كُلِّ ما أدغمه أبو عمرو من المثلين، والمتقارِبين^(٤).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢٥/١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٥/١).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٨٤/١ - ٨٥).

(٣) في «ت»: «يدخل».

(٤) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤٥/١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي =

﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي: وخلق الذين من قبلكم.
 ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لكي تنجوا من العذاب. قال سيوييه: لعل، وعسى
 حرفا ترج، وهما من الله واجبان.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
 فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ
 تَعْلَمُونَ﴾.

[٢٢] ﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ أي: صير.

﴿لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ أي: بساطاً. قرأ أبو عمرو: (وَجَعَلَ لَكُمْ) بإدغام
 اللام في اللام، ورؤي عن رؤيس موافقته على ذلك.
 ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ أي: سقفاً محفوظاً مرفوعاً.
 ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: من السحاب.
 ﴿مَاءً﴾ وهو المطر.
 ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ وأنواع النبات.
 ﴿رِزْقًا﴾ أي: طعاماً.
 ﴿لَكُمْ﴾ وعلفاً لدوابكم.
 ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ أي: أمثلاً تعبدونهم كعبادة الله.
 ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه واحد خالق هذه الأشياء.

= (ص: ١٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٣٦).

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [٢٣].

[٢٣] ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ أي: في شك. معناه: وإذ كنتم؛ لأن الله علم أنهم شاكون.

﴿مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد، يعني: القرآن.

﴿فَأْتُوا﴾ أمرٌ تعجيز.

﴿بِسُورَةٍ﴾ والسورة: قطعة من القرآن معلومة الأول والآخِر.

﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ أي: مثل القرآن، و(مِنْ) صِلَةٌ؛ كقوله: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠].

﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ جمعُ شاهدٍ؛ أي: واستعينوا بالهتكم التي تعبدونها.

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أن محمداً يقولُه من تلقاء نفسه، فلمَّا تحدَّاهم، عَجَزُوا، فقال:

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [٢٤].

[٢٤] ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ فيما مضى.

﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ أي: لن تقدروا عليه فيما بقي أبداً، وإنما^(١) قال ذلك؛

(١) في «ت»: «وإن».

لبيان الإعجاز؛ فَإِنَّ الْقُرْآنَ كَانَ مُعْجَزَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ حيثُ عجزوا عن الإتيان بمثله.

﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ أي: فآمنوا، واتقوا بالإيمان النار.

﴿الَّتِي وَقُودُهَا﴾ أي: حطبها.

﴿النَّاسِ وَالْحِجَارَةِ﴾ يعني: حجارة الكبريت؛ لأنها أكثرُ التهاباً، وقيل: الأصنام، وقرنَ الناسَ بالحجارة؛ لأنهم نحتوها، واتخذوها أرباباً من دون الله. وقيل: من النار نوعٌ لا يتقد إلا بالناس والحجارة كاتقاد هذه النار بالحطب.

﴿أُعِدَّتْ﴾ أي: هيئت.

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ فبعد ذكر وعيد الكافرين ذكر وعد المؤمنين تطيباً لقلوبهم مخاطباً رسوله ﷺ فقال:

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٢٥] ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ والبشارة: كلُّ خبرٍ صدقٍ تتغير به بشرة الوجه، ويُستعمل في الخير والشرِّ، وفي الخيرِ أغلبُ.

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: الفعلات الصالحة، يعني: المؤمنين من أهل الطاعة.

﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ جمع جنة، والجنة: البستان الذي فيه أشجارٌ مثمرة،

سميت به ؛ لاجتنانها وتسريحها بالأشجار .

﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ﴾ أي : من تحت أشجارها ومساكنها .

﴿ الْأَنْهَارُ ﴾ أي : المياه في الأنهار ؛ لأن النهر لا يجري ، والأنهارُ

جمعُ نهر ، سمي به لسعته وضيائه ، ومنه النَّهَارُ .

﴿ كُلَّمَا ﴾ يعني : متى ما .

﴿ رُزِقُوا ﴾ أَطْعِمُوا .

﴿ مِنْهَا ﴾ أي : من الجنة .

﴿ مِنْ ثَمَرَةٍ ﴾ أي ثمرة ، و(مِنْ) صلة .

﴿ رَزَقًا ﴾ طعاماً .

﴿ قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ و(قَبْلُ) رُفِعَ على الغاية ، قال الله

تعالى : ﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ [الروم : ٤] ، فإذا رُزِقُوا ثمرةً بعدَ

أخرى ، ظنوا أنها الأولى .

﴿ وَأَتُوا بِهِءَ ﴾ أي : بالرزق .

﴿ مُتَشَبِّهًا ﴾ في الألوان ، مختلفاً في الطعوم .

﴿ وَلَهُمْ فِيهَا ﴾ أي : في الجنات .

﴿ أَزْوَاجٌ ﴾ نساء وجوارٍ من الحورِ الْعِينِ .

﴿ مُطَهَّرَةً ﴾ من الأقدار .

﴿ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ دائمون ، لا يموتون ، ولا يخرجون .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٦).

[٢٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ الحياءُ: تغييرٌ وانكسارٌ يلحقُ الشخصَ خوفاً مما يُعابُ به، واشتقاقه من الحياة؛ فإنه انكسارٌ يعتري القوى الحيوانية، ويردُّها عن أفعالها، والله سبحانه منزَّهٌ عن ذلك. وسببُ نزولِها: أن الله تعالى لما ضربَ المثلَ بالذبابِ والعنكبوتِ فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج: ١٧٣]، وقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْفَعَنْكَبُوتِ﴾ [العنكبوت: ٤١]، قالت اليهودُ ما أرادَ اللهُ بذكرِ هذه الأشياءِ الخسيسة؟ فأنزلَ اللهُ - سبحانه وتعالى - : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ (١) أي: لا يتركُ تركَ مَنْ يستحيي (أنْ يضربَ مثلاً) يذكرُ شَبَهاً (ما بعوضة) (ما) صلة؛ أي: مثلاً بالبعوضة، و(بعوضة) نصبٌ بدلٌ عن المثل. والبعوضُ: صغارُ البقِّ، سميت بعوضةً كأنها بعضُ البقِّ، (فَمَا فَوْقَهَا) يعني: الذباب والعنكبوت.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بمحمد والقرآن.

﴿فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ يعني المثل هو (٢).

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١/١٧٨)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/٦٨)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/١٠٣).

(٢) «هو»: ساقطة من «ت».

﴿الْحَقُّ﴾ والصدق .

﴿مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُوا مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ أي :
بهذا المثل ، ثم أجابهم فقال :

﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾ من الكفار ، لأنهم كانوا يكذبونه ، فيزدادون
ضلالاً .

﴿وَيَهْدِي بِهِ﴾ أي : بهذا المثل .

﴿كَثِيرًا﴾ من المؤمنين ، فيصدقونه . والإضلالُ : هو الصَّرْفُ عن
الحقِّ بالباطل .

﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ الكافرين . والفسقُ : الخروجُ عن
أمر الله . ثم وصفهم فقال :

﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ
يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ . ﴿٢٧﴾

[٢٧] ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ﴾ أي : يخالفون ويتركون . وأصلُ النقضِ الكسر .

﴿عَهْدَ اللَّهِ﴾ أمر الله الذي عهد إليهم يوم الميثاق بقوله : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾
قَالُوا بَلَى ﴿[الأعراف : ١٧٢] .

﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ توكيده . والميثاقُ : العهدُ المؤكَّدُ .

﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ يعني : الإيمانُ بمحمدٍ وبجميعِ
الرسْلِ - عليهم السلام - ؛ لأنهم قالوا : ﴿تُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾
[النساء : ١٥٠] ، وقال المؤمنون : ﴿لَا نَفَرُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي، وتعويق الناس عن الإيمان
بمحمد ﷺ، والقرآن.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ المغبونون. ثم قال لمشركي العرب على
وجه التعجب:

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ
يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

[٢٨] ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ بعد نصب الدلائل ووضوح البراهين.
ثم ذكر الدلائل فقال:

﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ نطفاً في أصلاب آبائكم.
﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ في الأرحام والدنيا. قرأ الكسائي: (فَأَحْيَاكُمْ، أَحْيَا،
أَحْيَاهَا، فَأَحْيَا، وَأَحْيَا) بالإمالة حيث وقع، وافقه حمزة في (وَأَحْيَا) حيث
وقع^(١).

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم.
﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بالبعث.
﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ تُردُّون في الآخرة، فيجزىكم بأعمالكم. قرأ
يعقوب: (تُرْجَعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم حيث وقع إذا كان من رجوع

(١) انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٣)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٠٩)،
و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣١)، و«معجم القراءات القرآنية»
(٤٠/١).

الآخرة، وقرأ الباقون: بضم التاء وفتح الجيم^(١)، ولم يختلفوا فيما كان من الرجوع إلى الدنيا؛ كقوله: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨]؛ ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٨]، ونحو ذلك أنه بفتح أوله وكسر ثالثه.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[٢٩] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ لكي تعتبروا وتستدلوا.

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي: قصد إليها؛ لأنه خلق الأرض أولاً، ثم عمد إلى خلق السماء.

﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ أي: خلقهنّ مستوياتٍ لا فطورَ فيها ولا صدع. قرأ حمزة، والكسائي وخلف: (أَسْتَوَى) (فَسَوَّاهُنَّ) بالإمالة^(٢)، ووقف يعقوب (فَسَوَّاهُنَّ) بزيادة هاء السكت.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، وخلف،

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣١/١)، و«تفسير القرطبي» (٢٥٠/١)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١٣٢/١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٠٨/٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديماطي (ص: ١٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٠/١).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٠٩)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١٣٤/١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديماطي (ص: ١٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٠/١).

وَوَرَّشْ، ويعقوبُ: (وَهُوَ، وَهِيَ، فَهُوَ، فَهِيَ، لَهُوَ، لَهَا) بتحريك الهاءِ حيثُ وقع^(١)، ووقف يعقوبُ على جميعها بزيادةِ هاءِ السكتِ^(٢).

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

[٣٠] ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ أي: واذكرْ إذْ قَالَ رَبُّكَ. و(إِذْ) و(إِذَا) حرفا توقيتٍ، إلا (إِذْ) للماضي، و(إِذَا) للمستقبل، وقد توضع إحداهما موضع الأخرى. قرأ أبو عمرو (قَالَ رَبُّكَ) بإدغام اللام في الراء.

﴿لِلْمَلٰٓئِكَةِ﴾ جمع مَلَكَ. قيل: مشتقٌّ من المُلْك، وهو الشدَّة والقوَّة، والمرادُ: الملائكةُ الذين كانوا في الأرض، وذلك أن الله خلق السماء والأرض، وخلق الملائكةَ والجَنَّ، وأسكنَ الملائكةَ السماءَ، وأسكنَ الجَنَّ الأرضَ، فعبدوا دهرًا طويلاً في الأرض، ثم ظهر فيهم الحسدُ والبغى، فأفسدوا، واقتتلوا، فبعث الله إليهم جُنُوداً من الملائكة يقول لهم: الجَنُّ، وهم خُزَّانُ الجِنَانِ، اشتقَّ لهم اسمٌ من الجنة، رأسهم إبليسُ، وكانَ رئيسَهُمْ، ومن أشدَّهم وأكثرهم علماً، فهبطوا إلى الأرضِ، وطرَدوا الجَنَّ إلى شعوبِ الجبالِ وبطونِ الأوديةِ وجزائرِ البحورِ، وسكنوا الأرضَ، وَخَفَّفَ اللهُ عَنْهُمْ الْعِبَادَةَ، وَأَعْطَى اللهُ إِبْلِيسَ مَلِكَ الْأَرْضِ وَمَلِكَ سَمَاءِ

(١) ووافقهم عاصم في ذلك أيضاً.

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٢)، و«معجم القراءات

القرآنية» (١/ ٤١).

الدنيا، وخزانة الجنة، وكان يعبدُ الله تارةً في الأرض، وتارةً في السماء، وتارةً في الجنة، فدخله العُجْب، وقال في نفسه: ما أعطاني الله هذا الملك إلا لأنني أكرمُ الملائكةَ عليه، فقال الله له ولجنده:

﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾ أي: مُصَيِّرٌ.

﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أي: بدلاً منكم، وأرفعُكم إليَّ، فكروها ذلك؛ لأنهم كانوا أهونَ الملائكةَ عبادةً، والمرادُ بال خليفة هاهنا: - آدم عليه السلام -؛ لأنه خليفةُ الله في الحُكم بين عباده بالحق، ومن قامَ مقامه بعده من ذريته، والخليفةُ: من استُخلفَ مكانَ مَنْ كان قبله، مأخوذ من أنه خَلَفَ لغيره، يقومُ مقامه في الأمر الذي أُسند إليه فيه؛ كما قيل: أبو بكرٍ خليفةُ رسول الله ﷺ. قرأ الكسائي (خليفة) بإمالة الفاء حيث وقف على هاء التأنيث^(١).

﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ بالمعاصي، والمراد: ذريته.

﴿وَيَسْفِكُ﴾ أي: ويصبُّ.

﴿الْدِّمَاءَ﴾ بغيرِ حقٍّ؛ أي: كما فعلَ بنو الجانِّ، فقاوسوا بالشاهدِ على الغائبِ، وإلاَّ فهم ما كانوا يعلمون الغيبَ.

﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ نقول: سبحانَ الله وبِحمده. والتسبيحُ:

تبعيدُ الله من السوء. قرأ أبو عمرو: (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ) بإدغامِ النون في النون.

﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ أي: ننهي عليك بالقُدُّوس والطهارة عما لا يليقُ

بجلالك. قرأ أبو عمرو: (وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ) بإدغامِ الكاف في القاف،

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤١).

وكذلك: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]، و﴿لَكَ قُصُورًا﴾ [الفرقان: ١٠] حيثُ تحرَّكَ ما قبلها، فلو سكن ما قبل الكاف، لم يدغمها نحو: ﴿فَأُولَٰئِكَ كَانُوا﴾^(١) [الإسراء: ١٩] و﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يونس: ٦٥]، وشبهه.

﴿قَالَ﴾ الله تعالى:

﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من المصلحة فيه. قرأ المدنيان، وابن كثير، وأبو عمرو (إِنِّي) بفتح الياء، والباقون بإسكانها، وأبو عمرو: (أَعْلَمُ مَا) بإدغام الميم في الميم^(٢).

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣).

[٣١] ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ﴾ سُمِّيَ آدَمَ؛ لأنه خُلِقَ من أديم الأرض، وهو وَجْهها، مشتقٌّ من الأُدْمَةِ: السُّمْرَةِ، وكنيته: أبو البشر، عاش تسع مئة وثلاثين سنةً باتفاقٍ، وقبره في مغارةٍ بين بيت المقدس ومسجد إبراهيم الخليل، رجلاه عند الصخرة، ورأسه عند مسجد إبراهيم، وفي ذلك خلاف كثير.

(١) وردت هذه الآية في جميع النسخ «أولئك قال»، وهو خطأ ظاهر.

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرع (ص: ٩٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٤)، و«الكشف» لمكي (١/٣٣٠)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ٩٩)، و«تفسير البغوي» (١/٣٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٤٢).

﴿الْأَسْمَاءُ كُلُّهَا﴾ لما خلقه الله - عز وجل - علمه أسماء الأشياء، وذلك أن الملائكة قالوا لما قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ليخلق ربنا ما يشاء، فلن يخلق خلقاً أكرم عليه منّا، وإن كان، فنحن أعلم منه؛ لأننا خلقنا قبله، ورأينا ما لم يره، فأظهر الله فضله بالعلم، وفيه دليل على أن الأنبياء أفضل من الملائكة، وإن كانوا رسلاً كما ذهب إليه أهل السنة.

﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ أي: عرض المسميات؛ لأن عرض الأسماء لا يصح، والعرض: إظهارك الشيء، وأن تمرّ به عرضاً؛ لتعرف حاله، وإنما قال: عَرَضَهُمْ، ولم يقل: عَرَضَهَا؛ لأن المسميات إذا جمعت من يعقل ومن لا يعقل، يكتنى عنها بلفظ من يعقل؛ كما يكتنى عن الذكور والإناث بلفظ الذكور.

﴿فَقَالَ أَتَيْتُونِي﴾ أخبروني، أمر تعجيز.

﴿بِأَسْمَاءٍ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أَنِّي لا أخلق خلقاً إلا كنتم أفضل وأعلم منه. قرأ الكوفيون، وابن عامر، وروح: ﴿هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ بتحقيق الهمزتين، وأبو عمرو بإسقاط الهمزة الأولى، وتحقيق الثانية، وقرأ قالون، والبيزي: بتسهيل الأولى بين بين، مع تحقيق الثانية، وأبو جعفر ورويس: بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، واختلف عن قبل وورش، فروي عن الأول جعل الهمزة الثانية بين بين، وروي عنه إسقاط الهمزة الأولى، وهو الذي عليه الجمهور من أصحابه، وروي عن الثاني إبدال الهمزة الثانية ياءً مكسورة، وروي عنه تسهيلها بين بين^(١).

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/١٥٩)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٠٠)، و«إملأ ما من به الرحمن» للعكبري (١/١٧)، و«التبيان» للطوسي =

﴿قَالُوا﴾ يعني : الملائكة إقراراً بالعجز .

﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهاً لك .

﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ معناه : أنك أجلُّ من أن نحيط بشيء من علمك .

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ﴾ بخلقك .

﴿الْحَكِيمُ﴾ في أمرك . والحكيم له معنيان : أحدهما : الحاكم ، وهو القاضي العدل ، والثاني : المحكم لأمره كيلا يتطرق إليه الفساد ، وأصل الحكمة في اللغة : المنع ، وهي تمنع صاحبها من الباطل ، ومنها حكمة الدابة ؛ لأنها تمنعها من الاعوجاج . فلما ظهر عجزهم :

﴿قَالَ يَتَكَادُمُ أَنْبِيَئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْنُتُونَ﴾ (٣٣) .

[٣٣] ﴿قَالَ﴾ الله سبحانه :

﴿يَتَكَادُمُ أَنْبِيَئُهُمْ﴾ أخبرهم .

﴿بِأَسْمَائِهِمْ﴾ فسَمَّى آدم كل شيء باسمه ، وذكر الحكمة التي لأجلها خلق .

﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ﴾ الله :

﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾ يا ملائكتي :

= (١٤١/١) ، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١٤/١) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للديماطي (ص : ١٣٥-١٣٣) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٤٣-٤٤) .

﴿إِنِّي أَعْلَمُ﴾ تقدم مذاهب^(١) القراء في فتح الياء وإسكانها من (إِنِّي) في الحرف المتقدم قريباً.

﴿غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ما كان منها، وما يكون؛ لأنه قد قال لهم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ أي: تظهرون، يعني قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾.

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ تُسِرُّونَ، يعني قولهم: لن يخلق الله ربُّنا خلقاً أكرم عليه منا.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (٣٤).

[٣٤] ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ مذهب العرب أن الرئيس يخبر عن نفسه بضمير الجمع.

﴿لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ قرأ أبو جعفر: (لِلْمَلَائِكَةِ) بضم التاء حالة الوصل إتباعاً، ورُوي عنه إשמاع كسرتها الضم، والوجهان صحيحان عنه، ووجه الإשמاع أنه أشار إلى الضم تنبيهاً على أن الهمزة المحذوفة التي هي همزة الوصل مضمومة حالة الابتداء، ووجه الضم أنهم استقلوا الانتقال من الكسرة إلى الضمة إجراءً للكسرة اللازمة مجرى العارضة، وعللها أبو البقاء أنه نوى الوقف على التاء، فسكنها، ثم حركها بالضم إتباعاً لضمة الجيم،

(١) في «ت»: «مذهب».

وهذا من إجراء الوصل مجرى الوقف، وقد اعترض جماعة على أبي جعفر في قراءته لذلك، فردَّ ابنُ الجزريَّ اعتراضه، وانتصر لأبي جعفر، وصوبَ قراءته، وقال: إنه لم ينفرد بهذه القراءة، بل قرأ بها غيره من السلف. وقرأ الباقون: بإخلاصٍ كسرة التاء^(١). وهذا الخطابُ مع جميع الملائكة على الصحيح، والأصحُّ أن السجودَ كانَ لآدمَ على الحقيقة، وتضمَّن معنى الطاعة لله تعالى لامثالِ أمره، وكانَ ذلكَ سجودَ تعظيمٍ وتحيَّة، لا سجودَ عبادة، ولم يكن فيه وضعُ الوجهِ على الأرض، إنما كان الانحناء، فلما جاء الإسلامُ أبطلَ ذلك. والسجودُ في الأصل: تذللٌ مع تطامُنٍ.

﴿فَسَجَدُوا﴾ يعني: الملائكة.

﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ وكان اسمه عزازيل بالسريانية، وبالعربية: الحارث، فلما عصى، غُيِّرَ اسمه وصورته، فقليل: إبليس؛ لأنه أبلَسَ؛ أي: يئس من رحمة الله، والأصحُّ أنه كانَ من الملائكة لا من الجنِّ، وقوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنَّ﴾ [الكهف: ٥٠]، أي: من الملائكة الذين هم خزنة الجنة.

﴿أَبْنَى﴾ امتنع فلم يسجد.

﴿وَأَسْتَكْبَرَ﴾ أي: تكبر عن السجود لآدم.

﴿وَكَانَ﴾ أي: وصار.

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/١٦١)، و«المحتسب» لابن جني (١/٧١)، و«تفسير البغوي» (١/٣٥)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/١٨)، و«تفسير القرطبي» (١/٢٦١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ١٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٤٦-٤٥).

﴿مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ قال أكثر المفسرين: وكان في سابق علم الله من الكافرين الذين وجبت لهم الشقاوة.

﴿وَقُلْنَا يَتَّادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٣٥).

[٣٥] ﴿وَقُلْنَا يَتَّادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ وهي جنَّة الخلد في السماء السابعة، وذلك أن آدم لم يكن له في الجنة مَنْ يجالسُه، فنام نومةً، فخلق الله زوجته حواءَ من قصيراهُ من شقه الأيسر، وسُميت حواءَ؛ لأنها خلقت من حيٍّ، خلقها الله تعالى من غير أن أحسَّ بها آدم، ولا وجد لها ألماً، ولو وجد لها ألماً، لما عطف رجلٌ على امرأة قَطُّ، فلما استيقظ من نومه، رآها جالسةً عند رأسه كأحسن ما خلق الله، فقال لها: مَنْ أَنْتِ؟ فقالت زوجتك، خلقتني الله لك؛ لتسكن إليَّ، وأسكن إليك^(١).

﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾ واسعاً كثيراً.

﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ كيف شئتما، ومتى شئتما، وأين شئتما. قرأ أبو عمرو: (حَيْثُ شِئْتُمَا) بإدغام الثاء في الشين، وإبدال الهمز^(٢) بياء ساكنة^(٣)، وافقه على الإبدال أبو جعفرٍ وورشٌ.

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ يعني: للأكل، واختلَف في الشجرة، فقيل:

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١/٢٣٠).

(٢) في «ن»: «الهمزة».

(٣) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ١٠٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٤٦).

هي السنبلة، وقيل: العنب، وقيل: التين، وقيل: شجرة الكافور، وقيل: شجرة العلم، وفيها من كل شيء. قال ابن عطية: وإنما الصواب أن يُعتقد أن الله نهى آدم عن شجرة، فخالف هو إليها، وعصى في الأكل منها، قال: وفي حظره تعالى على آدم ما يدل على أن سكناه في الجنة لا يدوم؛ لأن المُخلد لا يُحظر عليه شيء، ولا يؤمر ولا يُنهى^(١).

﴿فَتَكُونَا﴾ أي: فتصيرا.

﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: الضارين بأنفسكما بالمعصية. وأصل الظلم: وضع الشيء في غير موضعه.

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنِعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾^(٣٦).

[٣٦] ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ يعني: استزل آدم وحواء؛ أي: دعاهما إلى الزلة. قرأ حمزة (فَأَزَلَّهُمَا) باللف مخففاً؛ أي: نَحَّاهما عن الجنة. وقرأ الباقون: بغير ألف مشدداً على المعنى الأول^(٢).

﴿الشَّيْطَانُ﴾ تقدم تفسيره في الاستعاذة.

﴿عَنْهَا﴾ أي: عن الجنة.

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/١٢٨).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٩٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٤)، و«الكشف» لمكي (١/٢٣٦)، و«الغيث» للصفافسي (ص: ١٠٦)، و«تفسير البغوي» (١/٣٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١١١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديماطي (ص: ١٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٤٧).

﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من النعيم، وذلك أن إبليس أراد أن يدخل الجنة ليوسوسَ لآدمَ وحواءَ، فمَنَعَتْهُ الخَزَنَةُ، فأَتَى الحَيَّةَ، وكانت صديقاً لإبليسَ، وكانت من أحسنِ الدوابِّ، لها أربعُ قوائمَ كقوائمِ البعيرِ، وكانت من خَزَانِ الجنة، فسألها إبليسُ أن تُدْخِلَهُ فِي مِمْهَآ، فأَدْخَلَتْهُ، فمَرَّتْ بِهِ عَلَى الخَزَنَةِ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، فلما دخل الجنة، وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْ آدَمَ وَحَوَاءَ، وَهُمَا لَا يَعْلَمَانِ أَنَّهُ إِبْلِيسُ، فبَكَى وَنَاحَ نِيَاحَةً أَحْزَنَهُمَا، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ نَاحَ، فَقَالَا لَهُ: مَا يَبْكِيكَ؟ فَقَالَ: أَبْكِي عَلَيْكُمَا، تَمُوتَانِ فَتَفَارِقَانِ مَا أَنْتَمَا فِيهِ مِنَ النِّعْمَةِ، فَوَقَعَ ذَلِكَ فِي أَنْفُسَهُمَا، وَاغْتَمَّآ، وَمَضَى إِبْلِيسُ، ثُمَّ أَتَاهُمَا فَقَالَ: ﴿قَالَ يَتَّأَدَمُ هَلْ أَذُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾؟ [طه: ١٢٠] فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ، فَقَاسَمَهُمَا بِاللَّهِ إِنَّهُ لَهُمَا لِمَنْ النَّاصِحِينَ، فَاغْتَرَا، وَمَا ظَنَّا أَنْ أَحَدًا يَحْلِفُ بِاللَّهِ كَاذِبًا، فَبَادَرْتُ حَوَاءُ إِلَى أَكْلِ الشَّجَرَةِ، ثُمَّ نَاولَتْ آدَمَ حَتَّى أَكَلَهَا، فَلَمَّا أَكَلَا مِنْهَا، فَتَتْ عَنْهُمَا ثِيَابُهُمَا، وَبَدَتْ سُوءَاتُهُمَا، وَأَخْرَجَا مِنَ الْجَنَّةِ^(١)، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ أَي: انزلوا إِلَى الْأَرْضِ، يَعْنِي: آدَمَ وَحَوَاءَ وَإِبْلِيسَ وَالْحَيَّةَ، وَالْهَبُوطُ: الْانْحِطَاطُ مِنْ عُلُوٍّ إِلَى سُفْلٍ، فَهَبَطَ آدَمُ بِسَرْنَدِيْبٍ مِنْ أَرْضِ الْهِنْدِ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ: نُودٌ، وَحَوَاءَ بِجَدَّةٍ، وَإِبْلِيسَ بِأَيْلَةٍ، وَالْحَيَّةَ بِأَصْفَهَانِ.

﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ أَرَادَ: الْعِدَاوَةَ الَّتِي بَيْنَ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَالْحَيَّةِ، وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَإِبْلِيسَ.

﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ مَوْضِعٌ قَرَارٌ.

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٣٥).

﴿وَمَنْعٌ﴾ بُلْغَةٌ وَمُسْتَمْتَعٌ .

﴿إِلَّا حِينَ﴾ آخِرِ أَعْمَارِكُمْ ، فَكُلُّ إِنْسَانٍ لَهُ مَكَانٌ فِي الْأَرْضِ يَسْتَقِرُّ فِيهِ مَدَّةَ حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ .

﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٣٧﴾ .

[٣٧] ﴿فَلَقَىٰ﴾ التَّلَقَّى : هُوَ قَبُولٌ عَنْ فِطْنَةٍ وَفَهْمٌ ؛ أَي : قَبِلَ وَأَخَذَ .

﴿آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ هِيَ ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ . قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو ، وَرُوَيْسٌ : (آدَمُ مِنْ رَبِّهِ) بِإِدْغَامِ الْمِيمِ فِي الْمِيمِ ^(١) ، وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ : بِنَصْبِ (آدَمَ) مَفْعُولًا ، وَرَفَعَ (كَلِمَاتٍ) عَلَى أَنَّهَا اسْتَقْبَلَتْهُ وَبَلَّغَتْهُ ، وَالْبَاقُونَ بَرَفَعَ (آدَمَ) ، وَنَصَبِ (كَلِمَاتٍ) بِكَسْرِ التَّاءِ مَفْعُولًا ^(٢) ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : «بَكَى آدَمُ وَحَوَاءُ عَلَى مَا فَاتَهُمَا مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ مِثْلِي سَنَةٍ ، وَلَمْ يَأْكُلَا وَلَمْ يَشْرَبَا أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَلَمْ يَقْرُبْ آدَمُ حَوَاءَ مِثْلَ سَنَةٍ» ^(٣) . وَرُوِيَ أَنَّ آدَمَ لَمَّا هَبَطَ إِلَى الْأَرْضِ ، مَكَثَ

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/١٦٤) ، و«تفسير القرطبي» (١/٣٢٤) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٤٨) .

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٩٤) ، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٣) ، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٥) ، و«الكشف» لمكي (١/٢٣٦) ، و«تفسير البغوي» (١/٣٩) ، و«التيسير» للداني (ص: ٧٣) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١١) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٤٨) .

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/٣٥ - ٣٦) ، ومن طريقه ابن عساكر في =

ثلاث مئة سنة لا يرفع رأسه حياءً من الله تعالى .

﴿فَنَابَ عَلَيْهِ﴾ فتجاوز عنه .

﴿إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ﴾ المتفضل بقبول توبة عباده .

﴿الرَّحِيمُ﴾ بخلقه . قرأ أبو عمرو (إنَّه هُوَ) بإدغام الهاء في الهاء^(١) .

﴿قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣٨) .

[٣٨] ﴿قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ يعني : هؤلاء الأربعة قيل : الهبوط الأول من الجنة إلى السماء الدنيا ، والهبوط الثاني إلى الأرض ، وكان هبوطهم وقت العصر . وبين هبوط آدم والهجرة الشريفة الإسلامية ستة آلاف سنة ، ومئتان ، وست عشرة سنة ، وبين المؤرخين في ذلك خلاف .

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ أي : فإن يأتكم يا ذرية آدم ، فـ(إن) شرط ضُمَّتْ^(٢) إليها (ما) تأكيداً للفعل ، وأدغمت (إن) فيها وفلما وقع فعل الشرط بعد إِمَّا إلا مؤكداً بـ«ما» والنون ، فـ«ما» تؤكد أول الفعل ، والنون تؤكد آخره . قرأ أبو عمرو ، وأبو جعفر : (يَأْتِيَنَّكُمْ) بالإبدال بغير همز ، والباقون بالهمز .

﴿مِنِّي هُدًى﴾ رشد برسولٍ أبعثه إليكم ، وكتابٍ أنزله عليكم .

= «تاريخ دمشق» (٢٣/٢٦٨) .

(١) انظر : «إعراب القرآن» للنحاس (١/١٦٤) ، و«تفسير القرطبي» (١/٣٢٦) ،

و«الغيث» للصفاسي (ص : ١٠٩) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٤٩) .

(٢) في «ت» : «ضمنت» .

﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ قرأ الدوري عن الكسائي (هُدَايَ) بالإمالة^(١).

﴿فَلَا خَوْفٌ﴾ قرأ يعقوب: (فَلَا خَوْفَ) بفتح الفاء وعدم التنوين حيث وقع، والباقون: بالرفع والتنوين^(٢).

﴿عَلَيْهِمْ﴾ فيما يستقبلهم. وتقدم^(٣) مذهب حمزة ويعقوب في ضمّ الهاء من (عليهم)، ومذهب ابن كثير وأبي جعفر وقالون في صلة ميم الجمع بواو في اللفظ.

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما خلفوا.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٣٩).

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جحدوا.

﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن.

﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ يوم القيامة.

(١) انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٥)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٠٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٩/١).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/١٦٦)، و«تفسير البغوي» (١/٤٠)، و«الكشاف» للزمخشري (١/٣٢٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٩/١).

(٣) عند تفسير الآية رقم (٧) من سورة الفاتحة.

﴿هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾ لا يخرجون منها، ولا يموتون فيها.

﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ
وَأَيَّتِي فَأَرْهَبُونَ﴾ (٤٠).

[٤٠] ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ﴾ يا أولادَ يعقوب! ومعنى إسرائيل: [عبدُ الله،
فإسرا: عبد، وإيل: هو الله. وقيل: هو صفوة الله. قرأ أبو جعفر:
(إسرائيل)]^(١) بتسهيل الهمزة حيث وقع^(٢).

﴿أَذْكُرُوا﴾ احفظوا، والذكرُ يكون بالقلب، ويكون باللسان.

﴿نِعْمَتِي﴾ أي: نعمي، لفظها واحد، ومعناها جمعٌ.

﴿الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: على أجدادكم وأسلافكم، وهي النعم التي
خَصَّتْ بها بنو إسرائيل؛ من فلق البحر، وإنجائهم من فرعون، وإغراقه،
وتظليل الغمام عليهم في التيه، وإنزال المنِّ والسَّلْوَى، وإنزال التوراة، في
نعم كثيرة لا تحصى.

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ بامثالِ أمري، وقيل: بعثِ محمدٍ والإيمان به.

﴿أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ﴾ بالقبول والثواب.

﴿وَأَيَّتِي فَأَرْهَبُونَ﴾ أي: فخافون في نقض العهد. قرأ يعقوب:
(فَارْهَبُونِي) بإثبات الياء، والباقون: بحذفها^(٣).

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤١/١)، و«تفسير القرطبي» (٣٣١/١)، و«إتحاف

فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥٠/١).

(٣) المصادر السابقة

﴿وَأٰمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونَ﴾ (٤١).

[٤١] ﴿وَأٰمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ﴾ يعني: القرآن.

﴿مُصَدِّقًا﴾ موافقاً.

﴿لِّمَا مَعَكُمْ﴾ يعني: التوراة، في التوحيد والنبوة والأخبار، ونعت النبي ﷺ. نزلت في كعب بن الأشرف وأصحابه من علماء اليهود ورؤسائهم.

﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن، يريد: أهل الكتاب؛ لأن قريشاً كفروا قبل اليهود بمكة، معناه: ولا تكونوا أول من كفر بالقرآن، فتتابعكم اليهود على ذلك، فتبوؤوا بآثامكم وآثامهم. قرأ حمزة: (ولا تكونوا) بالمد بحيث لا يبلغ الإشباع.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾ أي: ولا تستبدلوا.

﴿بِآيَاتِي﴾ بالقرآن والإيمان بمحمد ﷺ.

﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي: عرضاً يسيراً من الدنيا، وذلك أن رؤساء اليهود وعلماءهم كانت لهم مأكُل يُصيبونها من سَفَلَتِهِمْ وَجُهَالِهِمْ، يأخذون منهم^(١) كل عام شيئاً معلوماً من زَرْعِهِمْ وَضُرُوعِهِمْ وَنُقُودِهِمْ، فخافوا إن هُم بَيَّنُّوا صِفَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وتابعوه، أن تفوتهم تلك المأكُل، فغَيَّرُوا نَعْتَهُ، وكتَمُوا اسْمَهُ، واختاروا الدنيا على الآخرة.

﴿وَإِنِّي فَاتَّقُونَ﴾ أي: فاخشَون، والوقاية لغة: حفظ الشيء مما يؤذيه،

(١) في «ت»: «من».

وشرعاً: حفظ النفس عما يؤثمها. قرأ يعقوبُ: (فَاتَّقُونِي) بإثبات الياء كما تقدّم في قوله تعالى: (فَارْهَبُونِ)^(١).

﴿وَلَا تَلْسُؤُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنُوا الْحَقَّ وَانْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٤٢).

[٤٢] ﴿وَلَا تَلْسُؤُوا﴾ أي: لا^(٢) تخلطوا.

﴿الْحَقَّ﴾ الذي أنزل عليكم من صفة محمد ﷺ.

﴿بِالْبَاطِلِ﴾ الذي تكتبونه بأيديكم من غير تغيير صفته.

﴿وَتَكُنُوا الْحَقَّ﴾ أي: لا تكتموا عنه يعني: محمداً ﷺ.

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه نبي مرسل.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^(٤٣).

[٤٣] ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: أديموا الصلوات الخمس بمواقيتها

وحُدودها.

﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ وأدّوا زكاة أموالكم المفروضة، مأخوذة من زكا الزرع:

إذا نما وكثر.

﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ أي: صلّوا مع المصلين محمد وأصحابه، وذكر

بلفظ الركوع؛ لأن الركوع ركن من أركان الصلاة، وكذا السجود

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤١/١)، و«تفسير القرطبي» (٣٤٠/١)، و«إتحاف

فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥٢/١).

(٢) «لا» سقطت من «ت».

بالاتفاق، وصلاة اليهود لم يكن فيها ركوع، فكأنه نال: صَلُّوا صلاة ذات رُكُوع، وأصل الركوع: الانحناء.

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [٤٤].

[٤٤] ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ ﴾ بالطاعة. نزلت في علماء اليهود، وذلك أن الرجل منهم كان يقول لقريبه وحليفه من المسلمين إذا سأله عن أمر محمد: اثبت على دينه؛ فإن أمره حق، وقوله صدق^(١).

﴿ وَتَنْسَوْنَ ﴾ أي: وتركون.

﴿ أَنْفُسَكُمْ ﴾ فلا تتبعونه.

﴿ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ تقرأون التوراة فيها نعتة وصفته.

﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أنه حق، فتتبعونه، والعقل يمنع صاحبه من الكفر

والجحود.

﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [٤٥].

[٤٥] ﴿ وَأَسْتَعِينُوا ﴾ أي: اطلبوا في قضاء حوائجكم المعونة.

﴿ بِالصَّبْرِ ﴾ أراد: حبس النفس عن المعاصي.

﴿ وَالصَّلَاةِ ﴾ أي: وبالصلاة على نيل الرضوان وخط الذنوب.

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٥٨/١)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١٥٦/١).

﴿وَأَيُّهَا﴾ ولم يقل: وإنيهما ردَّ الكنايةَ إلى كلِّ واحدٍ منهما؛ أي: وإنَّ كلَّ خَصْلَةٍ منهما.

﴿لَكِبَرَةٌ﴾ أي: ثَقِيلَةٌ.

﴿إِلَّا عَلَى الْخَشِيعِينَ﴾ يعني: المؤمنين المتواضعين، وأصلُ الخشوع: السكون.

﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ﴿٤٦﴾.

[٤٦] ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يستيقنون، والظنُّ من الأضداد، يكونُ شكًّا و يقيناً؛ كالرجاء يكونُ أمناً وخوفاً.

﴿أَنَّهُمْ مُلْقُوا﴾ معاينوا.

﴿رَبِّهِمْ﴾ في الآخرة، وهو رؤيةُ الله تعالى، ويأتي الكلام على رؤيته سبحانه في الآخرة في سورة الأنعام.

﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ فيجزئهم بأعمالهم.

﴿يَبْنَى إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٤٧﴾.

[٤٧] ﴿يَبْنَى إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾ أي: ميزتكم؛ أي: اذكروا نعمتي وتفضيلي إياكم.

﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي: عالمي زمانكم، وذلك التفضيلُ وإن كان في حقِّ الآباء، ولكن يحصل به الشرفُ للأبناء.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [٤٨].

[٤٨] ﴿وَاتَّقُوا﴾ واخشوا.

﴿يَوْمًا﴾ أي: عذاب يوم.

﴿لَا تَجْزِي﴾ أي: تقضي.

﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ أي: حقاً لزمها.

﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب (تقبل) بالتاء؛ لتأنيث الشفاعة، وقرأ الباقون: بالياء^(١)؛ لأن الشفيع والشفاعة بمعنى واحد؛ أي: لا تقبل منها شفاعة إذا كانت كافرة.

﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾ أي: من المشفوع لها.

﴿عَدْلٌ﴾ أي: فداء، سُمِّيَ به؛ لأنه مثل العدل، والعدل: المثل.

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يُمنعون من عذاب الله.

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٧١)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ٩٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٦)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١١٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٣) و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٥٤).

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ ﴿٤٩﴾ .

[٤٩] ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾ يعني: أسلافكم وأجدادكم، عذَّها مِنَّةٌ عليهم؛ لأنهم نَجَوْ بنجاتهم.

﴿مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ قومه وأتباعه وأهل دينه، وهو الوليدُ بْنُ مُصْعَبِ بْنِ الرِّيَّانِ، وَكَانَ مِنَ الْقِبْطِ مِنَ الْعِمَالِقَةِ، وَكَانَ قَصِيراً طَوِيلَ اللَّحْيَةِ، أَشْهَلُ الْعَيْنِينَ، صَغِيرُ الْعَيْنِ الْيَسْرَى، أَعْرَجٌ، وَكَانَ شَجَاعاً سَاحِراً كَاهِناً كَاتِباً حَكِماً، مُتَصَرِّفاً فِي كُلِّ فَنٍّ، وَاسْمُهُ عِنْدَ الْقِبْطِ ظُلْماً، وَعُمُرُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَفِرْعَوْنُ عَلِمَ لِمَنْ مَلِكٌ مِصْرَ.

﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ يذيقونكم.

﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أَشَدُّهُ وَأَسْوَأُهُ، وَذَلِكَ أَنَّ فِرْعَوْنَ جَعَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ خَدَمًا وَخَوَلَا، وَصَنَّفَهُمْ فِي الْأَعْمَالِ، فَصَنَّفَ يَبْنُونَ، وَصَنَفَ يَحْرَثُونَ، وَصَنَفَ يَخْدُمُونَهُ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ فِي عَمَلٍ، وَضَعَ عَلَيْهِ الْجِزْيَةَ.

﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ أَصْلُ الذَّبْحِ: الشَّقُّ، وَالتَّشْدِيدُ لِلتَّكْثِيرِ.

﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ يَتْرَكُونَهُنَّ^(١) أَحْيَاءً، وَذَلِكَ أَنَّ فِرْعَوْنَ رَأَى فِي مَنَامِهِ كَأَن نَاراً أَقْبَلَتْ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَحَاطَتْ بِمِصْرَ، وَأَحْرَقَتْ كُلَّ قَبْطِيٍّ بِهَا، وَلَمْ تَتَعَرَّضْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، فَهَالَهُ ذَلِكَ، وَسَأَلَ الْكَهَنَةَ عَنْ رُؤْيَاهُ، فَقَالُوا: سَيُولَدُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ غُلَامٌ يَكُونُ عَلَى يَدِهِ هَلَاكُكَ، فَأَمَرَ فِرْعَوْنَ بِقَتْلِ كُلِّ غُلَامٍ يُولَدُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَوَكَلَ بِالْقَوَائِلِ، فَكَفَّرَ يَفْعَلُنَ ذَلِكَ.

(١) فِي جَمِيعِ النُّسخِ «يَتْرَكُونَهُنَّ»، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَ.

قيل: إنه قتل في طلب موسى اثني عشر ألف صبي، وقيل: تسعين ألف وليد. وأسرع الموت في مشيخة بني إسرائيل، فدخل رؤوس القبط على فرعون، وقالوا: إنَّ الموت وقع في بني إسرائيل، فتذبح صغارهم، ويموت كبارهم، فيوشك أن يقع العمل علينا، فأمر فرعون أن يُذبحوا سنة، ويُتركوا سنة، فولد هارون في السنة التي لا يُذبحون فيها، وولد موسى في السنة التي يُذبحون فيها^(١). قرأ أبو عمرو (ويستحيون نساءكم) بإدغام النون في النون.

﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ﴾ اختبار.

﴿مِّن رَّيْبِكُمْ عَظِيمٌ﴾ قيل: البلاء: المحنة؛ أي: في سومهم إياكم سوء العذاب محنة عظيمة، وقيل: البلاء: النعمة؛ أي: وفي إنجائي إياكم منهم نعمة عظيمة، والبلاء يكون بمعنى النعمة، وبمعنى الشدة، والله تعالى قد يختبر على النعمة بالشكر، وعلى الشدة بالصبر.

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾.

[٥٠] ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ معناه: فرقنا البحر بدخولكم إياه، والفرق: الفصل؛ أي: اذكروا أيضاً منّي عليكم بأن جعلت لكم البحر أفراقاً؛ أي: اثني عشر فرقاً، و(بكم) للباء وجهان: أحدهما: لكم، والباء قد تجيء بمعنى اللام، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَٰأَنَّا اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ﴾ [الحج: ٦٢]؛

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٧٢/١ - ٢٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠٦/١)، عن السدي.

أي: لأن الله، والثاني: أي: بدخولكم، فتكون الباء على حقيقتها. وسمي البحرُ بحرًا؛ لاستبحاره؛ أي: اتساعه وانبساطه، ومنه قيلَ للفرس: بحرٌ، إذا اتَّسعَ في جَرِيه، وذلك أنه لما دنا هلاكُ فرعونَ، أمر الله تعالى موسى أن يسريَ ببني إسرائيل من مصرَ ليلاً، فأمر موسى قومه أن يُسْرِجُوا في بيوتهم إلى الصُّبح، وأخرجَ الله كُلَّ وَلَدِ زَنًا في القبطِ من بني إسرائيل إليهم، وكلَّ وَلَدِ زَنًا في بني إسرائيل من القبطِ إلى القبطِ، حتى رجعَ كُلُّ إلى أبيه، وألقى الله الموتَ على القبطِ، فمات كُلُّ بِكَرٍ لهم من شابٍّ وشابةٍ، فاشتغلوا بدفنهم حتى أصبحوا، وخرج موسى في ستِّ مئة ألفٍ وعشرين ألفَ مقاتلٍ، لا يعدُّونَ ابنَ العشرينَ لصغره، ولا ابنَ الستينَ لكبره، وكانوا يومَ دخلوا مصرَ مع يعقوب اثنين وسبعين إنساناً ما بينَ رجلٍ وامرأة، فلما أرادوا السيرَ، ضُربَ عليهم التَّيَّةُ، فلم يَدْرُوا أين يذهبون، فدعا موسى مشيخةَ بني إسرائيل، وسألهم عن ذلك، فقالوا: إن يوسف - عليه السلام - لما حضره الموتُ، أخذ على إخوته عهداً ألا يَخْرِجُوا من مصرَ حتى يُخْرِجُوهُ معه، فلذلك استَدَّ عليهم الطريقُ، فسألهم عن موضع قبره، فلم يعلموا، فقام موسى ينادي: أنشد الله كُلَّ من يعلمُ أين موضعُ قبر يوسفَ إلا أخبرني به، ومن لم^(١) يعلم به، فَصُمَّتْ أُذُنَاهُ عن قولي، فكان يمرُّ بين رجلين ينادي، فلا يسمعان صوته حتى سمعتهُ عجوزٌ لهم، فقالت: أرايتكَ إن دلتُكَ على قبره، أتعطيني كُلَّ ما سألتُكَ؟ فأبى عليها وقال: حتى أَسْتَأْذِنَ رَبِّي، فأمره الله - عز وجل - بإيتاء سؤلها، فقالت: إني عجوزٌ كبيرةٌ لا أستطيعُ المشيَ، فاحملني وأخرجني من مصرَ، هذا في الدنيا، وأما في

(١) في «ت»: «لا».

الْآخِرَةِ فَأَسْأَلُكَ أَلَّا تَنْزِلَ غُرْفَةً مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا نَزَلْتُهَا مَعَكَ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: إِنَّهُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ فِي النَّيْلِ، فَادْعُ اللَّهَ حَتَّى يَحْسَرَ عَنْهُ الْمَاءُ، فَدَعَا اللَّهَ، فَحَسَرَ عَنْهُ الْمَاءُ، وَدَعَا اللَّهَ أَنْ يُؤَخِّرَ طُلُوعَ الْفَجْرِ إِلَى أَنْ يَفْرَغَ مِنْ أَمْرِ يَوْسُفَ، فَحَفَرَ مُوسَى ذَلِكَ الْمَوْضِعَ، وَاسْتَخْرَجَهُ مِنْ صَنْدُوقٍ مِنْ مَرْمَرٍ، وَحَمَلَهُ حَتَّى دَفَنَهُ بِحَبْرُونَ^(١) بِجَوَارِ قَبْرِ أَبِيهِ يَعْقُوبَ، فَفَتَحَ لَهُمُ الطَّرِيقَ، فَسَارُوا وَمُوسَى عَلَى سَاقَتِهِمْ وَهَارُونَ عَلَى مَقَدِّمَتِهِمْ، وَنَدَّرَ بِهِمْ فِرْعَوْنُ، فَجَمَعَ قَوْمَهُ، وَأَمَرَهُمْ أَلَّا يَخْرُجُوا فِي طَلَبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَتَّى يَصِيحَ الدِّيكُ، فَلَمْ يَصِحِ الدِّيكُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَخَرَجَ فِرْعَوْنُ فِي طَلَبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَعَلَى مَقَدِّمَتِهِ هَامَانُ فِي أَلْفِ أَلْفٍ وَسَبْعِ مِائَةِ أَلْفٍ، وَكَانَ فِيهِمْ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ دُهُمِ الْخَيْلِ، سِوَى سَائِرِ الشَّيَاطِ، وَكَانَ فِرْعَوْنُ يَكُونُ فِي الدُّهُمِ، فَسَارَ بَنُو إِسْرَائِيلَ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى الْبَحْرِ، وَالْمَاءُ فِي غَايَةِ الزِّيَادَةِ، وَنَظَرُوا فَإِذَا هُمْ بِفِرْعَوْنَ حِينَ أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ، فَبَقُوا مَتَحِيرِينَ، وَقَالُوا: يَا مُوسَى! كَيْفَ نَصْنَعُ؟ وَأَيْنَ مَا وَعَدْتَنَا؟ هَذَا فِرْعَوْنُ خَلَفَنَا، إِنْ أَدْرَكَنَا قَتَلَنَا، وَالْبَحْرُ أَمَامَنَا، إِنْ دَخَلْنَاهُ غَرَقْنَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُورُونَ﴾ [الشعراء: ٦٢]، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ، فَضْرِبُهُ فَلَمْ يُطِغْهُ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ كَنَّهُ؛ أَي: كَلَّمَهُ بِالْكُنْيَةِ، فَضْرِبُهُ وَقَالَ: انْفَلِقْ يَا^(٢) أَبَا خَالِدٍ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرَقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣]، وَظَهَرَ فِيهِ اثْنَا عَشَرَ طَرِيقًا، لِكُلِّ سَبْطٍ طَرِيقٌ، وَارْتَفَعَ الْمَاءُ بَيْنَ كُلِّ طَرِيقَيْنِ كَالْجَبَلِ، وَأَرْسَلَ اللَّهُ الرِّيحَ وَالشَّمْسَ

(١) فِي «ن» «بِجَهْرُونَ».

(٢) «يَا» سَقَطَتْ مِنْ «ظ».

على قَعْرِ الْبَحْرِ حَتَّى صَارَ يَبْسَأُ، فَخَاضَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ، كُلُّ سَبْطٍ فِي طَرِيقٍ، وَعَنْ جَانِبِهِمُ الْمَاءُ كَالْجِبِلِّ الضَّخْمِ، وَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَخَافُوا، وَقَالَ كُلُّ سَبْطٍ قَدْ قُتِلَ إِخْوَانُنَا، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى جِبَالِ الْمَاءِ أَنْ يَتَشَبَّكْنَ، فَصَارَ الْمَاءُ شَبَكَاتٍ كَالطَّاقَاتِ يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَسْمَعُ بَعْضُهُمْ كَلَامَ بَعْضٍ حَتَّى عَبَرُوا الْبَحْرَ سَالِمِينَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ (١).

﴿فَأَنجَيْنَاكُمْ﴾ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ وَمِنْ الْغَرَقِ.

﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ أَي: فِرْعَوْنَ وَجِيوشَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ فِرْعَوْنَ لَمَّا وَصَلَ إِلَى الْبَحْرِ، فَرَأَاهُ مُنْفَلِقًا، قَالَ لِقَوْمِهِ: انظُرُوا إِلَى الْبَحْرِ انْفَلَقَ مِنْ هَيْبَتِي حَتَّى أُدْرِكَ عَبِيدِي الَّذِينَ أَبْقُوا، ادْخُلُوا الْبَحْرَ، فَهَابَ قَوْمُهُ أَنْ يَدْخُلُوهُ، وَقَالُوا لَهُ: إِنْ كُنْتَ رَبًّا، فَادْخُلِ الْبَحْرَ كَمَا دَخَلَ مُوسَى، وَكَانَ فِرْعَوْنُ عَلَى حِصَانٍ أَذْهَمَ، وَلَمْ يَكُنْ فِي خَيْلٍ فِرْعَوْنَ فَرَسٌ أُنْثَى، فَجَاءَ جَبْرِيلُ فِي صُورَةِ هَامَانَ عَلَى أُنْثَى وَدِيقٍ؛ أَي: شَهِيٍّ، وَهِيَ الَّتِي فِي فَرْجِهَا بَلَلٌ، فَتَقَدَّمَهُ وَخَاضَ الْبَحْرَ، فَلَمَّا شَمَّ أَذْهَمُ فِرْعَوْنَ رِيحَهَا، اقْتَحَمَ الْبَحْرَ فِي أَثَرِهَا، وَلَمْ يَمْلِكْ فِرْعَوْنُ مِنْ أَمْرِهِ شَيْئًا، وَهُوَ لَا يَرَى فَرَسَ جَبْرِيلَ، وَاقْتَحَمَتِ الْخِيُولُ خَلْفَهُ فِي الْبَحْرِ، وَجَاءَ مِيكَائِيلُ عَلَى فَرَسٍ خَلَفَ الْقَوْمَ يَشْحَذُهُمْ وَيَسَوْفُهُمْ حَتَّى لَا يَشُدُّ رَجُلٌ مِنْهُمْ، وَيَقُولُ لَهُمْ: الْحَقُوا بِأَصْحَابِكُمْ، حَتَّى خَاضُوا كُلُّهُمْ الْبَحْرَ، وَخَرَجَ جَبْرِيلُ مِنَ الْبَحْرِ، وَهُمْ أَوْلُهُمُ بِالْخُرُوجِ، أَمَرَ اللَّهُ الْبَحْرَ أَنْ يَأْخُذَهُمْ، فَالْتَطَمَ عَلَيْهِمْ، وَغَرَقَهُمْ أَجْمَعِينَ، وَكَانَ بَيْنَ طَرَفِي الْبَحْرِ أَرْبَعَةُ فَرَاسِخَ، وَهُوَ بَحْرُ قُلْزُومٍ طَرَفٌ مِنْ بَحْرِ فَارَسَ، وَالْقُلْزُومُ - بَضْمُ الْقَافِ

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٧٧ - ٢٧٨)، عن السدي وابن زيد.

وسكون اللام وضَمُّ الزاي وميم -: بُليدةٌ كانت على ساحل البحر من جهة مصر، وبينها وبين مصر نحو ثلاثة أيام، وقد خربت، ويعرف اليوم موضعها بالشَّوَيْس تجاه عجرود، منزل ينزلُ الحاجُّ المتوجِّه من مصر إلى مكة، وبالقرب منها غرق فرعون، وذلك بمراى من بني إسرائيل^(١)، فذلك قوله عز وجل .

﴿وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾ إلى مصارعهم .

﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ .

[٥١] ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا﴾ قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب: (وَعَدْنَا) بقصر الألف من الوعد، والباقون: (وَأَعَدْنَا) بألف^(٢)، من المواعدة .

﴿مُوسَىٰ﴾ اسم عبري عُرِّب، سُمِّي به لأنَّ تابوته وُجد بين الماء والشجر، والماء في لغتهم مو، والشجرُ شا، ثم قلبت الشين المعجمة سيناً في العربية . قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف (مُوسَى) بالإمالة

-
- (١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٧٦/١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧٩/٦١) .
 (٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١٧٣/١)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ٩٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٦)، و«الكشف» لمكي (٩٣/١، ٢٤٠)، و«تفسير البغوي» (٤٩/١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢١٢/٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ١٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥٥/١) .

حيث وقع^(١)، وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل - عليهم السلام -، عاش موسى مئة وعشرين سنة، ومات في سابع آذار لمضي ألف وست مئة وست وعشرين سنة من الطوفان، وبين وفاته والهجرة الشريفة الإسلامية ألفان، وثلاث مئة، وثمان وأربعون سنة، وقبره شرقي بيت المقدس، بينهما مرحلة.

﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ أي: انقضاءها. قرأ الكسائي (لَيْلَةً) بإمالة اللام حيث وقف على هاء التأنيث، وقرن بالليل دون النهار؛ لأن شهور العرب وضعت على سير القمر، وذلك أن بني إسرائيل لما آمنوا من عدوهم، ودخلوا مصر، لم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون إليها، فوعد الله موسى أن ينزل عليه التوراة، فقال موسى: إني ذاهب لميقات ربي آتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون به وما تذكرون، وواعدهم أربعين ليلة: ثلاثين من ذي القعدة، وعشرًا من ذي الحجة، وقيل: ذو الحجة، وعشر من المحرم، واستخلف عليهم أخاه هارون، فلما أتى الوعد، جاء جبريل - عليه السلام - على فرس يقال له: فرس الحياة، لا تصيب شيئاً إلا حيي؛ ليذهب بموسى إلى ربه، فلما رآه السامري، وكان رجلاً صائغاً من بني إسرائيل من قبيلة يقال لها: سامرة، واسمه ميخا - بكسر الميم وسكون الياء آخر الحروف، وفتح الخاء المعجمة وبعدها ألف -، وكان منافقاً، أظهر الإسلام، وكان من قوم يعبدون البقر، فلما رأى جبريل على تلك الفرس، ورأى موضع قدم الفرس يخضر في الحال، قال: إن لهذا شأنًا، وأخذ قبضة من تربة حافر فرس

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ١١٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدبياطي (ص: ١٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٥٦).

جبريلَ. قال عِكرمة: ألقى في رُوعِهِ أنه إذا ألقى في شيءٍ، غيَّرَهُ، وكان بنو إسرائيل قد استعاروا حُلِيًّا كثيرةً من قوم فرعون؛ حين أرادوا الخروج من مصرَ بعلَّةَ عرسٍ لهم، فأهلكَ الله فرعونَ، وبقيت تلك الحليُّ لهم في أيدي بني إسرائيل، فلما فصل موسى، قال السامري لبني إسرائيل: إن الحليَّ التي استعرتموها من قوم فرعونَ غنيمةٌ لا تحِلُّ لكم، فاحفروا حفرةً وادفنها فيها حتى يرجعَ موسى، فيرى فيها رأيه، فلما اجتمعتِ الحليُّ صاغها السامريُّ عِجلاً في ثلاثة أيام، ثم ألقى فيها القبضةَ التي أخذها من ترابِ فرسِ جبريلَ، فخرج عِجلاً من ذهبٍ مُرَصَّعاً بالجواهر كأحسن ما يكونُ، وخار خَوَرةً، فقال السامري: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسَى﴾ [طه: ٨٨]، أي: فتركه هاهنا، وخرج يطلبه، وكان بنو إسرائيل قد اختلفوا الوعد، فعدوا اليومَ مع الليلة يومين، فلما مضى عشرون يوماً، ولم يرجعَ موسى، وقعوا في الفتنة، وعبدوا العجلَ كُلَّهُم إلا هارونَ مع اثني عشر ألفَ رجلٍ^(١)، فذلك قوله تعالى:

﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ إِلَهًا.

﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد ذهابه إلى الطور. قرأ ابنُ كثيرٍ، وحفصٌ، ورويسٌ: (اتَّخَذْتُمْ) حيث وقع بإظهار الذال، والباقون بإدغامها.

﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ ضارُّون لأنفسِكُم بالمعصية، واضعون العبادة في غير موضعها.

(١) وانظر: «تفسير الطبري» (١/ ٢٨٢).

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ .

[٥٢] ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا﴾ محونا .

﴿عَنْكُمْ﴾ ذنوبكم .

﴿مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ من بعد عبادتكم العجل لَمَّا تَبْتِم . قرأ أبو عمرو: (مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) بإدغام الدال في الذال^(١)، وشبهه حيث وقع .

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ لكي تشكروا، وشكرُ كلِّ نعمةٍ أَلَّا يُعْصِيَ اللهُ بَعْدَ تلك النعمة^(٢) .

﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ .

[٥٣] ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يعني: التوراة .

﴿وَالْفُرْقَانَ﴾ هو التوراة أيضاً، ذكرها باسمين، وكرّر المعنى لاختلاف اللفظ، ولأنه زاد في معنى التفرقة بين الحق والباطل، ولفظة الكتاب لا تعطي ذلك .

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ بالتوراة .

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٧٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٠)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١١٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٥٦) .

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٥٠) .

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَثَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥٤﴾ .

[٥٤] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ الذين عبدوا العجل :

﴿يَنْقُومِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ﴾ أي ^(١) : أضررتكم ^(٢) .

﴿أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ إلهاً، قالوا : فما نصنع؟ قال :

﴿فَتُوبُوا﴾ أي : فارجعوا .

﴿إِلَى بَارِيكُمْ﴾ خالقكم . قرأ الدوري عن الكسائي : (باريكم) بإمالة الألف في الموضعين ، واختلفَ عن أبي عمرو في اختلاس كسرة الهمزة ، وإسكانها من (باريكم) في الحرفين ، فقرأ الدوري عنه بالاختلاس ، وقرأ السوسي بالإسكان ، وقرأ الباقر بإشباع الحركة ^(٣) . قالوا : كيف نتوب؟ قال :

﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ يعني : ليقتل البريء منكم المجرم .

﴿ذَلِكَ﴾ أي : القتل .

(١) «أي» : سقطت من «ن» .

(٢) في «ط» : «صررتكم» .

(٣) انظر : «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٧٦) ، و«الحجة» لأبي زرعة (ص : ٩٦) ، و«السبعة» لابن مجاهد (ص : ١٥٥) ، و«الكشف» لمكي (٢٤٠) ، و«الغيث» للصفاسي (ص : ١١٤ ، ١١٦) ، و«التيسير» للداني (ص : ٧٣) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٢) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ١٣٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٥٧) .

﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ ﴾ فلما أمرهم موسى بالقتل، قالوا: نصبرُ لأمر الله، فجلسوا بالأفنية مُحْتَبِينَ؛ أي: مُتَّصِينَ رُكْبَهُمْ، وقيل لهم: من حلَّ حبوتَه، أو مدَّ طَرْفَه إلى قاتله، أو اتقى بيدٍ أو رجلٍ، فهو ملعونٌ مردودةٌ توبته، وأصلَت القومُ عليهم الخناجرَ، فكان الرجلُ يرى ابنه وأخاه وأباه وقريبه وصديقه وجاره، فلم يمكنهم إلا المضيُّ لأمر الله، قالوا: يا موسى! كيف نفعل؟ فأرسل الله عليهم ضباباً وسحابةً سوداء لا يُبصر بعضهم بعضاً، وكانوا يقتلونهم إلى المساء، فلما كثر القتلُ، دعا موسى وهارونُ، وبُكياً وتضرعاً، وقالوا: يا رب! هلكتُ بنو إسرائيلَ البقيةَ البقيةَ، فكشف الله السحابةَ، وأمرهم أن يكفُّوا عن القتل، فتكشفت عن ألوفٍ من القتلى، فاشتدَّ ذلك على موسى، فأوحى الله إليه: أما يرضيك أن أدخلَ القاتلَ والمقتولَ منهم الجنة؟ فكان من قُتل منهم شهيداً، ومن بقي منهم مكفراً عنه ذنوبه^(١)، فذلك قوله تعالى:

﴿ فَتَابَ ﴾ أي: إن فعلتم ذلك فقد تاب.

﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ تجاوزَ عنكم.

﴿ إِنَّهُ هُوَ الْوَّابُ ﴾ القابل للتوبة.

﴿ الرَّحِيمُ ﴾ قرأ أبو عمرو: (إِنَّهُ هُوَ) بإدغام الهاء في الهاء.

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسُ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾

(١) وانظر: «تفسير الطبري» (١/٢٨٦)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/١١١).

[٥٥] ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ أي: لأجل قولك .

﴿حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ وذلك أن الله - عز وجل - أمر موسى - عليه السلام - أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، فاختار موسى سبعين رجلاً من قومه من خيارهم، وقال لهم: صوموا، وتطهّروا، وطهّروا ثيابكم، ففعلوا، فخرج بهم موسى إلى طور سيناء لميقات ربّه، فقالوا لموسى: اطلب لنا نسمع كلام ربّنا، فقال: أفعل، فلما دنا موسى إلى طور سيناء من الجبل، وقع عليه عمود الغمام، وتغشى الجبل كلّهُ، فدخل في الغمام، وقال للقوم: ادنو، فدنا القوم حتى دخلوا في الغمام، وخرجوا سُجّداً، وكان موسى إذا كلّمه ربّه، وقع على وجهه نورٌ ساطعٌ لا يستطيع أحدٌ من بني آدم أن ينظر إليه، فضرب دونه الحجاب، وسمعوه وهو يكلم موسى، يأمره وينهاه، وأسمعهم الله: إني أنا الله لا إله إلا أنا ذو بكة؛ أي: صاحب مكة، أخرجتكم من أرض مصر بيدٍ شديدة، فاعبدوني ولا تعبدوا غيري، فلما فرغ موسى، وانكشف الغمام، أقبل إليهم، فقالوا له: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ معيّنة^(١)، وذلك أن العرب تجعل العلم بالقلب رؤيةً، فقال: جهرة؛ ليُعلم أن المراد منه العيان.

﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ أي: الموت، وقيل: جاءت نارٌ من السماء فأحرقتهم.

﴿وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ﴾ أي: ينظر بعضكم إلى بعض حين أخذكم الموت، فلما هلكوا، جعل موسى يبكي ويتضرّع ويقول: ماذا أقول لبني إسرائيل إذا

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/٢٥١).

أَتَيْتُهُمْ، وقد أَهْلَكَتْ خِيَارَهُمْ، ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنِّي أَتْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ [الأعراف: ١٥٥]، فلم يزل يناشدُ رَبَّهُ حتى أَحْيَاهُمْ اللهُ رجلاً بعدَ
رجل بعد ما ماتوا يوماً وليلة، ينظرُ بعضهم إلى بعضٍ كيف يُحْيُونَ، وذلك
قوله:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٥٦﴾.

[٥٦] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكَ﴾ أحييناكم، والبعثُ: إثارة الشيء عن محله، يقال:
بعثت البعير، وبعثت النائم فانبعث.

﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ﴾ قال قتادة: أحياهم ليستوفوا بقية آجالهم
وأرزاقهم^(١)، ولو ماتوا بآجالهم، لم يبعثوا.
﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ فعالي.

﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ
مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٥٧﴾.

[٥٧] ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ في التيه يقيكم حرَّ الشمس، والغمامُ
جمعُ غمامةٍ، من الغمِّ، وأصله التَّغْطِيَةُ والسَّتْرُ، سُمِّيَ السحابُ غماماً؛ لأنه
يغطي وجه الشمس، وذلك أنه لم يكن لهم في التيه كِنٌّ يسترهم، فشكوا إلى
موسى - عليه السلام -، فأرسل الله غماماً أبيضَ رقيقاً أطيَّب من غمام

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٩٢/١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره»
(١١٢/١).

المطر، وجعل لهم عموداً من نور يضيء لهم الليل إذا لم يكن قمرٌ.

﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى﴾ أي: في التيه، والأكثرون على أن المَنَّاء هو الترنجيب، وقيل: هو شيء يتساقط على الشجر كالصمغ، حلوا الطعام، فكان هذا المَنَّاء كل ليلة يقع على أشجارهم مثل الثلج، لكل إنسان منهم صاع، فقالوا: يا موسى! قتلنا هذا المَنَّاء بحلاوته، فادع لنا ربك أن يطعمنا اللحم، فأنزل الله عليهم السَّلْوَى، وهو طائر يشبه السَّمَان، فكان الله يُنزل عليهم المَنَّاء والسَّلْوَى كلَّ صباح من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فيأخذ كل واحدٍ منهم ما يكفيه يوماً وليلة، وإذا كان يوم الجمعة، أخذ كل واحدٍ منهم ما يكفيه ليومين؛ لأنه لم يكن ينزل يوم السبت.

﴿كُلُوا﴾ أي: وقلنا لهم: كلوا.

﴿مِنْ طَيِّبَاتٍ﴾ أي: حلالات.

﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ولا تدخروا الغد، ففعلوا، فقطع الله ذلك عنهم، ودوّد وفسد ما ادخروا، فقال الله تعالى:

﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ وما بخسوا حقنا.

﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ باستيجابهم عذابي، وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا مؤنة في الدنيا، ولا حساب في العقبى.

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

[٥٨] ﴿وَادْقُلْنَا﴾ لهم لما رجعوا من التيه :

﴿أَدْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ سميت القرية قرية؛ لأنها تجمع أهلها، ومنه :
المِقرأة للحَوْض؛ لأنها تجمع الماء، والقرية: بيت المقدس، وقيل غيره .
﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ موسعاً عليكم . قرأ أبو عمرو (حَيْثُ
شِئْتُمْ) بإدغام الثاء في الشين، وقرأ أيضاً هو وأبو جعفر وورش : (شِئْتُمْ)
بياء ساكنة بغير همز .

﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾ يعني : باباً من أبواب القرية، وكان لها سبعة أبواب،
وقيل : باب المسجد .

﴿سُجِّدَا﴾ أي : رُكَّعاً خُضَّعاً مُنْحَنِين .

﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ أي : حُطَّ عَنَّا خطايانا، أمروا بالاستغفار .

﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾ من الغفر، وهو السَّتر، فالمغفرة تستر الذنوب .

قرأ نافع، وأبو جعفر : (يُغْفَرُ) بالياء آخر الحروف مضمومة، وابن عامر :
(تُغْفَرُ) بقاء مضمومة، واتفقوا على فتح الفاء، والباقون : بنون مفتوحة
وكسر الفاء^(١)، وروى عن أبي عمرو إدغامُ الراء في اللام من (نَغْفِرْ
لَكُمْ)^(٢)، وروى عنه إظهارها، والوجهان عنه صحيحان، وقرأ الكسائي :

(١) انظر : «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٨٠)، و«الحجة» لأبي زرة (ص : ٩٨)،
و«السبعة» لابن مجاهد (ص : ١٥٦)، و«الكشف» لمكي (٢٤٢)، و«تفسير
البغوي» (١/ ٥٣)، و«التيسير» للداني (ص : ٧٣)، و«النشر في القراءات العشر»
لابن الجزري (٢١٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ١٣٧)،
و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٥٩) .

(٢) انظر : «الحجة» لابن خالويه (ص : ٨٠)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٤٣)،
و«الغيث» للصفاسي (ص : ١١٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : =

(خَطَايَاكُمْ، وَخَطَايَانَا) بِإِمَالَةِ فَتْحَةِ الْيَاءِ حَيْثُ وَقَعَ^(١).

﴿وَسَزَيْدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ثَوَاباً مِنْ فَضْلِنَا.

﴿فَبَدَّنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾^(٥٩).

[٥٩] ﴿فَبَدَّلَ﴾ فَغَيَّرَ.

﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أَنْفُسَهُمْ وَقَالُوا:

﴿قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِمُ، وَقَالُوا بَلْغَتِهِمْ حِطَاءٌ سَمَقَانًا اسْتَهْزَأَ؛ أَي: حَنْطَةً حَمْرَاءَ، وَرَوَى أَنَّهُمْ قَالُوا: حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ. قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ: (قَوْلًا غَيْرَ) بِإِخْفَاءِ التَّنْوِينِ عِنْدَ الْغَيْنِ، وَأَبُو عَمْرٍو (قِيلَ لَهُمْ) بِإِدْغَامِ اللَّامِ فِي اللَّامِ^(٢)، وَتَقَدَّمَ^(٣) ضَمُّ الْهَاءِ وَصَلَةُ الْمِيمِ مِنْ (عَلَيْهِمْ وَإِلَيْهِمْ) وَنَحْوِهِمَا.

﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا﴾ أَي: عَذَابًا.

﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾ قِيلَ: أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ طَاعُونًا، فَهَلَكَ مِنْهُمْ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ سَبْعُونَ أَلْفًا.

= (١٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٦٠).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٦)، و«تفسير الرازي» (١/ ٣٦٠)،

و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٦٠).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٧)، و«معجم القراءات

القرآنية» (١/ ٦١).

(٣) عند تفسير الآية (٧) من سورة الفاتحة.

﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ يعصون ويخرجون من أمر الله تعالى .

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۖ﴾

[٦٠] ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾ طلب الشُّقْيَا .

﴿لِقَوْمِهِ﴾ وذلك أنهم عطشوا في التيه، فسألوا موسى أن يستسقي لهم، ففعل، فأوحى الله إليه كما قال :

﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ وكانت العصا من آس الجنة، طولها عشرة أذرع على طول موسى، ولها شُعْبَتَانِ تَتَّقِدَانِ في الظلمة نوراً، واسمها عَلِيقٌ، حملها آدَمُ من الجنة، فتوارثها الأنبياءُ حتى وصلت إلى شُعَيْبٍ، فأعطاه موسى . وأما الحجرُ، فقال ابنُ عباسٍ : كَانَ حَجَرًا خَفِيفًا مَرَبَّعًا على قدرِ رأسِ الرجل، كان يضعُهُ في مَخْلَاتِهِ، فإذا احتاجوا إلى الماء، وضعَهُ وضربَهُ بعصاته، فإذا فرغوا، وأراد موسى حملَهُ، ضربَهُ بعصاته، فيذهبُ الماءُ، وكان يسقي كلَّ يومٍ ستَّ مئةِ ألفٍ . وقال سعيد بن جبیر : هو الحجرُ الذي وضعَ موسى ثوبَهُ عليه ليغتسلَ، ففرَّ بثوبه، ومرَّ به على ملاٍّ من بني إسرائيل حينَ رَمَوْهُ بِالْأَدْرَةِ، فلما وقف، أتاها جبريلُ فقالَ : إن الله تعالى يقولُ لك : ارفعْ هَذَا الحجرَ ؛ فَإِنَّ لِي فِيهِ قُدْرَةٌ، ولك فيه معجزةٌ، فرفعَهُ ووضعَهُ في مَخْلَاتِهِ^(١) .

(١) انظر : «تفسير البغوي» (١/ ٧٧) .

﴿فَانفَجَرَتْ﴾ أي: سالت .

﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ على عدد الأسباط .

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ﴾ لا يدخل سبطٌ على غيره في شربه .

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ أي: وقلنا لهم: كلوا من المن والسلوى، واشربوا

من الماء، فهذا كله :

﴿مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾ الذي يأتيكم بلا مشقة .

﴿وَلَا تَعْتَوِفِ الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ والعنيفة^(١): أشدُّ الفساد .

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسُ لَنْ نَصِيرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا
تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ
أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبطُوا مَصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ
مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَنةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا
عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ .

[٦١] ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسُ لَنْ نَصِيرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ وذلك أنهم كرهوا
وسموا من أكل المن والسلوى، وإنما قال: طعام واحد، وهما اثنان؛ لأن
العرب تعبر عن الاثنين بلفظ الواحد، كما تعبر عن الواحد بلفظ الاثنين؛
كقوله: ﴿يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤَ وَالْمَرْجَاتُ﴾ [الرحمن: ٢٢]، وإنما يخرج من المالح
دون العذب .

(١) في «ت» و«ط»: «العيث»، وجاء على هامش «ظ»: «وصوابه: العثي» .

﴿ فَادْعُنَا ﴾ فاسأل لأجلنا .

﴿ رَبِّكَ يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا تُثْمِتُ الْآرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومَهَا ﴾ والفوم :
الخبز ، أو الحنطة ، وقيل : الثوم .

﴿ وَعَدَسِيهَا وَبَصِلَهَا قَال ﴾ لهم موسى :

﴿ اَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى ﴾ أَحْسَنُ وَأَزْدَأُ .

﴿ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾ أشرف وأفضل ، وجعل الحنطة أدنى في القيمة ،
وإن كان هو خيراً من المن والسلوى ، وأراد به أسهل وجوداً على العادة .

﴿ أَهْبِطُوا مِصْرًا ﴾ يعني : وإن أبيتم إلا ذلك ، فانزلوا مصرًا من
الأمصار .

﴿ فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ من نبات الأرض .

﴿ وَضَرَبْتَ ﴾ جُعِلَتْ .

﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ وألزموا .

﴿ الدَّلَّةُ ﴾ الدُّلُّ والهوان بالجزية ، وهو ضدُّ العزِّ .

﴿ وَالْمَسْكَنَةُ ﴾ الفقر ، سُمِّيَ الفقير مسكيناً ؛ لأنَّ الفقر أسكنه وأقعده عن

الحركة ، فترى اليهود - وإن كانوا أغنياء - كأنَّهم فقراء ، فلا يرى في أهل المال
أذلُّ وأحرصُّ على المال من اليهود . قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف : (عَلَيْهِمْ
الدَّلَّةُ) و ﴿ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة : ١٦٦] وشبهه : بضم الهاء والميم في الوصل
حيث وقع ، ووافقهم يعقوب في (عَلَيْهِمُ الدَّلَّةُ) وشبهه ، ونافع ، وابنُ عامر ،
وأبو جعفر ، وابنُ كثير ، وعاصمٌ يكسرون الهاء ، ويضمون الميم ، وأبو عمرو

يكسرهما، ووافقه يعقوبُ في ﴿بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦] وشبهه^(١).

﴿وَبَاءُ﴾ رجعوا.

﴿يَغْضَبُ مِنَ اللَّهِ﴾ ولا يقال: بَاءٌ إلا إذا رجعَ بشر.

﴿ذَلِكَ﴾ الغضب.

﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ بصفة محمد ﷺ، وآية الرجم في التوراة، ويكفرون بالإنجيل والقرآن.

﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيْنَ﴾ كشعيا وزكريا ويحيى. قرأ نافع (النَّبِيِّنَ، وَالنَّبِيِّوْنَ، وَنَبِيِّهُمْ، وَالْأَنْبِيَاءَ، وَالتُّبُوَّةَ، وَالنَّبِيَّ) بالمدِّ والهمز حيث وقع، فيكون معناه المخبر من أنبا ينيء؛ لأنه إنباء عن الله، وخالفه قالون في حرفين في الأحزاب يأتي ذكرهما في محلّهما - إن شاء الله تعالى - . وقرأ الباقر: بترك الهمز^(٢)، وله وجهان: أحدهما: هو أيضاً من الإنباء، تُركت الهمزة فيه تخفيفاً؛ لكثرة الاستعمال، والثاني: هو بمعنى الرفع، مأخوذاً من النبوة، وهو المكان المرتفع.

﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي: بلا جرم.

﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ يتجاوزون أمري، ويرتكبون محارمي.

(١) انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٠)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١١٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٦٤-٦٥، ١٣٣).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٩٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٠-٨١)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٤٤)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١١٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٦٥).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [٦٢]

[٦٢] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ على الحقيقة.

﴿ وَالَّذِينَ هَادُوا ﴾ يعني: اليهود، سموا به^(١) لقولهم: ﴿ إِنَّا هَدَانَا إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]؛ أي: ملنا إليك، وقيل^(٢): لأنهم هادوا؛ أي: تابوا عن عبادة العجل، وقال أبو عمرو بن العلاء: لأنهم يتهودون؛ أي: يتحركون عند قراءة التوراة، ويقولون: إِنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ تَحَرَّكَتْ حِينَ آتَى اللَّهُ مُوسَى التَّورَةَ.

﴿ وَالصَّابِرِينَ ﴾ سُمُّوا به؛ لقولهم: ﴿ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾ [الصف: ١٤]، وقيل: لأنهم نزلوا قرية، وقالوا لها: ناصرة، وقيل: لاعتزائهم إلى نصرّة، وهي قرية كان ينزلها عيسى - عليه السلام -^(٣).

﴿ وَالصَّابِرِينَ ﴾ جمع صابىء، أصله الخروج، يقال: صَبَأَ فلانٌ: إذا خرجَ من دينٍ إلى دينٍ آخرَ، وهم قومٌ عدلوا عن اليهودية والنصرانية، وعبدوا الملائكة، ويستقبلون القبلة، ويوحّدون الله، ويقرؤون الزبور. قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف (والنصارى) حيث وقع بالإمالة، والباقون بالفتح، فمن قرأ بالإمالة رَقَّقَ الراء، ومن قرأ بالفتح، فَحَمَّهَا^(٤)،

(١) في «ت»: «بهم».

(٢) «وقيل» سقطت من «ت».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٧٩/١).

(٤) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي =

وقرأ أبو جعفر، ونافع: (الصَّابِينَ وَالصَّابُونَ) بغير همز، والباقون بالهمز^(١).

﴿مَنْ﴾ شرطٌ محلُّه رفع مبتدأ، خبره:

﴿ءَامَنَ﴾ أي: من الكفار.

﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ بالقلب واللسان.

﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ وجواب الشرط.

﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ الذي يستوجبونه امتناناً.

﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة. تلخيصه: من أخلص إيمانه، وأصلح عمله، دخل الجنة.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ
وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١٣).

[٦٣] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ أي: عهدكم يا معشر اليهود.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ وهو الجبل بالسريرية، رفع الله فوق رؤوسهم الطور، وذلك أن الله تعالى أنزل التوراة على موسى، فأمر موسى قومه أن

= (ص: ١٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٦٥).

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١١٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٤٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدبياطي (ص: ١٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٦٦).

يَقْبِلُوهَا وَيَعْمَلُوا بِأَحْكَامِهَا، فَأَبَوْا؛ لَمَا فِيهَا مِنَ الْآصَارِ وَالْأَثْقَالِ، وَكَانَتْ شَرِيعَةً ثَقِيلَةً، فَأَمَرَ اللَّهُ جَبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَقَلَعَ جَبَلًا عَلَى قَدَرِ عَسْكَرِهِمْ، وَكَانَ فَرْسَخًا فِي فَرْسَخٍ، فَرَفَعَهُ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ مَقْدَارَ قَامَةِ الرَّجُلِ كَالظُّلَّةِ؛ أَي: كَالسَّحَابَةِ، وَقَالَ لَهُمْ: إِنْ لَمْ تَقْبِلُوا التَّوْرَةَ، أَرْسَلْتُ هَذَا الْجَبَلَ عَلَيْكُمْ، وَبَعَثَ نَارًا مِنْ قَبْلِ وَجُوهِهِمْ، وَأَتَاهُمُ الْبَحْرُ الْمَالِحُ مِنْ خَلْفِهِمْ.

﴿ خُذُوا ﴾ أَي: وَقَلْنَا لَهُمْ: ﴿ خُذُوا ﴾.

﴿ مَا آتَيْنَاكُمْ ﴾ أَعْطَيْنَاكُمْ.

﴿ بِقُوَّةٍ ﴾ بِجِدِّ وَاجْتِهَادٍ وَمَوَاطِبَةٍ.

﴿ وَادْكُرُوا ﴾ وَعَلِّمُوا وَادْرُسُوا.

﴿ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ لَكِي تَنْجُو مِنَ الْهَلَاكِ فِي الدُّنْيَا، وَالْعَذَابِ فِي الْعَقَبَى، فَإِنْ قَبِلْتُمْ، وَإِلَّا رَضَخْتُكُمْ بِهَذَا الْجَبَلِ، وَغَرَّقْتُكُمْ فِي الْبَحْرِ، وَأَحْرَقْتُكُمْ بِهَذِهِ النَّارِ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنْ لَا مَهْرَبَ لَهُمْ مِنْهَا، قَبِلُوا، وَسَجَدُوا، وَجَعَلُوا يَلَاحِظُونَ الْجَبَلَ وَهُمْ سَاجِدُونَ، فَصَارَتْ سُنَّةً فِي الْيَهُودِ، لَا يَسْجُدُونَ إِلَّا عَلَى أَنْصَافِ وُجُوهِهِمْ، وَيَقُولُونَ: بِهَذَا السَّجُودِ رُفِعَ الْعَذَابُ عَنَّا^(١).

﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [٦٤].

[٦٤] ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ أَي: أَعْرَضْتُمْ.

﴿ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ أَي: مِنْ بَعْدِ مَا قَبِلْتُمُ التَّوْرَةَ.

(١) «عنا» سقطت من «ن».

﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ بالإمهال وتأخير العذاب عنكم .

﴿ لَكُنْتُمْ ﴾ أي : لصرتم .

﴿ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ أي : المغبونين بالعقوبة ، وذهاب الدنيا والآخرة ، كأنه رحمهم بالإمهال .

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [٦٥] .

[٦٥] ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ ﴾ أي : جاوزوا الحدَّ ، وأصلُ السَّبْتِ : القطع ، وسمي بذلك يوم السبت ، لأن الله تعالى قطع فيه الخلق ، وقيل : لقطع أشغالهم فيه ، وتعظيمه بترك العادات ، والإتيان بالعبادات .

واختلف هل للقاضي أن يُحضر اليهودي^(١) إلى مجلس الحكم في يوم السبت لسماع دعوى خصمه ، وإلزامه بما يثبت عليه ؟ فمذهب الشافعي : يُحضر يوم السبت ، ويُكسر سبته عليه ، وهو ظاهرُ عبارة الحنفية في كتبهم ؛ لإطلاقهم أن القاضي يحكم بين أهل الذمَّة إذا ترافعوا إليه بحكم الإسلام .

واختلف في مذهب مالك في كراهة طلبه ، فقيل : يُكره طلبه وتمكين خصمه من ذلك ، وقيل : يجوز من غير كراهة ، واختار البساطي من علماء المالكية أنه يُمنع المسلم من طلبه ، إلا أن تقوم القرائن أن المسلم اضطرَّ إلى ذلك ، ولم يقصد ضرراً .

(١) في «ت» : «اليهود» .

وعند أحمد: ليس للقاضي إحضاره يوم السبت؛ لبقاء تحريمه عليه،
وروى أحمد عن النبي ﷺ حديثاً منه. «وَأَنْتُمْ يَهُودٌ عَلَيْكُمْ خَاصَّةٌ أَلَّا تَعْدُوا
فِي السَّبْتِ»^(١)، ولهذا لا يُكره امرأته على إفساده، مع تأكُّدِ حقِّه.

والقصةُ في السبت أنهم كانوا في زمانِ داودَ - عليه السلام - بأرضٍ يُقال
لها: أيلة، حرَّم الله عليهم صيدَ السمكِ يومَ السبت، فكانوا إذا دخلَ عليهم
السبتُ، لم يبقَ حوتٌ في البحرِ إلا اجتمعَ هناك، حتى يُخرجنَ خراطيمهنَّ
من الماء؛ لأمنها، حتى لا يرى الماءُ من كثرتها، فإذا مضى السبتُ،
تفرَّقنَ، ولزمنَ مقلَ البحر، فلا يرى شيءٌ منها، فذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا
تَأْتِيَهُمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْطُونَ لَا تَأْتِيَهُمْ﴾^(٢)
[الأعراف: ١٦٣]، ثمَّ إِنَّ الشَّيْطَانَ وَسْوَاسَ إِلَيْهِمْ، وقال: إنما نُهيئُهم عن أخذها
يومَ السبتِ، فعمدَ رجالٌ فحفروا الحِياضَ حولَ البحرِ، وشَرَّعوا منه إليها
الأنهارَ، فإذا كانت عشيَّةُ الجمعة، فتحوا تلكَ الأنهارَ، فأقبلَ الموجُ
بالحيتانِ إلى الحِياضِ يومَ السبتِ، فلا يقدرُونَ على الخروجِ، لبعْدِ عمقِها،
وقلَّةِ مائها، فإذا كانَ يومُ الأحدِ، أخذوها، ففعلوا ذلكَ زماناً، ولم تنزلْ
عليهم عقوبةٌ، فتجرؤوا على الذنبِ، وقالوا: ما نرى السبتَ إلا قد حلَّ لنا،
فأخذوا وأكلوا، وملَّحوا وباعوا، وأثروا، وكثُرَ ما لهم، فلما فعلوا ذلكَ،
صارَ أهلُ القريةِ - وكانوا نحواً من سبعين ألفاً - ثلاثةَ أصنافٍ: صنفٌ أمسكَ

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٩/٤)، والنسائي (٤٠٧٨)، كتاب: تحريم
الدم، باب: السحر، والترمذي (٣١٤٤)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة
بني إسرائيل، وقال: حسن صحيح، وغيرهم، عن صفوان بن عسال - رضي الله
عنه -.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٣٢/١)، عن السدي.

ونهى، وصنّف أَمْسَكَ ولم يَنْهَ، وصنّف انتَهَكَ الحرمة، فلما أبى المجرمون قبولَ نُصَحِهِمْ، قالوا: والله لا نُسَاكِنُكُمْ في قرية واحدة، فقسموا القرية بجدار، واستمروا كذلك سنين، فلعنهم داود، وغضب الله عليهم؛ لإصرارهم على المعصية، فخرج الناهون ذات يوم من بابهم، ولم يخرج من المجرمين أحد، ولم يفتحوا بابهم، فلما أبطؤوا، تسوّروا عليهم الحائط، فإذا هم جميعاً قِرْدَةً لها أذنان يتعاوون، فمكثوا ثلاثة أيام، ثم هلكوا، ولم يتوالدوا^(١)، قال الله تعالى:

﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا﴾ أمرٌ تحويل وتكوين؛ أي: صيروا.

﴿قِرْدَةً خَلِيشِينَ﴾ مبعدين مطرودين، والخساء: الطرد والإبعاد. قرأ الكسائي (قِرْدَةً) بإمالة الدال حيث وقف على هاء التأنيث.

﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٦٦).

[٦٦] ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ أي: عقوبتهم بالمسخ.

﴿نَكَالًا﴾ أي: عقوبة وعبرة^(٢)، والنكال: اسمٌ لكل عقوبة ينكل الناظر من فعل ما جعلت العقوبة جزاءً عليه، ومنه النكول عن اليمين، وهو الامتناع، وأصله من النكل، وهو القيد، وجمعه أنكال.

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ أي: جعلنا تلك العقوبة جزاءً لما تقدّم من ذنوبهم قبل نهيمهم عن أخذ الصيد.

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/٣٣٢).

(٢) «وعبرة» سقطت من «ت».

﴿وَمَا خَلَفَهَا﴾ وما حضرت من الذنوب التي أخذوا بها، وهي العصيان بأخذ الحيتان.

﴿وَمَوْعِظَةً﴾ أي: تذكرة.

﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ للمؤمنين من أمة محمد ﷺ، فلا يفعلون مثل فعلهم.

ويأتي ذكرُ آيلة ومحلّها في سورة الأعراف عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ [الأعراف: ١٦٣] إن شاء الله تعالى.

واختلف الأئمة في جواز الحيلة، وهو فعل ما ظاهره مباحٌ ويُتوصّلُ به إلى محرّم، فسَدَّ الذرائعَ مالكٌ وأحمدٌ، ومنعاهُ منه، وأباحه أبو حنيفة والشافعي.

والحيلة: اسمٌ من الاحتيال، وهي التي تحوّل المرءَ عمّا يكره إلى ما يُحبُّ.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنُخِذْنَا هَٰذَا قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

[٦٧] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، وورش: (يَأْمُرُكُمْ) بغير همز، والباقون بالهمز، واختلف عن أبي عمرو في اختلاس ضمّة الراء وإسكانها من (يَأْمُرُكُمْ، وَيَأْمُرُهُمْ، وَيَنْصُرُكُمْ، وَيُشْعِرُكُمْ) حيث وقع ذلك، فقرأ الدوري عنه بالاختلاس، وقرأ السوسي بالإسكان، وقرأ الباقر بإشباع

الحركة^(١)، والهاء في (بقرة) ليست للتأنيث، وإنما هي لتدلّ على أنها واحدة من جنس؛ كالبطة، والدجاجة، ونحوهما، وهي مأخوذة من البقر، وهو الشق، سميت به؛ لأنها تشق الأرض للحراثة.

والقصة فيه أنه كان في بني إسرائيل رجلٌ غني، وله ابنٌ عمٌ فقيرٌ لا وارث له سواه، فلما طال عليه موته قتلَه ليرثه، وحمله إلى قريةٍ أخرى، فألقاه بفنائهم، ثم أصبح يطلبُ ثأره، وجاء بناسٍ إلى موسى يدّعي عليهم القتل، فسألهم موسى، فجحّدوا، فاشتبه أمرُ القتل على موسى، وذلك قبلَ نزول القسامة في التوراة، فسألوا موسى أن يدعو الله؛ لبيّنَ لهم بدعائه، فدعا موسى - عليه السلام - فأمرهم بذبح بقرة، فقال لهم موسى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾.

﴿قَالُوا أَنْتَجِدُهَا هُزْؤًا﴾ أي: تستهزئ بنا، نحن نسألك عن أمر القتل، وتأمّرنا بذبح البقرة، وإنما قالوا ذلك؛ لبعْدِ ما بينَ الأمرين في الظاهر، ولم يدروا ما الحكمة فيه. قرأ حمزة، وخلف: (هُزْؤًا) بجزم الزاي، وقرأ الباقون بضم الزاي، وحفص بإبدال الهمزة واو^(٢).

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/١٨٤)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١١٨)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/٢٥)، و«البحر المحيط» لأبي حيّان (١/٢٤٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٦٧-٦٨).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/١٨٤)، و«الحجة» لأبي زرة (ص: ١٠١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٧-١٥٨)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨١-٨٢)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١١٨)، و«الكشف» لمكي (١/٢٤٧)، و«تفسير البغوي» (١/٦٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٤)، =

﴿ قَالَ مُوسَى :

﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ ﴾ أمتنع بالله .

﴿ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ المستهزئين ؛ لأن الهزء من أفعال الجاهلين ، فلما علم القوم أن ذبح البقرة عزم من الله - عز وجل - استوصفوه ، ولو أنهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها ، لأجزأت عنهم ، ولكنهم شددوا ، فشدد الله عليهم ، وكانت تحته حكمة ، وذلك أنه كان في بني إسرائيل رجل صالح له ابنٌ طفلٌ ، وله عجلةٌ أتى بها إلى غِيضَةٍ ، وقال : اللهم أستودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر ، ومات الرجل ، وصارت العجلة في الغيضة عواناً ، وكانت تهرب من كل من رآها ، فلما كبر الابن كان باراً بوالدته ، وكان يقسم الليل ثلاثة أثلاث ، يصلي ثلثاً ، وينام ثلثاً ، ويجلس عند رأس أمه ثلثاً ، فإذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره ، فيأتي به إلى السوق ، فيبيعه بما شاء الله ، ثم يتصدق بثلته ، ويأكل بثلته ، ويعطي لوالدته ثلثه ، فقالت له أمه يوماً : إن أباك ورثك عجلة استودعها الله في غِيضَةٍ كذا ، فانطلق فادعُ إله إبراهيم وإسماعيل وإسحق أن يردّها عليك ، وعلامتها أنك إذا نظرت إليها ، يخيّل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها ، وكانت البقرة تسمى المذهبة ؛ لحسنها وصفرتها ، فأتى الفتى الغيضة ، فرآها ترعى ، فصاح بها ، وقال : أعزم عليك بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ، فأقبلت تسعى حتى وقفت بين يديه ، فقبض على عنقها يقودها ، فتكلمت البقرة بإذن الله تعالى ، فقالت : أيها الفتى البار بوالدته ! اركبني ؛ فإن ذلك أهون عليك ، فقال

= «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٥) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٦٨) .

الفتى: إن أمي لم تأمرني بذلك، ولكن قالت: خذ بعنقها، فقالت البقرة: وإله بني إسرائيل لو ركبتي ما كنت تقدر عليّ أبداً، فانطلق؛ فإنك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك، لفعل؛ ببرك بأمك، فسار الفتى بها إلى أمه، فقالت له: إنك فقير، ولا مال لك، ويشق عليك الاحتطابُ بالنهار والقيام بالليل، فانطلق فبع هذه البقرة، قال^(١): بكم أبيعها؟ قالت بثلاثة دنانير، ولا تبع بغير مشورتى، وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير، فانطلق بها إلى السوق، فبعث الله ملكاً ليُرِي خلقه قدرته، وليختبر الفتى كيف برّه بوالدته، وكان الله به خبيراً، فقال له الملك: بكم تبيع هذه البقرة؟ قال: بثلاثة دنانير، وأشترط عليك رضا والدتي، فقال الملك له: ستّة دنانير ولا تستأمر والدتك، فقال الفتى: لو أعطيتني وزنها ذهباً، لم آخذه إلا برضا أمي، فردّها إلى أمه، فأخبرها بالثمن، فقالت: ارجع فبعها بستّة دنانير على رضا مني، فانطلق بها الفتى إلى السوق، فأتى الملك فقال: استأمرت أمك؟ فقال الفتى: إنها أمرتني ألا أنقصها من ستّة دنانير، على أن أستأمرها، فقال الملك: فإنني^(٢) أعطيك اثني عشر ديناراً على ألا تستأمرها، فأبى الفتى، ورجع إلى أمه، فأخبرها بذلك، فقالت: إن الذي يأتيك ملكٌ يأتِكَ في صورة آدمي ليجربك، فإذا أتاك، فقل له: أتاُمُرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا؟ ففعل، فقال له الملك: اذهب إلى أمك، وقل لها: أمسكي هذه البقرة؛ فإن موسى بن عمران يشتريها منكم لقتيل يُقتل في بني إسرائيل، فلا تبيعوها إلا بملء مسكها دنانير، فأمسكوها، وقدّر الله على

(١) في «ت»: «فقال».

(٢) في «ت»: «إني».

بني إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها، فما زالوا يستوصفون حتى وصف لهم تلك البقرة مكافأة له على برّه بوالدته، فضلاً منه ورحمة^(١)، فذلك قوله تعالى:

﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴾^(٦٨).

[٦٨] ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ﴾ أي: ما شيتها؟ فسأل الله تعالى.

﴿ قَالَ ﴾ موسى.

﴿ إِنَّهُ ﴾ يعني: إن الله.

﴿ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ﴾ أي: لا كبيرة ولا صغيرة، والفارضُ: المُسِنَّةُ التي لا تلد، والبكرُ: الفتاة الصغيرة التي لم تلد قط، وحُذفت الهاءُ منهما للاختصاص بالإناث؛ كالحائض.

﴿ عَوَانٌ ﴾ نصف.

﴿ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ أي: بين الشئيين، يقال: عَوْنَتِ المرأةُ تعويناً: إذا زادت على الثلاثين.

﴿ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴾ من ذبح البقرة، ولا تكررُوا السؤال. قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، وورش: (تؤْمَرُونَ) بسكون الواو بغير همز، والباقون بالهمزة^(٢).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٨٢ - ٨٣).

(٢) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ١١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٦٩).

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ
صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ﴾ (٦٩).

[٦٩] ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ
صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ أي: خالص الصفرة، يقال: أصفر فاقع، وأسود
حالك، وأحمر قان، وأخضر ناضر، وأبيض ناصع؛ للمبالغة.
﴿تَسُرُّ النَّظِيرِينَ﴾ إليها، ويعجبهم حسنُها وصفاء لونها.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ
لَمُهْتَدُونَ﴾ (٧٠).

[٧٠] ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ أسائمة أم عاملة؟
﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا﴾ ولم يقل: تشابهت؛ لتذكير لفظ البقر؛ أي:
التبس واشتبه أمره علينا، فلا نهتدي إليه.

﴿وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إلى وصفها، قال رسول الله ﷺ:
«وَأَيْمُ اللَّهِ! لَوْ لَمْ يَسْتَشْنُوا، لَمَا بَيَّنَّتْ لَهُمْ إِلَى آخِرِ الْأَبَدِ»^(١). قرأ حمزة،
وخلف، وابنُ ذكوان: (إِنْ شَاءَ اللَّهُ) بالإمالة^(٢).

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا
شِيَةَ فِيهَا قَالُوا آلَتَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبِّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٧١).

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٣٤٧/١)، عن ابن جريج معضلاً.
(٢) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ١٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧١/١).

[٧١] ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ﴾ مدللة بالعمل، يقال: رجلٌ ذليلٌ
بَيِّنُ الذِّلِّ، ودابةٌ ذَلُولٌ: بينة الذِّلِّ.

﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ تقلبها للزراعة.

﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ بالسَّائِيَةِ أو غيرها من الآلات، والحَرْثُ: ما حُرِّثَ
وَزُرِعَ؛ أي: تحرث ولا تسقي، وقيل: معناه: لم تُدَلَّلْ للكراب وإثارة
الأرض، ولا هي من النواضح التي يُسْنَى عليها لسقي الحرث، و(لا)
الأولى للنفي، والثانية مزيدة لتأكيد الأولى، والفعالان صفتان لذلول، كأنه
قيل: لا ذلولٌ مثيرةٌ وساقيةٌ.

﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ برّيةٌ من العيوب.

﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ لا لمعة فيها تخالف لونها. قرأ حمزة: (لا شَيْءَ) بالمدِّ
بحيث لا يبلغ الإشباع^(١)، والكسائي يُميل الياء حيث وقف على هاء
التانيث.

﴿قَالُوا أَتَنَزَّجَتْ بِالْحَقِّ﴾ أي: بالبيان التام الشافي الذي لا إشكال فيه،
فطلبوها فلم يجدوها بكمال وصفها إلا مع الفتى، وكان اسمه ميسا،
فاشتروها بملء مَسْكِيها ذهباً. قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر: (جِيَتْ) بياء
ساكنة بغير همز، والباقون بالهمز^(٢).

﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ من غلاء ثمنها، واضطرابهم فيها، و(كادَ)
من أفعال المقاربة.

(١) انظر: تفسير الآية (٢) من سورة البقرة.

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧٢)،
وقد ذكراها من قراءة السوسي.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَاذْرَءْ ثُمَّ فِيهَا وَاللَّهُ خُجِّرَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [٧٢].

[٧٢] ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا﴾ هذا أول القصة، وإن كانت مؤخرَةً في التلاوة،

واسمُ القتيل عاميل.

﴿فَاذْرَءْ ثُمَّ فِيهَا﴾ أصله تدارأتم، فأدغمت التاء في الدال، وأدخلت الألف، مثل قوله: ﴿أَنَّا قَاتَلْتُمُ﴾ [التوبة: ٣٨]. قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر بغير همز، والباقون بالهمز، ومعناه: اختلفتم فيها^(١).

﴿وَاللَّهُ خُجِّرَ﴾ أي: مظهر.

﴿مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ فإن القاتل كان يكتُم القتل.

﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [٧٣].

[٧٣] ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ﴾ يعني: القتل.

﴿بِبَعْضِهَا﴾ أي: ببعض البقرة، وذلك البعض هو العظم الذي يلي الغضروف، وهو المقتل في قول ابن عباس، وأكثر المفسرين، وقيل: بذنبها، ففعلوا ذلك، فقام القتيل حياً بإذن الله تعالى، وأوداجُهُ تَشَخَّبُ دماً، وقال: قتلني فلان، ثم سقط ومات مكانه، فحُرم قاتله الميراث وقتله موسى قصاصاً^(٢)، ثم أمرهم موسى بسلخ البقرة، فلما سلخوها، ملؤوا

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧٢).

(٢) «وقتل موسى قصاصاً» سقط من «ظ».

جلدها ذهباً، وأعطاه موسى لميشا، وفي الخبر «ما وَرِثَ قَاتِلٌ بَعْدَ صَاحِبِ
الْبَقَرَةِ»^(١)، وفيه إضمارٌ تقديره: فَضْرِبَ، فَحَيَّيْ.

﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ كما أحيأ عاميل.

﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ المراد منكم، فتمنعون نفوسكم عن
هواها.

أما حكمُ هذه المسألة في الإسلام إذا وُجد قَتِيلٌ في موضعٍ لا يُعرف
قاتله، فإن كَانَ ثَمَّ لَوْثٌ على إنسان، وهو العداوةُ الظاهرةُ كما بينَ القبائل،
أو ما يغلبُ على القلبِ صدقُ المدَّعي؛ بأن اجتمعَ جماعةٌ في بيتٍ أو
صحراء فتفرقوا عن قَتِيلٍ يغلبُ على القلب أن القاتلَ فيهم، أو وُجد قَتِيلٌ في
محلَّةٍ أو قريةٍ كلُّهم أعداءُ القَتِيلِ، لا يخالطُهم غيرُهم، فيغلبُ على القلب
أنهم قتلوه، فادَّعى الوليُّ على بعضهم، فعندَ مالكٍ والشافعيِّ وأحمدَ:
يُحْلِفُ المدَّعي خمسين يميناً، وإن كَانَ الأولياءُ جماعةً، فتقسمُ الأيمانَ
بينهم بالحساب، ثم بعد حلفهم يأخذونَ الديةَ من عاقلةِ المدَّعى عليه إن
ادَّعوا قَتْلَ خطأ، وإن ادَّعوا قَتْلَ عمد، فمن مالِ المدَّعى عليه، ولا قودَ على
الجديدِ من قولي الشافعي.

وقال مالكٌ وأحمدُ بوجوبِ القودِ.

ومن اللوثِ عندَ مالكٍ قولُ المجروحِ الحرِّ البالغِ المسلمِ: دمي عندَ

(١) روى عبد الرزاق في «المصنف» (١٧٧٩٤)، عن عبيدة قال: أول ما قضي أن
لا يرث القاتل في صاحب بني إسرائيل. وروى ابن أبي شيبة في «المصنف»
(٣٥٩١٥)، عن ابن سيرين قال: أول ما منع القاتل الميراث؛ لمكان صاحب
البقرة.

فلان عمداً، واستدلَّ بهذه النازلة في قصة البقرة على تجويز قول القاتل، وأن تقع مع القسامة، وإن لم يكن على المدعى عليه لوثٌ، فالقولُ قوله مع يمينه، ويُحلفُ يميناً واحدة عند مالك، ولم يُحلفْ عند أحمدَ على المذهب المشهور عنه، وعنه رواية ثانية: يحلفُ يميناً واحدةً، وهو أظهرُ، واختاره جماعةٌ من أصحابه، والأظهرُ من مذهب الشافعيّ تغليظُ اليمينِ بالعدد؛ لأنه يمينُ دم، فيحلفُ خمسينَ يميناً، وعند أبي حنيفة لا حكمَ للوِث، ولا يبدأ بيمين المدعي، بل إذا وُجد قاتلٌ في محلة، يختارُ الوليُّ خمسين رجلاً من صلحائهم، فيحلفُهم أنهم ما قتلوه، ولا عرفوا له قاتلاً، ثم يأخذ الديةَ من سكانها، وإن ادّعى على غيرهم، ولا بينة، لزم المدعى عليه يميناً واحدة كسائر الدعاوى، وتسقطُ القسامةُ عن أهل المحلة.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

[٧٤] ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ يبست وجفت، وجفاف القلب: خروج الرحمة واللين عنه.

﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ من بعد ظهور الدلالات، وما تقدّم من أمر القاتل، وهي عبارة عن خلوها من الإنابة والإذعان لآيات الله تعالى.

﴿فَهِيَ﴾ في الغلظة والشدّة.

﴿كَالْحِجَارَةِ أَوْ﴾ بل.

﴿أَشَدُّ قَسَوَةً﴾ وإنما لم يشبهها بالحديد، مع أنه أصلب من الحجارة؛

لأن الحديد قابل للين؛ فإنه يلينُ بالنار، وقد لان لداود - عليه السلام -،
والحجارة لا تلين قط، ثم فَضَّلَ الحِجَارَةَ على القلب القاسي فقال:

﴿وَلَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ قيل: أراد به جميع الحجارة
وقيل: أراد به الحجر الذي كان يضربُ عليه موسى للأسباط.

﴿وَلَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ أراد به عيوناً دون الأنهار.

﴿وَلَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهَيِّطُ﴾ ينزل من أعلى الجبل إلى أسفله.

﴿مَنْ خَشِيَ اللَّهَ﴾ وقلوبكم لا تلين ولا تخشعُ يا معشر اليهود، فإن
قيل: الحجرُ جمادٌ لا يفهم، فكيف يخشى؟ قيل: الله يُفهمها ويُلهمها
فتخشى بإلهامه، ومذهبُ أهل السنة أن الله علماً في الجمادات وسائر
الحيوانات سوى العقلاء، لا يقف عليه غيره، فلها صلاةٌ وتسبيحٌ وخشيةٌ،
قال الله: ﴿وَلَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقال: ﴿وَالطَّيْرُ صَفَّتْ
كُلُّ قَدِّ عِلْمٍ صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ﴾ [النور: ٤١]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي
السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ الآية [الحج: ١٨]، فيجبُ على المرء
الإيمانُ به، ويكُلُّ العلمُ إلى الله عزَّ وجلَّ.

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وعيدٌ وتهديدٌ. قرأ ابنُ كثيرٍ: (يَعْلَمُونَ)
بالغيب.

والباقون بالخطاب مناسباً بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾^(١).

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٠)،
و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٠)، و«الكشف» لمكي (١/٢٤٨)، و«تفسير
البلغوي» (١/٦٧)، و«الكشاف» للزمخشري (١/٧٧)، و«النشر في القراءات
العشر» لابن الجزري (٢/٢١٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: =

﴿ أَفَنُظْمِعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَلْحَرِفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقِلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٥).

[٧٥] ﴿ أَفَنُظْمِعُونَ ﴾ أترجون؟ يريد: محمداً ﷺ وأصحابه، وأصلُ الطمع: نزوع النفس إلى شيء ما شهوةً.

﴿ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ ﴾ يصدقكم اليهود بما تخبرونهم به. قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، وورش: (يؤمنوا) بغير همز، والباقون بالهمز^(١).

﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ أي: طائفة من اليهود.

﴿ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ﴾ يعني: التوراة.

﴿ ثُمَّ يَلْحَرِفُونَهُ ﴾ يغيرون ما فيها من الأحكام.

﴿ مِنْ بَعْدِ مَا عَقِلُوا ﴾ علموه؛ كما غيروا صفة محمد ﷺ وآية الرجم.

﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أنهم كاذبون، ثم أخبر عن صنعهم فقال:

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَىٰ بَعْضِ قَالُوا اتَّخَذْتُنَّهِمْ يَمًا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٧٦).

[٧٦] ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ يعني: منافقي اليهود الذين آمنوا بالسنتهم، إذا لقوا المؤمنين المخلصين.

= (١٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧٥/١).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٧٤/١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢١٨/٢).

﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ كإيمانكم .

﴿وَإِذَا خَلَا﴾ رجع .

﴿بَعْضُهُمْ﴾ الذين لم ينافقوا .

﴿إِلَى بَعْضٍ﴾ الذين نافقوا، وهم رؤوساء اليهود، لأموهم على ذلك .

و﴿قَالُوا﴾ منكرين عليهم :

﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بما قضى الله عليكم في كتابكم، وأعطاكم من العلم أن محمداً حق، وقوله صدق؟!، ويقال للقاضي: الفتاح، وأصل الفتاح: إزالة الإغلاق .

﴿لِيَحْجُوكُمْ بِهِ﴾ ليخاصموكم، يعني: أصحاب محمد ﷺ، ويحتجوا بقولكم عليكم، فيقولون: قد أقررتم بأنه نبي حق في كتابكم، ثم لا تتبعونه، وذلك أنهم قالوا لأهل المدينة حين شاوروهم في اتباع محمد ﷺ: آمنوا به؛ فإنه حق، ثم قال بعضهم لبعض: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به لتكون لهم الحججة عليكم^(١) .

﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ في الدنيا والآخرة .

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنهم إذا علموا ذلك احتجوا به عليكم؟! ثم استفهم

فقال :

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُوتُ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ .

(١) في «ت»: «لهم الحججة عليهم»، وفي «ن»: «لهم حجة عليكم» .

[٧٧] ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ يخفون.

﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يبدون، يعني: اليهود. قرأ أبو عمرو: (يعلم ما) بإدغام الميم في الميم^(١).

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ﴿٧٨﴾.

[٧٨] ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ﴾ أي: من اليهود لا يحسنون القراءة ولا الكتابة، جمع أمي، منسوب إلى الأم، كأنه باقٍ على ما انفصل من الأم، لم يتعلم قراءة ولا كتابة.

﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ وهي جمعُ الأُمِّيَّةِ، وهي التلاوة حفظاً من غير معرفة معناه. قرأ أبو جعفر: (أَمَانِي) بتخفيف الياء كلَّ القرآن، حذف إحدى الياءين استخفافاً، والباقون بالتشديد^(٢)، والمراد بها الأشياء التي كتبها علماءهم من عند أنفسهم، ثم أضافوها إلى الله - عز وجل - من تغيير نعت النبي ﷺ وغيره.

﴿وَإِنْ هُمْ﴾ أي: وما هم.

﴿إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ظناً وتوهماً لا يقيناً.

(١) انظر: تفسير الآية (٤) من سورة الفاتحة.

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/١٩٠)، و«تفسير الطبري» (٢/٢٦٤)، و«المحتسب» لابن جني (١/٩٤)، و«تفسير البغوي» (١/٦٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدبياطي (ص: ١٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٧٦).

﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾.

[٧٩] ﴿فَوَيْلٌ﴾ هي كلمة يقولها كلُّ واقع في هَلَكَةٍ بمعنى الدعاء على النفس بالعذاب .

﴿ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ ﴾ أي : المحرّف .

﴿ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ وذلك أن أحبار اليهود خافوا ذهابَ مأكَلَتِهِمْ ، وزوالَ رياسَتِهِمْ حينَ قدَمَ النبي ﷺ المدينةَ ، فاحتالوا في تعويقِ اليهود عن الإيمان به ، فعمدوا إلى صفته في التوراة ، وكان صفته فيها : حسن الوجه ، حسن الشعر ، أكحل العينين ، ربعةٌ فغيروها ، وكتبوا مكانها : طوالَ أزرقَ سَبَطَ الشَّعْرِ ، فإذا سأَلَهُمْ سَفَلَتُهُمْ عن صفته ، قرؤوا ما كتبوا ، فيجدونه مخالفًا لصفته ، فيكذبونه^(١) ، قال الله تعالى :

﴿ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ يعني : كتبوا بأنفسهم اختراعاً من تغيير نعته ﷺ .

﴿ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ من المآكل . قرأ أبو عمرو ، ورؤيسٌ عن يعقوبَ : (الْكِتَابُ بِأَيْدِيهِمْ) بإدغام الباء الأولى في الثانية^(٢) .

(١) انظر : «تفسير أبي السعود» (١/ ١٢٠) .

(٢) انظر : «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ١٣٩) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧٦) .

﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٨٠﴾ .

[٨٠] ﴿ وَقَالُوا ﴾ يعني : اليهود :

﴿ لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ ﴾ لن تصيبنا النار .

﴿ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾ قدراً مقدّراً ، ثم يزولُّ عنا العذابُ ، يعنون : أربعين يوماً التي عبد آباؤهم فيها العجل ، وقيل غير ذلك ، فقال الله - عزَّ وجلَّ - تكذيباً لهم :

﴿ قُلْ ﴾ يا محمد :

﴿ أَتَّخَذْتُمْ ﴾ ألفٌ استفهام دخلت على ألفِ الوصل ، أصله اتَّخَذْتُمْ ، وزنه افتعلتُمْ من الأخذ ، سُهِّلَتِ الهمزة الثانية ؛ لامتناع جمع همزتين ، فاضطربت الياء في التصريف ، جاءت ألفاً في ياء تخذ ، فبدلت بحرف التاء ، وأدغمت ، فلما دخلت ألف التقرير ، استُغْنِيَ عن ألفِ الوصل .

﴿ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا ﴾ أي : موثقاً ألا يعذبكم إلا هذه المدة .

﴿ فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ ﴾ أي : وعده .

﴿ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ تلخيصه : إن كان لكم عنده عهدٌ فلا يُنْقَضُ ، ولكنكم تتخرَّصون ، ولما قالوا : لن تمسنا النار ، ردَّ ذلك عليهم ، فقال :

﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ﴿٨١﴾ .

[٨١] ﴿بَلَىٰ﴾ وبلى وبل حرفا استدراك، ومعناهما نفى الخبر الماضي، وإثبات الخبر المستقبل. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف (بلى) بالإمالة^(١).
﴿مَنْ كَسَبَ سَكِينَةً﴾ يعني: الشرك.

﴿وَأَحْطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ أي: استولت عليه، والإحاطة: الإحداق بالشيء من جميع نواحيه، وهي الشرك يموت عليه. قرأ نافع، وأبو جعفر (خَطِيئَاتُهُ) على الجمع، والباقون على الأفراد^(٢)، وعن أبي جعفر وجه ثانٍ: (خَطِيئَاتُهُ) بتشديد الياء بغير همز^(٣).

﴿فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي: (النَّارِ) بالإمالة حيث وقع مجروراً^(٤). ثم بشر المؤمنين بالجنة فقال:

-
- (١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧٧).
- (٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٢)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٤٩)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧٧).
- (٣) وذكرها الدمياطي في «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٠)، عن حمزة، وانظر: «معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧٨).
- (٤) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧٨).

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٨٢﴾.

[٨٢] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ دائمون.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالِؤُلَادِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿٨٣﴾.

[٨٣] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ في التوراة، إخبارٌ في معنى النهي، والميثاق: العهد الشديد.

﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي: (لا يَعْبُدُونَ) بالغيب، والباقون بالخطاب^(١)؛ لقوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ معناه: ألا تعبدوا، فلما حذف (أن)، صار الفعل مرفوعاً.

﴿وَيَالِؤُلَادِينَ﴾ أي: ووصيناهم بالوالدين.

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٢)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٣)، و«الكشف» لمكي (١/٢٤٩-٢٥٠)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٢٠)، و«تفسير البغوي» (١/٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٧٨).

﴿إِحْسَنًا﴾ بِرًّا بِهِمَا، وَعُطْفًا عَلَيْهِمَا، وَنَزُولًا عِنْدَ أَمْرِهِمَا فِيمَا لَا يُخَالَفُ أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿وَذِي الْقُرْبَى﴾ أَي: وَبِذِي الْقُرْبَى، وَالْقُرْبَى مُصَدَّرٌ كَالْحَسَنِ. قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو، وَحَمْزَةً، وَالْكَسَائِيُّ، وَخَلَفٌ: (الْقُرْبَى) بِالْإِمَالَةِ.

﴿وَالْيَتَامَى﴾ جَمْعُ يَتِيمٍ، وَهُوَ الطِّفْلُ الَّذِي لَا أَبَ لَهُ، وَأَصْلُ الْيَتَمِ: الْإِنْفِرَادُ. قَرَأَ الدَّورِيُّ عَنِ الْكَسَائِيِّ: (وَالْيَتَامَى) بِالْإِمَالَةِ^(١).

﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ يَعْنِي: الْفُقَرَاءَ.

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ صِدْقًا وَحَقًّا فِي شَأْنِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَمَنْ سَأَلَكُمْ عَنْهُ، فَاصْدُقُوهُ، وَبَيِّنُوا لَهُ صِفَتَهُ، وَلَا تَكْتُمُوا أَمْرَهُ. قَرَأَ حَمْزَةً، وَالْكَسَائِيُّ، وَخَلَفٌ، وَيَعْقُوبُ: (حَسَنًا) بَفَتْحِ الْحَاءِ وَالسَّيْنِ^(٢)؛ أَي: قَوْلًا حَسَنًا.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أَعْرَضْتُمْ عَنِ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ قَوْمًا مِنْهُمْ آمَنُوا.

﴿وَأَنشَرْتُم مُّعْرَضُونَ﴾ كَأَعْرَاضِ آبَائِكُمْ.

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧٩).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٩٢)، و«الحجة» لأبي زرععة (ص: ١٠٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٢)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٥٠) و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨٠).

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ثُمَّ أَقَرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ ﴿٨٤﴾ .

[٨٤] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ على نحو ما سبق من الإخبار في معنى النهي .

﴿لَا تَسْفِكُونَ﴾ لا تريقون .

﴿دِمَاءَكُمْ﴾ أي : لا يسفك بعضكم دم بعض .

﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ﴾ أي : لا يخرج بعضكم بعضاً من داره .

﴿ثُمَّ أَقَرَرْتُمْ﴾ بهذا العهد أنه حق، وقبلتم .

﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ اليوم على ذلك يا معشر اليهود، وتعترفون بالقبول .

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِينِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَقْتُلُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٨٥﴾ .

[٨٥] ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ يعني : يا هؤلاء اليهود! وهؤلاء للتنبيه .

﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي : بعضكم بعضاً .

﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِينِهِمْ﴾ قرأ أبو عمرو، والكسائي (دِيَارِهِمْ)

بالإمالة، واختلف عن ابن ذكوان، ورؤي عن ورش الإمالة بين بين، وكذلك رؤي عن حمزة، وقرأ الباقون بالفتح^(١).

﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ﴾ بتشديد الظاء؛ أي: تتظاهرون، أدغمت التاء في الظاء. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف: (تَظَاهَرُونَ) بتخفيف الظاء^(٢)، ومعناها: تتعاونون، والظهير: العون.

﴿يَا لَيْتُمْ وَالْعُدُونِ﴾ بالمعصية والظلم.

﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى﴾ قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، وورش: (يَأْتُوكُمْ) بغير همز، والباقون بالهمز^(٣)، وقرأ حمزة: (أُسْرَى) بفتح الألف الأولى وسكون السين وإسقاط الألف بعدها، وهما جمع أسير، ومعناها واحد.

﴿تَفَادُوهُمْ﴾ بالمال، وتنقذوهم. قرأ نافع، وأبو جعفر، وعاصم، والكسائي، ويعقوب: (تَفَادُوهُمْ) بضم التاء وألف بعد الفاء^(٤)؛ أي:

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨١) وقد ذكرها عن أبي عمرو وورش.

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٦٤)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٢٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٤)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٥٠-٥٢١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨١).

(٣) ذكر الصفاسي في «الغيث» (ص: ١٢٢) قراءة ورش وهي (ياتوكمو)، بإبدال الهمزة، وضم الميم مع مدها، وانظر: «معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨٢).

(٤) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٤)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٥١-٢٥٢)، =

تبادلونهم^(١)، أراد: مفاداة الأسير بالأسير، وأصل الفداء: حفظ الشيء بما تبذله^(٢) عنه صيانة له، ومعنى الآية: إن الله تعالى أخذ على بني إسرائيل في التوراة ألا يقتل بعضهم بعضاً، ولا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم، وأئماً عبد أو أمة وجدتموه من بني إسرائيل، فاشتروه بما قام من ثمنه، وأعتقوه، وكانت قريظة حلفاء الأوس، والنضير حلفاء الخزرج، وكانوا يقتتلون في حرب سَمِير^(٣)، فإذا اقتتلا، عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار وإجلاء أهلها، وإذا أسر رجل من الفريقين، جمعوا له حتى يَفدوه، وإن كان الأسير من عدوهم، فتعيرهم العرب، وتقول: كيف تقاتلونهم وتَفدونهم؟ قالوا: إنا أمرنا أن نَفديهم، فيقولون: لم تقاتلونهم؟ قالوا: إنا نستحي أن يُستدَلَّ حلفاؤنا، فعيرهم الله تعالى، فقال: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾^(٤).

وفي الآية تقديم وتأخير، ونظمها: وتُخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان، وهو محرّم عليكم إخراجهم، وإن يأتوكم أسارى تفدوهم، فكأن الله أخذ عليهم أربعة عهود: ترك القتل،

= «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢١)، و«تفسير البغوي» (١/٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٨٢-٨٣).

(١) في «ت» و«ظ»: «تبادلونهم».

(٢) في «ن»: «يبدله».

(٣) في «ن»: «سَمِير».

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (١/٣٩٧)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/١٦٣).

وترك الإخراج، وترك المظاهرة عليهم مع أعدائهم، وفداء أسرائهم، فأعرضوا عن الكلِّ إلا الفداء، قال الله - عزَّ وجلَّ -:

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ ﴾ أي: بالفداء؛ لأنه من جملة ما أخذ في الميثاق.

﴿ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ بالقتل والإخراج. قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، وورش: (أَفُؤْمِنُونَ) بغير همز، والباقون بالهمز، قال مجاهد: يقول: إن وجدته في يد غيرك، فديته، وأنت تقتله بيدك.

﴿ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ ﴾ يا معشر اليهود.

﴿ إِلَّا خِزْيٌ ﴾ عذاب وهوان.

﴿ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ وكان خزْيُ قريظة القتل والسبي، وخزْيُ بني النضير الجلاء والنفي عن منازلهم إلى أذرعات وأريحا من الشام.

﴿ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ ﴾ وهو عذاب النار.

﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ قرأ نافع، وابن كثير، ويعقوب، وخلف، وأبو بكر: (يَعْمَلُونَ) بالغيب، والباقون بالخطاب^(١).

ثم أخبرهم متهدداً أن عذابَي الدنيا والآخرة لا يُفْتَرُ عنهم ولا مانع لهم منه بقوله:

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٥)، و«الكشف» لمكي (١/٢٥٢-٢٥٣)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٢٢)، و«تفسير البغوي» (١/٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٨٤).

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ﴿٨٦﴾ .

[٨٦] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا﴾ استبدلوا .

﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ أي : يَهَوَّنُ عليهم .

﴿الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي : يُمنعون من عذاب الله عزَّ وجلَّ .

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبِكْيَتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ ﴿٨٧﴾ .

[٨٧] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾ أعطينا .

﴿مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة جملة واحدة .

﴿وَفَقَيْنَا﴾ أتبعنا .

﴿مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ رسولا بعد رسول .

﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبِكْيَتَ﴾ عيسى : اسمٌ عبرانيٌّ أو ^(١) سريانيٌّ ، والبيئاتُ : الدَّلالاتُ الواضحاتُ ، وهي ما ذكر الله تعالى في سورة آل عمران والمائدة . قرأ أبو عمرو ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف : (عِيسَى) بالإمالة حيث وقع ^(٢) .

(١) في «ت» : «و» .

(٢) انظر : «الغيث» للصفاسي (ص : ١٢٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨٤) .

﴿وَأَيَّدَنَّهُ﴾ قَوَّيْنَاهُ .

﴿بُرُوجُ الْقُدُسِ﴾ قرأ ابن كثير: (القدس) بسكون الدال، والباقون بضمها، وهما لغتان مثل: الرُّعْب، والرُّعْب^(١)، وروح القدس: هو جبريل - عليه السلام - والقدس: الطهارة: وَصِفَ جبريلُ بها لأنه لم يقتَرَفْ ذنباً، وقيلَ غيرُ ذلك، فلما سمعت اليهودُ ذكرَ عيسى، قالوا: يا محمد! لا مثَلَ عيسى - كما تزعم - فعلتَ، ولا كما تَقْصُ علينا من الأنبياء فَعَلْتَ، فائْتِنَا بما أتى^(٢) به عيسى إن كنتَ صادقاً، قال الله تعالى:

﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ﴾ يا معشر اليهود.

﴿رَسُولٌ بِمَا لَأْتَهُوْا﴾ تحبُّ.

﴿أَنْفُسُكُمْ﴾ والهوى: هو ميلانُ القلبِ إلى ما يستلذُّ به .

﴿أَسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تكبرتم، وتعظمتُم عن الإيمان .

﴿فَفَرِّقَا﴾ طائفةً .

﴿كَذَّبْتُمْ﴾ مثل عيسى ومحمد .

﴿وَفَرِّقَا نَقْلُوتَ﴾ أي: قتلتم، مثل زكريا ويحيى وشعيا وسائر مَنْ قَتَلُوا من الأنبياء - عليهم السلام -، ولم يقل: قتلتم، وإن أريدَ الماضي؛

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/١٩٨)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٤)، و«الكشف» لمكي (١/٥٢٣)، و«تفسير البغوي» (١/٧٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ١٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٨٥).

(٢) في «ن»: «أوتي» .

تعظيماً لهذه الحالة، فكأنها - وإن مضت - حاضرة؛ لشناعتها، ولثبوت عارها عليهم وعلى ذريتهم بعدهم.

﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٨٨].

[٨٨] ﴿ وَقَالُوا ﴾ يعني: اليهود.

﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ جمع أغلاف؛ أي: هي في أكنة، معناه: عليها غشاوة، فلا تعي، ولا تفقه ما تقول، قال الله تعالى:

﴿ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ﴾ أي: أبعدهم من كل خير.

﴿ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: لا يؤمن منهم إلا قليل؛ لأن من آمن من المشركين أكثر ممن آمن من اليهود، ونصب (قليلًا) على الحال.

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [٨٩].

[٨٩] ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ يعني: القرآن.

﴿ مُصَدِّقٌ ﴾ موافق.

﴿ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ يعني: التوراة.

﴿ وَكَانُوا ﴾ يعني: اليهود.

﴿ مِن قَبْلُ ﴾ مبعث محمد ﷺ.

﴿ يَسْتَفْتِحُونَ ﴾ يستنصرون.

﴿ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ على مشركي العرب، وذلك أنهم كانوا يقولون إذا حَزَبَهُمْ أَمْرٌ، أَوْ دَهَمَهُمْ عَدُوٌّ: اللَّهُمَّ انصُرْنَا عَلَيْهِمُ بِالنَّبِيِّ الْمَبْعُوثِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ الَّذِي نَجَدُ صِفَتَهُ فِي التَّوْرَةِ، فَكَانُوا يُنَصِّرُونَ، وَكَانُوا يَقُولُونَ لِأَعْدَائِهِمْ مِنَ الْمَشْرِكِينَ: قَدْ أَظْلَمَ زَمَانُ نَبِيِّ يَخْرُجُ بِتَصْدِيقِ مَا قُلْنَا، فَنَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرمَ^(١).

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا ﴾ يعني: محمداً ﷺ من غير بني إسرائيل، وعرفوا نعتَهُ وَصِدْقَهُ.

﴿ كَفَرُوا بِهِءِ ﴾ بغياً وحسداً.

﴿ فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ قرأ أبو عمرو، والكسائي، ورؤيس: (الْكَافِرِينَ) بِالْإِمَالَةِ حَيْثُ وَقَعَ بِالْيَاءِ^(٢)، مجروراً كان أو منصوباً، واختلف عن ابنِ ذَكْوَانَ فِي الْإِمَالَةِ وَالْفَتْحِ، وَأَمَالَهُ وَرَشٌّ بَيْنَ بَيْنَ، وَفَتْحَهُ الْبَاقُونَ، وَجَوَابٌ لِمَا وَلِمَا الثَّانِيَةِ فِي قَوْلِهِ: (كَفَرُوا)، وَأُعِيدَتْ لِمَا الثَّانِيَةِ؛ لَطَوِيلُ الْكَلَامِ، وَيُفِيدُ ذَلِكَ تَقْرِيراً لِلذَّنْبِ وَتَأْكِيداً لَهُ.

﴿ بِسْمَا أَشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾.

[٩٠] ﴿ بِسْمَا أَشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ﴾ قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر: (بِيسَ)

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٣٤/٤)، وانظر «الدر المنثور» للسيوطي (٢١٥-٢١٦).

(٢) «بالياء» سقطت من «ن».

بغير همز^(١)، وبِئْسَ وَنِعَمَ فعْلانِ ماضيانِ وُضِعَا للمدح والذَّم، ولا يتصرَّفان تصرُّفَ الأفعال، معناه: بئسَ الذي اختاروا لأنفسِهِم حينَ استبدلوا^(٢) الباطلَ بالحق.

﴿أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ يعني: القرآن.

﴿بَغِيًّا﴾ أي: حسدًا، وأصلُ البغي: الفسادُ، والبغيُّ الظلمُ، وأصلُه الطلبُ؛ فالباغي طالبٌ^(٣) للظلم، والحاسدُ يظلمُ المحسودَ جهدهُ طلباً لإزالةِ نعمةِ الله عنه.

﴿أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ النبوة والكتاب. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرو، ويعقوبُ: (يُنَزِّلَ) بالتخفيف مع إسكان النون^(٤)، والباقون بفتح النون والتشديد^(٥).

﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ محمدٌ ﷺ.

﴿فَبَاءُوا﴾ رجعوا.

-
- (١) المصادر السابقة.
- (٢) في «ت»: «استبدوا».
- (٢) في «ن»: «الطالب».
- (٤) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨٦).
- (٥) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٥٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨٦).

﴿بِعَظَبٍ عَلَى عَظَبٍ﴾ أي: مع غضب، الغضبُ الأولُ بتضييعهم التوراةَ وتبديلهم، والثاني بكفرهم بمحمد ﷺ.

﴿وَالْكَافِرِينَ﴾ الجاحدين بنبوّة محمد ﷺ من الناس كلّهم.

﴿عَذَابٌ مُهِيتٌ﴾ مُخْزٍ يُهَانُونَ فِيهِ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٩١).

[٩١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ﴾ يعني: القرآن. قرأ أبو عمرو: (قِيلَ لَهُمْ) بإدغام اللام في اللام^(١).

﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ يعني: التوراة، يكفيننا ذلك.

﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ أي: بما سواه من الكتب.

﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ يعني: القرآن.

﴿مُصَدِّقًا﴾ نصب على الحال.

﴿لِمَا مَعَهُمْ﴾ من التوراة.

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد.

﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ أي: قَتَلَ آبَاؤُكُمْ، وَلِمَا رَضِيتُمْ بِفَعْلِهِمْ، فَكأنكم قد قتلتم.

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨٧).

﴿أَنْبِيََاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾ ولم أصله (لما)، فحذفت الألف فرقاً بين الخبر والاستفهام؛ كقولهم: فيم، وبم. وقف البزئي ويعقوب، بخلاف عنهما: (فَلِمَهُ) بالهاء، وكذلك (لِمَهُ، وَفِيَمَهُ، وَبِمَهُ، وَعَمَّهُ، وَمِمَّهُ) حيث وقع.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بالتوراة، وقد نهيتم فيها عن قتل الأنبياء عليهم السلام.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [٩٢].

[٩٢] ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالدلالات الواضحة، والمعجزات. قرأ نافع، وابن كثير، وعاصم، وابن ذكوان، وأبو جعفر، ويعقوب: (وَلَقَدْ جَاءَكُمْ) بإظهار الدال عند الجيم، وكذلك عند السين والشين والصاد حيث وقع، والباقون بالإدغام^(١).

﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ بما صدر منكم. قرأ ابن كثير، وحفص (اتخذتم) بإظهار الدال عند التاء، واختلف عن رؤيس، والباقون بالإدغام^(٢).

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (ص: ١٧٢/١)، و«الغيث» للصفاسي (ص:

١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨٧/١).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨٧/١).

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ .

[٩٣] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ وقلنا :

﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ في التوراة .

﴿بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا﴾ أي : استجبوا وأطيعوا ، سميت الطاعة والإجابة سماعاً على المجاوزة ؛ لأنه سبب الطاعة والإجابة .

﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قولك بالآذان .

﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك بالقلوب ، والمعصية : مخالفة الأمر قصداً . قال أهل المعاني : إنهم لم يقولوا هذا بألستهم ، ولكن لما سمعوا وتلقوه بالعصيان ، نُسب ذلك إلى القول اتساعاً .

﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ أي : حُبّه ، معناه : أُدْخِلَ في قلوبهم حبُّ العجل وخالطها .

﴿قُلْ يَسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾ أن تعبدوا العجل من دون الله ؛ أي : بئس إيمانٌ يأمر بعبادة العجل .

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بزعمكم ، وذلك أنهم قالوا : نؤمن بما أنزل علينا ، فكذبهم الله - عزَّ وجل - .

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٩٤﴾ .

[٩٤] ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ وذلك أن اليهود ادَّعَوْا دعاوى باطلة مثل قولهم: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠] و﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى﴾ [البقرة: ١١١] وقولهم ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُمْ﴾ فكذبهم الله - عزَّ وجلَّ - ، وألزمهم الحجَّةَ، فقال: قُلْ لهم يا محمد: إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ؛ يعني: الجنة عند الله. ﴿خَالِصَةً﴾ خاصةً.

﴿مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾ أي: اطلبوه وسلوه؛ لأن من علم أن الجنة مأواه، حنَّ إليها، ولا سبيلَ إلى دخولها إلا بعد الموت، فاستعجلوه بالتمني.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم. وعن النبي ﷺ أنه قال: «لَوْ تَمَنَّوُا الْمَوْتَ، لَغَصَّ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ بِرِيقِهِ، وَمَا بَقِيَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ يَهُودِيٌّ إِلَّا مَاتَ»^(١). قال الله تعالى:

﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ﴿٩٥﴾ .

[٩٥] ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ لعلمهم أنهم كاذبون في دعواهم، وأراد بما قدمت أيديهم: ما قدَّموا من الأعمال، وأضاف إلى اليد؛ لأن أكثر جنایات الإنسان تكون باليد.

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٢٥)، عن ابن عباس موقوفاً عليه.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ تهديدٌ شديد؛ لأن علمه بهم كعلمه بغيرهم، ثم قال مخاطباً لنبيه ﷺ :

﴿وَلَنَجْذِثُنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوَةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ
لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِّجِهِ مِّنَ الْعَذَابِ أَنَّ يُعَمَّرَ ۖ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا
يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٦﴾ .

[٩٦] ﴿وَلَنَجْذِثُنَّهُمْ﴾ اللامُ لامُ القسم، والنونُ تأكيد، تقديره: والله لتجذثنهم يا محمد؛ يعني: اليهود.

﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوَةٍ﴾ متطاولة، وهي حياتهم التي هم فيها.
﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ أي: وأحرص من الذين أشركوا، والمراد بالذين
أشركوا: المجوس، سُمُّوا مشركين؛ لأنهم يقولون بالنور والظلمة.
﴿يَوَدُّ﴾ يتمنى.

﴿أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ﴾ يعني: يعيشُ.

﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ وهي تحيةُ المجوس فيما بينهم: عشُ ألف سنة،
يقول الله تعالى: اليهودُ أحرصُ على الحياة من المجوس الذين يقولون
ذلك.

﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِّجِهِ﴾ بمباعده.

﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ من النار.

﴿أَنَّ يُعَمَّرَ﴾ أي: طولُ عمره لا يُنقذه من العذاب.

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم. قرأ يعقوب: (تَعْمَلُونَ) بالخطاب، والباقون بالغيب^(١).

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٩٧).

[٩٧] ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ قرأ ابن كثير: (جَبْرِيلَ) بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز، وحمزة، والكسائي، وخلف: (جَبْرِئِيلَ) بفتح الجيم والراء وهمزة مكسورة بعدها ياء، وأبو بكر: (جَبْرِئِلَ) بفتح الجيم والراء وحذف الياء بعد الهمزة، والباقون بكسر الجيم والراء من غير همز، كلُّها لغات^(٢).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إِنَّ حَبْرًا مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ يُقَالُ لَهُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صُورِيَا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَيُّ مَلِكٍ يَأْتِيكَ مِنَ السَّمَاءِ؟ قَالَ: «جَبْرِيلُ»، قال: ذاك^(٣) عدوُّنا من الملائكة، ولو كان ميكائيلَ، لَأَمْنًا بِكَ؛

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٠٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٤)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١/٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٨٩).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٠٠-٢٠١)، و«الحجة» لأبي زرة (ص: ١٠٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٦-١٦٧)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٢٧)، و«تفسير البغوي» (١/٨٠-٨١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٨٩-٩٠).

(٣) في «ت»: «ذلك».

إن جبريل ينزل بالعذاب والقتال والشدة، وإنه عادانا مراراً، وكان أشد ذلك علينا أن الله أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخرب على يد رجل يقال له: بُخْت نصر، وأخبر بالحين الذي يخرب فيه، فلما كان وقته، بعثنا رجلاً من أقوياء بني إسرائيل في طلبه ليقته، فانطلق حتى لقيه ببابل غلاماً مسكيناً، فأخذه ليقته، فدفع عنه جبريل، وكبر بخت نصر وقوي، فغزانا وخرب بيت المقدس، فلهذا نتخذه عدواً، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾^(١).

﴿فَإِنَّهُ﴾ يعني: جبريل.

﴿نَزَّلَهُ﴾ يعني: القرآن؛ كناية عن غير مذكور.

﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ يا محمد.

﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بأمر الله.

﴿مُصَدِّقًا﴾ موافقاً.

﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لما قبله من الكتب.

﴿وَهْدًى﴾ أي: هداية.

﴿وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف:

(وَبُشْرَى) بالإمالة^(٢)، وتقدم الاختلاف في إبدال الهمز^(٣) في (المؤمنين)^(٤).

(١) انظر «العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/٢٩٧).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٢٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص: ١٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٩١).

(٣) في «ن»: «الهمزة».

(٤) عند تفسير الآية (٣) من سورة البقرة.

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [٩٨]

[٩٨] ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ خَصَّهَما بالذكر من جملة الملائكة، مع دخولهما في قوله: وملائكته^(١)؛ تفضيلاً وتخصيصاً؛ كقوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَكِهَةٌ وَنَحْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨] خَصَّ النَحْلَ والرمان بالذكر مع دخولهما في ذكر الفاكهة، والواو فيهما بمعنى (أو)؛ يعني: من كان عدواً لأحد هؤلاء؛ لأن الكافر بالواحد كافراً بالكل. قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وحفص (مِيكَالَ) بغير همزة^(٢) ولا ياء بعدها. وقرأ نافع، وأبو جعفر: (مِيكَائِلَ) بهمزة من غير ياء بعدها. وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر، وخلف: (وَمِيكَائِيلَ) بهمزة بعدها ياء، وتقدم الخلاف في (جبريل)^(٣).

﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ تلخيصه: من عاداهم، عاداه الله، ومن عاداه الله، عذبه.

وقد روي أن جبريل - عليه السلام - نَزَلَ على آدم اثنتي عشرة مرة، وعلى إدريس أربع مرات، وعلى نوح خمسين مرة، وعلى إبراهيم اثنتين وأربعين مرة، وعلى يوسف أربع مرات، وعلى موسى أربع مئة مرة، وعلى عيسى عشر مرات، وعلى محمد أربعة وعشرين ألف مرة - صلوات الله عليهم أجمعين -، ولم يُذكر في القرآن من الملائكة باسمه سوى أربعة:

(١) «وملائكته» سقطت من «ن».

(٢) في «ن»: «همز».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٨١)، عند تفسير الآية (٩٧) من هذه الآية.

جبريل، وميكائيل، والرعدي، ومالك في قوله في سورة الزخرف: ﴿وَنَادُوا
يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الآية: ٧٧]، وأشير إلى إسرافيل في سورة ق قوله:
﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [الآية: ٤١]، وأشير إلى عزرائيل في الم
السجدة: ﴿قُلْ يَنفِقَكُم مِّلْكُ الْمَوْتِ﴾ [الآية: ١١]، وبقية الملائكة ذكروا
إجمالاً، وأشير إلى بعضهم كالحفظة والسائق والشهيد، ومعنى جبريل
وميكائيل: عبد الله، فجبر وميك: هما^(١) العبد، وإيل وآل: هو الله،
وكذلك إسرافيل، فقال ابن سوريا: ما جئنا يا محمد بشيء نعرفه،
فأنزل الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا
الْفَاسِقُونَ﴾ [٩٩].

[٩٩] ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات مفصلاتٍ بالحلال
والحرام، والحدود والأحكام.

﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ الخارجون عن أمر الله - عز وجل -.

﴿أَوْ كَلِمَا عَهْدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا
يُؤْمِنُونَ﴾ [١٠٠].

[١٠٠] ﴿أَوْ﴾ واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام، تقديره:
أكفروا بالبينات.

(١) في «ن»: «فجبر وهما ميك».

و﴿كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا﴾ يعني: اليهود عاهدوا: لئن خرج محمدٌ، لنؤمننَّ به، فلما خرج محمدٌ كفروا به. قال ابنُ عباسٍ: لما ذكرَ رسولُ الله ﷺ لهم ما أخذَ الله عليهم، وعَهَدَ إليهم في محمدٍ أن يؤمنوا به، قال مالكُ بنُ الصيفِ^(١): والله ما عهدَ إلينا في محمدٍ عهداً، فأنزل الله هذه الآية^(٢).

يدلُّ عليه قراءةُ أبي رجاء العطاردي: (أَوْ كُلَّمَا عُوهِدُوا) فجعلهم مفعولين^(٣).

﴿نَبَذَهُ﴾ طَرَحَهُ وَنَقَضَهُ.

﴿فَرِيقٌ﴾ طَوَائِفُ.

﴿مِنْهُمْ﴾ مِنَ الْيَهُودِ.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالتوراة، ولا يبالون بالدين، فلا يعتدُّون بنقض العهد.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ بَدَّ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانَتْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

(١) في «ت» و«ظ»: «الضيف».

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٤٤٧/١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٨٣/١).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٨١/١)، و«الكشاف» للزمخشري (٨٥/١)، و«تفسير الرازي» (٤٢٦/١)، و«البحر المحيط» لأبي حيَّان (٣٢٤/١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٩٣/١).

[١٠١] ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ يعني : محمداً ﷺ .

﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ يعني : التوراة ، وقيل : القرآن ؛ أي : لم يعملوا بما فيها .
﴿كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ كانوا يقرؤون التوراة ولا يعملون بها .

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٠٧﴾ .

[١٠٢] ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ يعني : اليهود .

﴿مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ أي : ما تلت ؛ أي : تكلمت به . والعربُ تضعُ المستقبل موضعَ الماضي وعكسه .

﴿عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ﴾ أي : على زمنٍ ملكه ، وهو سليمان بن داود - عليهما السلام - ، عاش اثنتين وخمسين سنة ، ومدة ملكه أربعون سنة ، ووفاته في أواخر سنة خمسٍ وسبعين وخمسٍ مئة لوفاة موسى - عليه السلام - وبين وفاته والهجرة الشريفة الإسلامية ألفٌ وسبعٌ مئة وثلاث

وسبعون سنةً، ونُقل أنَّ قبره بالبيت المقدس^(١) عند الجيسمانية، وأنه هو وأبوه داودُ في قبرٍ واحد.

وقصةُ الآية: أن الشياطينَ كتبوا السحرَ والنيرِنجياتِ على لسانِ آصف: هذا ما علَّم آصفُ بنُ برخيا سليمانَ الملكَ، ثم دفنوها تحت مصلاه حين نزَعَ اللهُ الملكَ عنه، ولم يشعرُ سليمانُ بذلك، فلما مات، استخرجوها، وقالوا للناس: إنما مَلَكْكم سليمانُ بهذه، فتعلَّموها، فأما علماءُ بني إسرائيل وصلاحاؤهم، فقالوا: معاذَ اللهِ أن يكون هذا من علمِ سليمانَ، وأما السُّفلةُ، فقالوا: هذا علمُ سليمانَ، وأقبلوا على تعلُّمه، ورفضوا كتبَ أنبيائهم، وفشَّتِ الملامةُ لسليمانَ، فلم يزل هذا حالهم حتى بعثَ اللهُ محمداً ﷺ، وأنزلَ عليه براءةَ سليمانَ، فقال:

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾ بالسحر وعمله.

﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ باستعمالِ السحر وكتبه. قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَلَكِنْ) خفيفةُ النون (الشَّيَاطِينُ) رفعٌ، والباقون: (وَلَكِنَّ) مشددةُ النون (الشَّيَاطِينُ) نصبٌ^(٢).

ومعنى (لكن) نفى الخبر الماضي، وإثباتُ المستقبل.

﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ والسحرُ عبارةٌ عن التَّمويهِ والتَّخيلِ، ووجوده

(١) في «ن»: «بيت المقدس».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٦)، و«الكشف» لمكي (١/٢٥٦)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٢٧)، و«تفسير البغوي» (١/٨٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٩٤).

حقيقةً عند أهل السنّة، وعليه أكثرُ الأمم، وهو محرّمٌ بالإجماع.

واختلف الأئمة فيمن يتعلّم السحرَ ويستعمله، فقال أبو حنيفة ومالك :
يكفرُ بذلك، وبعضُ أصحابِ أبي حنيفة فصل، فقال : إن تعلّمه ليتقيّه، أو
ليتجنّبهُ، فلا يكفرُ، وإن تعلّمه معتقداً لجوازه، أو أنه ينفعه، فإنه يكفرُ.

وقال الشافعي : إذا تعلّم السحرَ قلنا له : صِفْ سحرَكَ، فإن وصفَ
ما يوجبُ الكفرَ، مثل ما اعتقده أهلُ بابلَ من التقربِ إلى الكواكبِ السبعة،
وأنها تفعلُ ما يُلتمس منها، فهو كافرٌ، وإن كان لا يوجبُ الكفرَ، فإن اعتقدَ
إباحته، كفر، وإلا فلا.

وقال أحمدُ : الساحرُ الذي يركبُ المِكنسةَ، فتسيرُ به في الهواء،
ونحوه؛ كالذي يدّعي أن الكواكبَ تخاطبُهُ، يكفرُ، ويقتلُ هو ومن يعتقدُ
حلّه، فأما الذي يسحرُ بالأدوية والتدخين^(١) وسقي شيءٍ يضرُّ، فلا يكفر،
ويعزّرُ.

ويقتلُ بمجرد تعلّمه واستعماله عند مالك، وإن لم يقتل به.

وقال أبو حنيفة والشافعي : لا يُقتل بذلك، فإن قتلَ بالسحر، قُتلَ
عندهما، إلا أن أبا حنيفة قال : لا يُقتل حتى يقرَّ بأني^(٢) قتلْتُ إنساناً بعينه.

وقال الشافعي : لو قال : قتلته بسحري، وسحري يقتلُ غالباً، فقد أقرَّ
بقتلِ العمْدِ، وإن قال : وهو يقتلُ نادراً، فهو إقرارٌ بشبهِ العمْدِ، وإن قال :
أخطأتُ من اسمٍ غيره إلى اسمه، فهو إقرارٌ بالخطأ، ثم ديةُ شبهِ العمْدِ،

(١) في «ت» : «التسخين».

(٢) في «ت» : «أني».

ودية الخطأ مخففة، كلاهما في مال الساحر، لا تطالبُ العاقلةُ بشيء إلا أن يصدّقوه؛ لأن إقراره عليهم لا يُقبل.

وقال أحمد: إن قتلَ بفعله غالباً اقتُصَّ منه، وإلا الدية.

ويقتل حدّاً عند أبي حنيفة، ومالك.

وقال الشافعي وأحمد: يُقتل قصاصاً، وتقبل توبته عند الشافعي.

وقال مالك وأبو حنيفة - في المشهور عنه -، وأحمد في أصح روايته: لا تقبل.

وأما ساحرُ أهل الكتاب، فقال مالك والشافعي وأحمد: لا يقتل، وقال أبو حنيفة: يُقتل.

وأما المسلمةُ الساحرة، فقال الثلاثة: حكمها حكمُ الرجل، وقال أبو حنيفة: تُحبس ولا تُقتل.

﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ﴾ أي: ويعلمون الذي أنزل على الملكين؛ أي: ألهما وعُلّما، فالإنزالُ بمعنى الإلهام والتعليم، وبابلُ: هي بابلُ العراق، سميت به لتبليبلِ الألسنِ بها عند سقوطِ صرحِ نمرود؛ أي: تفرّقها.

والأصحُّ مما قيل في ذلك: أن الله سبحانه امتحنَ الناسَ بالملكين في ذلك الوقت، فالشقيُّ يتعلّمه^(١) فيكفر، والسعيدُ يتركه^(٢) فيبقى على الإيمان.

﴿هَرُوتَ وَمَرُوتَ﴾ اسمان سريانان، وهما في محل الخفض على

(١) في «ن» و«ظ»: «يتعلمه».

(٢) في «ظ»: «يتركه».

تفسير الملكين، إلا أنهما نُصبا لعجمتهما وتعريفهما، وكانت قصتهما أن الملائكة رأوا ما يصعدُ إلى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة في زمن إدريس - عليه السلام - فعيروهم، وقالوا: هؤلاء الذين جعلتُهم في الأرض واخترتُهم، فهم يعصونك، فقال الله - عز وجل -: لو أنزلتكم^(١) إلى الأرض ورَكَبْتُ فيكم ما رَكَبْتُ فيهم، ارتكبتم مثل ما ارتكبوا، فقالوا: سبحانك ما ينبغي لنا أن نعصيك، قال الله تعالى: فاخترأوا ملكين من خياركم أهبطهما إلى الأرض، فاخترأوا هاروتَ وماروتَ، وكانا من أصلح الملائكة وأعبدِهم، فرَكَبَ الله فيهما الشهوةَ، وأهبطهما إلى الأرض، وأمرهما أن يحكما بينَ الناس بالحقِّ، ونهاهما عن الشُّركِ، والقتلِ بغير الحقِّ، والزنا، وشربِ الخمر، فكانا يقضيان بين الناس يومَهما، فإذا أمسيا ذكرا اسمَ الله الأعظم، وصعدا إلى السماء، فما مرَّ عليهما شهرٌ حتى افتتنا جميعاً، وذلك أن الزُّهرةَ - امرأة من أجمل النساء - جاءتهما تخاصمٌ زوجها إليهما، فوقعَت في أنفسهما، فراوداها عن نفسها، فأبت وانصرفت، ثم عادت في اليوم الثاني، ففعلا مثلَ ذلك، فأبت وقالت: لا، إلا أن تعبدا ما أعبد، وتصليا لهذا الصنم، وتقتلا النفسَ، وتشربا الخمر، فقالا: لا سبيلَ إلى هذه الأشياء؛ فإن الله قد نهانا عنها، فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث، ومعها قدحٌ من خمر، وفي أنفسهما من الميل إليها ما فيها، فراوداها عن نفسها، فعرضت عليهما ما قالت بالأمس، فقالا: الصلاةُ لغيرِ الله عظيمٌ، وقتلُ النفسِ عظيمٌ، وأهونُ الثلاثةِ شربُ الخمر، فشربا الخمرَ، فانتشيا، ووقعا بالمرأة فزنيا، فلما فرغا، رآهما إنسانٌ فقتلاه،

(١) في «ت»: «نزلتكم».

وسجدا للصنم، فمسخ الله الزُّهرة كوكباً، وحُكي غير ذلك، فلما أمسى هاروت وماروت بعدما قارفا الذنب؛ أي: اكتسباه، همًا بالصعود إلى السماء، فلم تطاوعهما أجنحتُهما، فعلما ما حلَّ بهما، فقصدا إدريس النبي - عليه السلام -، فأخبراه بأمرهما، وسألاه أن يشفعَ لهما إلى الله، وقالاه: إنا رأيناكَ يصعدُ لك من العبادة مثلُ ما يصعد لجميع أهل الأرض، فاستشفعَ لنا إلى ربك، ففعلَ ذلك إدريسُ، فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذابَ الدنيا؛ إذ علما أنه ينقطع، فهما ببابلَ يعذبان إلى قيام الساعة^(١).

وروي أن رجلاً قصدَ هاروتَ وماروتَ لتعلُّم السحر، فوجدهما معلَّقين بأرجلهما، مزرقةً أعينُهما، مسودةً جلودُهما، ليس بينَ ألسنتيهما وبينَ الماء إلا أربعة أصابع، وهما يعذبان بالعطش، فلما رأى ذلك، هاله مكانُهما، فقال^(٢): لا إله إلا الله، فلما سمعا كلامه، قالاه: من أنت؟ قال: رجلٌ من الناس، قالاه: من أي: أمة؟ قال: من أمة محمد ﷺ، قالاه: وقد بُعث محمدٌ ﷺ؟ قال: نعم قالاه: الحمد لله، وأظهرا الاستبشار، فقال^(٣) الرجل: بم استبشاركما؟ قالاه: إنه نبيُّ الساعة، وقد دنا انقضاء عذابنا^(٤).

﴿وَمَا يَعْلَمَانِ﴾ يعني: الملكين.

﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ أي: أحداً، و(مِنْ) صلة.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١٠٠ - ١٠١).

(٢) في «ت»: «فقالا».

(٣) في «ن»: «فسأل».

(٤) المرجع السابق: (١/ ١٠١).

﴿ حَقٌّ ﴾ ينصحاؤه أولاً .

و ﴿ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾ أي : ابتلاءٌ ومحنةٌ .

﴿ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ أي : لا تتعلم السحرَ لتعملَ به فتكفرَ، وأصلُ الفتنة : الاختبارُ والامتحانُ، فإن أباي إلا التعلم^(١)، قالوا له : ائتِ هذا الرمادَ فبُلْ عليه، فيخرجُ منه نورٌ ساطعٌ في السماء، فتلك المعرفةُ، وينزلُ شيءٌ أسودُّ شبهُ الدخانِ حتى يدخلَ مسامعه، وذلك غضبُ الله - عز وجل - .

قال مجاهد : إن هاروتَ وماروتَ لا يصلُ إليهما أحدٌ، ويختلفُ فيما بينهما شيطانٌ في كلِّ مسألةٍ اختلافاً واحدةً .

﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ وهو أن يؤخذَ كلُّ واحدٍ منهما عن صاحبه، ويُغَضَّ كلُّ واحدٍ إلى صاحبه، قال الله تعالى :

﴿ وَمَا هُمْ ﴾ أي : السحرةُ أو الشياطينُ .

﴿ بِضَارِّينَ بِهِ ﴾ أي : بالسحر .

﴿ مِنْ أَحَدٍ ﴾ أي : واحداً .

﴿ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ أي : بقضاء الله وقدره ومشئته .

﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ ﴾ يعني : السحرُ يضرهم .

﴿ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا ﴾ يعني : اليهود .

﴿ لَمَنِ اشْتَرَاهُ ﴾ أي : اختارَ السحرَ . قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف : (اشترىه) باللام^(٢) .

(١) في «ن» : «التعليم» .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ١٦٨)، و«الغيث» للصفافسي (ص : ١٢٧)، =

﴿ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ ﴾ أي : في الجنة .

﴿ مِنْ خَلْقٍ ﴾ نصيب ، خبرٌ .

﴿ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا ﴾ أي : باعوا .

﴿ بِهِ أَنْفُسُهُمْ ﴾ أي : حظَّ أنفسهم ؛ حيثُ اختاروا السحرَ والكفرَ على الدينِ والحقِّ .

﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ يعني : اليهود ، وقوله : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ بعدَ قوله ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا ﴾ أي : لما لم يعملوا بما علموا ، فكانهم لم يعلموا .

وقد أنكر القاضي عياضٌ - رحمه الله - قصةَ هاروتَ وماروتَ ، ونسبَ ما قيل فيها من الأخبارِ إلى كتب اليهودِ وافترائهم كما نصَّه الله أولَ الآياتِ من افترائهم بذلك على سليمان ، وتكفيرهم إياه ، وحكى عن خالد بن أبي عمرانَ أنَّه نَزَّههما عن تعليم السحر ، وحكى قولاً : أنَّ هاروتَ وماروتَ عِلْجان^(١) من أهل بابل ، وقيل : كانا ملكين من بني إسرائيل ، فمسخهما الله ، والله أعلم^(٢) .

= و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص : ١٤٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٩٦/١) .

(١) في «ن» : «علمان» .

(٢) انظر : «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض (٢/٨٥٣) . قال ابن كثير في «تفسيره» (١/١٤٢) : وقد روي في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين ، كمجاهد والسدي والحسن البصري وقتادة وأبي العالية والزهري والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وغيرهم ، وقصَّها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين ، وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل ، إذ =

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١٠٣﴾ .

[١٠٣] ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا ﴾ بمحمد ﷺ ، والقرآن .

﴿ وَاتَّقَوْا ﴾ اليهودية والسحر .

﴿ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ لكان ثواب الله إياهم .

﴿ خَيْرٌ ﴾ لهم .

﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ أي : أن ثواب الله خير مما هم فيه .

﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿١٠٤﴾ .

[١٠٤] ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا ﴾ وذلك أن المسلمين

كانوا يقولون : راعنا يا رسول الله ؛ من المراعاة ؛ أي : أَرَعْنَا سَمْعَكَ ؛ أي : فَرَّغْ سَمْعَكَ لكلامنا ، وكانت هذه اللفظة شيئاً قبيحاً بلغة اليهود ؛ بمعنى الحمق والرعونة ، فإذا أرادوا أن يحمقوا إنساناً ، قالوا له : راعنا ؛ أي : يا أحمق ، فلما سمع اليهود هذه اللفظة من المسلمين ، قالوا فيما بينهم : كنا

= ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم ، الذي لا ينطق عن الهوى ، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب ، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أَرَادَهُ اللهُ تعالى ، والله أعلم بحقيقة الحال .

نسبُ محمدًا سرًّا، فأعلنوا به الآن، وكانوا يأتونه ويقولون: راعنا يا محمد، ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعدُ بنُ مُعَاذٍ، ففطنَ لها، وكان يعرفُ لغتهم، فقال لليهود: لئن سمعْتُها من أحدٍ منكم يقولُها لرسولِ الله ﷺ، لأضربنَّ عنقه، فقالوا: أولستُم تقولونها؟ فأنزل الله هذه الآية نهيًا للمؤمنين عن التشبُّه بهم، وقطعاً للذريعة لكيلا يجد اليهود والمنافقون بذلك سبيلاً إلى شتم رسولِ الله ﷺ^(١).

﴿وَقُولُوا أَنْظِرْنَا﴾ أي: انظر إلينا.

﴿وَأَسْمَعُوا﴾ ما تؤمرون به؛ أي: وأطيعوا.

﴿وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يعني: الذين تهاونوا بالرسول ﷺ وسبُّوه، وهم اليهود.

﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

[١٠٥] ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الآية، وذلك أن المسلمين كانوا إذا قالوا لحلفائهم من اليهود: آمنوا بمحمد، قالوا: ما هذا

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٧)، و«تفسير البغوي» (١/١٠٢)، و«العجاب» (١/٢٤٤)، و«فتح الباري» كلاهما لابن حجر (٨/١٦٣)، و«لباب النقول» للسيوطي (ص: ٢٤). قال ابن حجر: رواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» عن ابن عباس بسند ضعيف جداً.

الذي تدعوننا إليه بخير مما نحنُ عليه، ووددنا^(١) لو كان خيراً، فأنزل الله تكذيباً لهم^(٢):

﴿مَا يَوْذُ﴾ أي: ما يحب ويتمنى.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني: اليهود.

﴿وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾ جرؤه بالنسق على (من)، والمراد: مشركو العرب؛ كأبي سفيان وغيره، والشرك: وضع الشيء مع مثله.

﴿أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: خيراً ونبوة، و(من) صلة. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (يُنْزَل) بالتخفيف مع إسكان النون، والباقون بالتشديد مع فتح النون^(٣).

﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾ أي: بنبوته.

﴿مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ والفضل: ابتداء الإحسان بلا علة.

﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[١٠٦] ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ قرأ العامة: بفتح النون والسين من

(١) في «ن» و«ت»: «وودنا».

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٠٣)، و«العجاب» لابن حجر (١/ ٣٤٧).

(٣) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٩٨).

النسخ؛ أي: نرفعها. وقرأ ابنُ عامرٍ: (نُسِخَ) بضم النون الأولى، وكسر السين؛ من الإنساخ؛ أي: نجعله من المنسوخ^(١)، وذلك أن المشركين قالوا: إن محمداً يأمرُ أصحابه بأمرٍ، ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه، ما يقوله إلا من تلقاء نفسه، يقول لهم اليوم قولاً، ويرجعُ عنه غداً؛ كما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَاتٍ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ [النحل: ١٠١]، وأنزل: ﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ﴾، فبيّنَ وجهَ الحكمةِ في النسخِ بهذه الآية.

﴿أو ننسئها﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرو: بفتح النون والسين، وهمزة ساكنة بين السين والهاء؛ أي: نُؤَخِّرُها في اللوح المحفوظ. وقرأ الباقون: (نُسِها) بضم النون وكسر السين من غير همز؛ أي: نجعلها منسيّةً، أي: متروكة^(٢).

﴿نَأَتْ بِخَيْرٍ مِّنْهَا﴾ أي: بما هو أنفعُ لكم، وأسهلُ عليكم، وأكثرُ

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٨)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٥٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٩٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٩٨). غير أنه وقع من مطبوعة «تفسير البغوي»: قراءة العامة بفتح النون وكسر السين. والصحيح أنها بفتح السين، كما مرَّ في مراجع القراءات آنفاً.

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٠٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٥٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٩٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٩٩).

لأجركم، لا أن آية خير من آية؛ لأن كلام الله واحد كله خير.

﴿أَوْ مِثْلَهَا﴾ في المنفعة والثواب، فكل^(١) ما نسخ إلى الأيسر، فهو أسهل في العمل، وما نسخ إلى الأشق، فهو في الثواب أكثر.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من النسخ والتبديل، لفظه استفهام، ومعناه تقرير؛ أي: إنك تعلم. والنسخ لغة: الرفع والإزالة، ومنه نسخت الشمس الظل، والنقل نسخت الكتاب، وشرعاً: رفع حكم شرعي متراخ، والمنسوخ: الحكم المرتفع بالناسخ، والناسخ حقيقة هو الله، وأهل الشرائع على جوازه عقلاً، ووقوعه شرعاً، وخالف أكثر اليهود في الجواز، ويجوز النسخ قبل الفعل بعد دخول الوقت بالاتفاق، ويجوز نسخ التلاوة دون الحكم، وعكسه، وهما بالاتفاق، ويجوز نسخ قرآن وسنة متواترة بمثلها^(٢)، وسنة بقرآن بالاتفاق، ولا حكم للناسخ مع جبريل - عليه السلام - اتفاقاً، فإذا بلغه، لم يثبت حكمه في حق من لم يبلغه. وزيادة عبادة مستقلة من غير الجنس ليست نسخاً، وكذا من الجنس، بالاتفاق.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(١٠٧).

[١٠٧] ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ﴾ يا معشر الكفار عند نزول العذاب.

(١) في «ت»: «وكل».

(٢) في «ن»: «بمثلها».

﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ﴾ مما سوى الله .

﴿مِنْ وَلِيِّ﴾ قريبٍ ولا صديقٍ .

﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ناصرٍ يمنعكم من العذاب .

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ .

[١٠٨] ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ نزلت في اليهود حين^(١) قالوا: يا محمدُ ايتنا بكتابٍ من السماءِ جملةً كما أتى موسى بالتوراة، قال الله تعالى:

﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ يعني: أتريدون، والميمُ صلةٌ.

﴿أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ محمداً ﷺ .

﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ سألهُ قومه، فقالوا: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣]، ففيه منعهم عن السؤالات المقترحة بعد ظهور الدلائل والبراهين .

﴿وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ﴾ أي: أخطأ .

﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: وسط الطريق . قرأ ابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، وقالونُ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ: (فَقَدْ ضَلَّ) بإظهار دال (قد) عند الضاد، وكذلك عند الظاء والذال والزاي حيث وقع، وافقه ورشٌ عند الذال والزاي^(٢) .

(١) في «ن»: «حيث» .

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٠٣) .

﴿ وَذَكَرْتُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِمَّنْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَرُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

[١٠٩] ﴿ وَذَكَرْتُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ نزلت في نفرٍ من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسرٍ بعدَ وقعة أُحُدٍ: لو كنتم على الحقِّ، ما هُزمتُم، فارجعوا إلى ديننا، فنحن أهدى سبيلاً منكم، فقال لهم عمار: وكيف نقضُ العهدِ فيكم؟ قالوا: شديدٌ، قال: فَإِنِّي عاهدتُ اللهَ ألا أكفرَ بمحمدٍ ﷺ ما عشتُ، فقالت اليهود: أما هذا، فقد صَبَأَ، وقال حذيفة: أما أنا^(١) رَضِيتُ بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً، وبالكعبة قبلَةً، وبالمؤمنين إخواناً، ثم أتيا رسولَ الله ﷺ فأخبراه بذلك، فقال: «أَصَبْتُمَا الْخَيْرَ وَأَفْلَحْتُمَا»، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَذَكَرْتُ ﴾^(٢) أي: تمنى، وأراد: أَهْلَ الْكِتَابِ من اليهود.

﴿ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ ﴾ يا معشرَ المؤمنين .

﴿ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا ﴾ نصبٌ على المصدر؛ أي: يحسدونكم حسداً.

﴿ مِمَّنْ عِنْدِ ﴾ أي: من تلقاء .

﴿ أَنْفُسِهِمْ ﴾ لم يأمرهمُ الله بذلك .

(١) «أما أنا» سقطت من «ن» .

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٨)، و«تفسير البغوي» (١/١٠٥)، و«العجاب» لابن حجر (١/٣٥٦-٣٥٧) .

﴿مَنْ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ في التوراة أَنْ قَوْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ صَدَقَ،
وَدِينُهُ حَقٌّ.

﴿فَاعْفُوا﴾ أي: فاتركوا.

﴿وَأَصْفَحُوا﴾ أي: تجاوزوا، فاعفوا: المحو، والصفح: الإعراض،
وكان هذا قبل آية القتال.

﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ بعذابه: القتل والسبي لبني قريظة، والجلاء
والنفى لبني النضير.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على الانتقام منهم.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ
عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[١١٠] ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا﴾ أي: تسلفوا.

﴿لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ طاعة وعمل صالح.

﴿تَجِدُوهُ﴾ أي: تجدوا ثوابه.

﴿عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لا يضيع عنده عمل.

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ
قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

[١١١] ﴿وَقَالُوا﴾ عطف على ﴿وَدَّ﴾، والضمير لأهل الكتابين.

﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا﴾ أي: يهودياً، واليهودُ جمعُ هائدٍ.

﴿أَوْ نَصْرَى﴾ وذلك أن اليهود قالوا: لن يدخل الجنة^(١) إلا من كان يهودياً، ولا دين إلا اليهودية، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً، ولا دين إلا النصرانية، نزلت في وفد نجران، وكانوا نصارى، اجتمعوا في مجلس رسول الله ﷺ مع اليهود، فكذب^(٢) بعضهم بعضاً، قال الله تعالى:

﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ شهواتهم الباطلة التي تمنوها على الله بغير الحق. قرأ أبو جعفر: بسكون الياء والتخفيف، مع كسر الهاء، والباقون: بتشديد الياء، وضم الهاء^(٣).

﴿قُلْ﴾ يا محمد.

﴿هَاتُوا﴾ أصله: أتوا.

﴿بُرْهَانَكُمْ﴾ حُجَّتكم على ما زعمتم.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دَعَوَاكم، ثم قال رداً:

﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١١٧﴾.

(١) «الجنة» سقطت من «ت».

(٢) في «ت»: «فكذبت».

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٠٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٠٤).

[١١٢] ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ﴾ أي: ليس كما قالوا، بل الحكم للإسلام، وإنما يدخل الجنة من أسلم.

﴿وَجَهَّهُ لِلَّهِ﴾ أي: أخلص دينه لله، وأصل الإسلام: الاستسلام والخضوع، وخصَّ الوجه؛ لأنه إذا جادَّ بوجهه في السجود، لم يبخل بسائر جوارحه.

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في عمله.

﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة، وإلاَّ فالיום المؤمنون أشدَّ خوفاً وحُزناً من غيرهم؛ لنظرهم في مصيرهم، ولما قدم وفد نجران على النبي ﷺ، أتاهم أحرار اليهود، فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم، فقال لهم اليهود: ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بعبسى والإنجيل، وقال لهم النصارى: ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بموسى والتوراة، فأنزل الله تعالى:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

[١١٣] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ أي: أمر يصح ويُعتمد به.

﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ وكلا الفريقين يقرأون الكتاب، معناه: ليس في كتابهم هذا الاختلاف، فدلَّ تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم ما فيه على كونهم على الباطل.

﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني : آباءهم الذين مضوا .

﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ يقضي بين المحق والمبطل .

﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من الدين . قرأ السوسي عن أبي عمرو : (يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ) ^(١) (أَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) (مَرِيَمَ بُهْتَانًا) (آدَمَ بِالْحَقِّ) وشبهه حيث وقع : بإسكان الميم عند الباء إذا تحرك ما قبلها تخفيفاً؛ لتوالي الحركات ، فتخفى إذ ذاك بغنة ، فإن سكن ما قبلها ، تُرِكَ ذلك إجماعاً .

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهِأُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ^(١١٤) .

[١١٤] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي : أكفر وأعتى .

﴿مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ يعني : بيت المقدس ومحاربه .

﴿أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى﴾ عمل .

﴿فِي خَرَابِهِ﴾ هو بُخْت نَصْرٌ وأصحابه ، غزوا اليهود ، وخرَّبوا بيت المقدس ، وأعانهم على ذلك النصارى : طَيْطُوسُ الرومي وأصحابه ، فغزوا بني إسرائيل ثانياً ، فقتلوا مقاتلتهم ، وسبوا ذراريهم ، وحرقوا التوراة ، وخرَّبوا بيت المقدس ، وقذفوا فيه الحِيفَ ، وذبحوا فيه الخنازير ، فكان

(١) انظر : «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ١٤٥) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٠٥) .

خراباً إلى أن بناه المسلمون في أيام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ،
فأنزل الله تعالى الآية (١) ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ
وَسَعَى فِي خَرَابِهَا ﴾ (٢) .

﴿ أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ﴾ أي : على وجه التهيب ،
وذلك أن بيت المقدس موضع حج النصارى ، ومحل زيارتهم ، قال ابن
عباس : لم يدخلها بعد عمارتها رومي إلا خائفاً ، لو علم به ، قُتِلَ .
﴿ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾ عذاب وهوان ، قال قتادة : هو القتل للحربي ،
والجزية للذمي .

﴿ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ وهو النار .

وقيل : نزلت في مشركي مكة ، وأراد بالمساجد : المسجد الحرام ،
منعوا رسول الله ﷺ وأصحابه من حجّه والصلاة فيه عام الحديبية ، وإذا
منعوا مَنْ يَعْمُرُهُ بذكر الله ، فقد سَعَوْا في خرابه ﴿ أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ
يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ﴾ يعني : أهل مكة ، يقول : أفتَحها عليكم حتى
تَدْخُلوها ، وتكونوا أولى بها منهم ، ففتحها عليهم ، وأمر النبي ﷺ منادياً
ينادي : « أَلَا لَا يَحُجُّنَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ » (٣) ، فهذا خوفهم ، وثبت الشرع أن

(١) « الآية » سقطت من « ن » .

(٢) انظر : « تفسير الطبري » (٤٩٨/١) ، و « أسباب النزول » للواحدي (ص : ١٩) ،
و « تفسير البغوي » (١٠٧/١) ، و « العجائب » لابن حجر (٣٥٩/١) ، و « الدر
المشثور » للسيوطي (٢٦٤/١) .

(٣) رواه البخاري (٣٦٢) ، كتاب الصلاة ، باب : ما يستر من العورة ، ومسلم
(١٣٤٧) ، كتاب : الحج ، باب : لا يحج البيت مشرك . . . عن أبي هريرة
رضي الله عنه .

لَا يُمَكِّنَ مُشْرِكٌ مِنْ دُخُولِ الْحَرَمِ ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ الذَّلُّ وَالْهَوَانُ
وَالْقَتْلُ وَالسَّبْيُ وَالنَّفْيُ^(١).

واختلف الأئمة في دخول الكفار المساجد، فقال أبو حنيفة وأصحابه:
يجوز للذمي دخول المسجد الحرام^(٢) وغيره بالإذن، ومنعه مالك وأحمد
مطلقاً، والشافعي يمنعه في المسجد الحرام، ويُجيزه في غيره، ويأتي ذكر
اختلافهم في دخول الذمي حرم مكة، ومنعه من استيطان الحجاز في سورة
التوبة عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ
الْحَرَامَ﴾ [الآية: ٢٨].

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ﴾.

[١١٥] ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ مُلْكاً وَخَلْقاً.

﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا﴾ تَحَوَّلُوا وَجُوهَكُمْ.

﴿فَثَمَّ﴾ هُنَاكَ.

﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾ أَي: جِهَتُهُ الَّتِي أَمَرَ بِهَا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:
خَرَجَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ قَبْلَ تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ إِلَى الْكَعْبَةِ،
فَأَصَابَهُمُ الضَّبَابُ، وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَتَحَرَّوْا الْقِبْلَةَ، وَصَلُّوا، فَلَمَّا ذَهَبَ
الضَّبَابُ، اسْتَبَانَ لَهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَصِيبُوا، فَلَمَّا قَدِمُوا، سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/١٠٧).

(٢) «الحرام» سقطت من «ن».

ذلك، فنزلت هذه الآية^(١). وقال عبد الله بن عمر: نزلت في المسافرين يصلي التطوع حيثما توجهت به راحلته^(٢)، وقيل غير ذلك.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ﴾ أي: غني يعطي من السعة.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ بِنِيَّاتِهِمْ حَيْثَمَا صَلَّوْا وَدَعَّوْا.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَدِيرٌ﴾.

[١١٦] ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ قرأ ابن عامر: (قَالُوا) بغير واو، وقرأ الباقر بالواو^(٣). [و]^(٤) نزلت في يهود المدينة؛ حيث قالوا: عزيز ابن الله، وفي نصارى نجران حيث قالوا: المسيح ابن الله، وفي مشركي العرب حيث قالوا: الملائكة بنات الله^(٥).

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٠٨).

(٢) رواه مسلم (٧٠٠)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: جواز صلاة النافلة على الدابة في السفر حيث توجهت.

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٨)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٦٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٩٦)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٣٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٠٦).

(٤) زيادة من «ن».

(٥) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٠٨)، =

﴿سُبْحَنَهُ﴾ نَزَّهَ وَعَظَّمَ نَفْسَهُ.

﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ عَيْدًا وَمُلْكًا.

﴿كُلُّ لَهٍ قَانُونٌ﴾ أي: طائِعُونَ.

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (١١٧).

[١١٧] ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أبدع؛ أي: اخترع بلا مثالٍ سَبَقَ.

﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أي: قَدَّرَهُ، وأصلُ القضاء: الفراغ، ومنه قيل لمن مات: قُضِيَ عليه؛ لفراغه من الدنيا، ومنه قضاءُ الله وقدره؛ لأنه فُرِغَ منه تقديرًا وتدبيرًا، وقد وردَ لفظُ القضاء في القرآن على عشرةِ أوجهٍ سيأتي ذكرها في سورة الزخرف - إن شاء الله تعالى -.

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي: احدث فيحدث. قرأ ابن عامر: (كُنْ فَيَكُونُ) بنصب النون في جميع المواضع، إلا في آل عمران: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٥٩) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿آل عمران: ٥٩-٦٠﴾، وفي الأنعام: ﴿كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٧٣]، وإنما نصبها؛ لأن جوابَ الأمر بالفاء يكون منصوباً. وقرأ الباقر: بالرفع^(١) على معنى: فهو يكون، فأما

= و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/٣٦٦).

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرة (ص: ١١٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٨)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٨)، و«الكشف» لمكي (١/٢٦٠)، و«تفسير البغوي» (١/٩٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٦)، =

حرفُ آلِ عمران، فإن معناه: كنْ، فكانَ، وأما حرفُ الأنعام، فمعناه الإخبارُ عن القيامةِ، وهو كائنٌ لا محالةً، ولكنه لما كانَ ما يُراد في القرآن من ذكرِ القيامةِ كثيراً يذكر بلفظ الماضي؛ نحو: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [١٥] وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ ﴿[الحاقة: ١٥-١٦]، وَنَحْوِ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، ونحو ذلك، فشابه ذلك، فرُفع، ولاشك أنه إذا اختلفت المعاني اختلفت الألفاظ. قال الأخفشُ الدمشقيُّ: إنما رفعَ ابنُ عامرٍ في الأنعام على معنى سين الخبر؛ أي: فيسكون.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [١١٨].

[١١٨] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ هم الجهلةُ المشركون، نفى العلم عنهم؛ لعدم انتفاعهم به.

﴿لَوْلَا﴾ أي: هلا.

﴿يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ عياناً أنك رسوله.

﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ دلالةٌ وعلامةٌ على صدقك، قال الله تعالى:

﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: كفارُ الأمم الخالية.

﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: أشبه بعضها بعضاً في الكفر والعمى.

= و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٠٦).

﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ﴿﴾ أَنَّهَا آيَاتٌ يَجِبُ الاعْتِرَافُ بِهَا
والإيمان، ثم أوضح الآيات فقال:

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ
الْجَحِيمِ﴾ ﴿١١٩﴾.

[١١٩] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ أي: بالصدق، وهو القرآن.

﴿بَشِيرًا﴾ أي: مبشراً لأوليائي وأهل طاعتي بالثواب الكريم.

﴿وَنَذِيرًا﴾ أي: منذراً مخوفاً لأعدائي وأهل معصيتي بالعذاب الأليم.

﴿وَلَا تُسْأَلُ﴾ قرأ نافع ويعقوب: (وَلَا تَسْأَلُ) بفتح التاء وجزم اللام على
النهي، قال ابن عباس: وذلك أن النبي ﷺ قَالَ ذات يوم: «لَيْتَ شِعْرِي مَا
فَعَلَ أَبَوَايَ»، فنزلت^(١). وقرأ الباقر (وَلَا تُسْأَلُ) بالرفع على النفي؛ أي:
ولست بمسؤول^(٢).

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٥١٦/١)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٠ -

٢١)، و«تفسير البغوي» (١١٠/١)، و«العجاب» لابن حجر (٣٦٨/١)، و«الدر

المنثور» (٢٧١/١)، و«لباب النقول» كلاهما للسيوطي (ص: ٢٨).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٩)،

و«إعراب القرآن» للنحاس (٢٠٩/١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٧)،

و«الكشف» لمكي (٢٦٢/١)، و«تفسير البغوي» (٩٨-٩٩)، و«الكشاف»

للمخشي (٩١/١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦)، و«النشر في القراءات

العشر» لابن الجزري (٢٢١/٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص:

١٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠٧/١).

﴿عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ ما لهم لم يوقنوا بعدما بَلَغَتْ، والجحيمُ: مُعْظَمُ النار.

﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (١٢).

[١٢٠] ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ وذلك أنهم^(١) كانوا يسألون النبي ﷺ الهدنة، ويُطِيعونه أنه إن أمهلهم، اتبعوه، فأنزل الله هذه الآية^(٢)، معناه: إنك وإن هادنتهم، فلا يرضون بها، وإنما يطلبون ذلك تعللاً، ولا يرضون منك إلا باتِّباع مِلَّتِهِمْ، والمِلَّةُ: الطريقة.

﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ﴾ الذي هو الإسلام.

﴿هُوَ الْهَدَىٰ﴾ الذي لا زيادة عليه.

﴿وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ الخطابُ مع النبي ﷺ، والمرادُ به الأمة؛ كقوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي: البيانِ بأنَّ دينَ الله هو الإسلام، والقبلة قبلة إبراهيم، وهي الكعبة.

﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

(١) «أنهم» سقطت من «ت».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١١٠)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢١)، و«لباب النقول» للسيوطي (ص: ٢٨).

ونزلَ في أهل السفينة الذين قَدِمُوا مع جعفر بن أبي طالب، وكانوا أربعين رجلاً: اثنانِ وثلاثون من الحبشة، وثمانية من رهبان الشام، منهم بحيرا الراهب. وقيل: فيمن آمنَ من اليهود: عبد الله بن سلام وأصحابه، وقيل: في أصحاب محمد ﷺ، وقيل: في جميع المؤمنين^(١):

﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ۖ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ ۖ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (١٢١).

[١٢١] ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ۖ﴾ أي: يقرؤونه كما أنزل، ولا يُحرّفونه.

﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ ۖ﴾ من المحرّفين^(٢).
 ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لاستبدالهم الضلالة بالهدى.

﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (١٢٢).

[١٢٢] ﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢١).

(٢) في «ن»: «المجرمين».

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (١٢٣).

[١٢٣] ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ومعنى ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ﴾ أي: ليست ثم، وليس المعنى أنه يشفع فيهم أحدٌ فيردُّ.

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (١٢٤).

[١٢٤] ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ﴾ أي: واذكر إذا ابتلى، والابتلاء: الاختبار، وابتلاء الله العباد ليس ليعلم حالهم بالابتلاء؛ لأنه عالمٌ بهم، ولكن ليعلم العباد أحوالهم حتى يعرف بعضهم بعضاً.

﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ هو اسمٌ أعجمي، ولذلك لا يُجرُّ، ومعناه بالسريانية: الأب الرحيم، وهو إبراهيم بن تارح بن ناحور، وكان مولده بكوثا، ولكن نقله أبوه إلى بابل أرضِ نمرود بن كنعان، عاش إبراهيم - عليه السلام - مئة وخمساً وسبعين سنة، وقيل غير ذلك، وبين وفاته والهجرة الشريفة الإسلامية ألفان وسبع مئة وثمانين عشرة سنة، ودفن بمغارة حبرون^(١) بجبل بيلون تجاه بيت المقدس مما يلي القبلة بمسافة^(٢) تقرب من بريدين، فقيل: إنها ثلاثة عشر ميلاً، وقيل: ثمانية عشر ميلاً، ثم بنى سليمان - عليه السلام - على المغارة حيزاً بأمر الله تعالى، ولم يثبت قبرُ نبيٍّ من الأنبياء سوى قبرِ

(١) في «ن»: «حبرون».

(٢) في «ن»: «من مسافة».

نبيِّنا محمدٍ ﷺ بداخلِ الحُجْرَةِ الشَّريفةِ بِطَيْبَةِ المَشْرِفَةِ، وقبرِ الخليلِ - عليه السلام - بداخلِ الحَيِّرِ السُّلَيْمانيِّ، وما عداهما من الأنبياء - عليهم السلام -، فمحل قبورهم بالظنِّ لا بالقَطْع. قرأ هشامٌ: (إِبْرَاهَام) بالألفِ جميعاً ما في هذه السورة، وجملته خمسة عشر موضعاً، واختلف عن ابنِ ذكوان، وكذلك رُوي عنهما في مواضعٍ أخرى يأتي ذكرُها في محلِّها، جملتها ثمانية عشر موضعاً غيرَ ما في هذه السورة، ووجهُ خصوصيةِ هذه المواضع، وهي ثلاثة وثلاثون موضعاً: أنها كُتبت في المصاحفِ الشامية بحذفِ الياء منها خاصَّةً، وكذلك وُجدت في المصحفِ المدنيِّ، وكُتبت في بعضها في سورة البقرة خاصَّةً، ورُوي عن ابنِ عامرٍ الألفُ في جميعِ القرآن^(١).

﴿رَبُّهُ يَكَلِّمُنِي﴾ هُنَّ شَرَائِعُ الإِسْلَامِ.

﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أَي: أَدَاهُنَّ وَعَمَلَ بِهِنَّ.

﴿قَالَ﴾ اللهُ ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ يُقْتَدَى بِكَ فِي الْخَيْرِ.

﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ أَي: مِنْ أَوْلَادِي أَيْضاً، فَاجْعَلْ مِنْهُمْ أئِمَّةً يُقْتَدَى بِهِمْ.

﴿قَالَ﴾ اللهُ تَعَالَى:

﴿لَا يَنَالُ﴾ لَا يَصِيبُ.

﴿عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ أَي: مَنْ كَانَ مِنْهُمْ ظَالِمًا لَا يَصِيْبُهُ عَهْدِي؛ أَي: الإِمَامَةُ. وَنَصَبَ (الظَّالِمِينَ)؛ لِأَنَّ الْعَهْدَ يَنَالُ كَمَا يُنَالُ. قرأ حمزة، وحفصُ

(١) انظر: «السبعة» لابنِ مجاهد (ص: ١٦٩)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٣٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٠١)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٦٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابنِ الجزري (٢/ ٢٢١-٢٢٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدِّمِيَاطِي (ص: ١٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١١٠).

(عَهْدِي) بِإِسْكَانِ الْيَاءِ، وَالْباقون: بفتحها^(١)، ومعنى الآية: لا ينال ما عهدت إليك من النبوة والإمامة من كان ظالماً من ولدك.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(٢).

﴿وَإِذْ﴾ عطفٌ على (إِذ) المتقدمة.

﴿جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾ يعني: الكعبة. قرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر، وعاصم، وابن ذكوان، والكسائي، وخلاَّد، ويعقوب، وخلف: (وَإِذْ جَعَلْنَا) بإظهارِ ذالِ (إِذ) عند الجيم حيث وقع، والباقون: بالإدغام^(٣).
﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ أي: مرجعاً لهم.

﴿وَأَمْنًا﴾ يأمنون فيه من إيذاء المشركين؛ فإنهم ما كانوا يتعرضون لأهل مكة، ويقولون: هم أهل الله، ويتعرَّضون لمن حوله.

﴿وَاتَّخِذُوا﴾ قرأ نافع، وابن عامر: بفتح الخاء على الخبر، والباقون: بكسرها على الأمر^(٣).

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٠١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٣٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١١٠).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٤١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ١٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١١١).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: =

﴿ مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ والصحيح أن مقام إبراهيم هو الحجر الذي في المسجد يصلي خلفه الإمام المقلد لمذهب الشافعي، وذلك الحجر الذي قام عليه إبراهيم عند بناء البيت .

وعن عمر - رضي الله عنه - أنه قال: «وافقتُ الله في ثلاث، ووافقني ربي في ثلاث: قلتُ: يا رسولَ الله! لو اتخذتَ من مقام إبراهيم مُصَلًّى، فأنزلَ الله - عز وجل -: ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾، وقلتُ: يا رسولَ الله! يدخلُ عليك البرُّ والفاجرُ، فلو أمرتُ أمهاتِ المؤمنينَ بالحجاب^(١)، فأنزلَ الله آيةَ الحجاب، قال: وبلغني معاتبَةُ النبي ﷺ بعضَ نساءِه، فدخلتُ عليهنَّ، قلتُ: إِنْ انتهيتنَّ أو لبيدلنَّ اللهُ رُسولَه خيراً منكُنَّ، فأنزلَ اللهُ - عز وجل -: ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ ﴾^(٢) [التحریم: ٥].

وأما قصةُ المقام، فروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: «لما أتى إبراهيمُ بإسماعيلَ وهاجرَ، ووضعَهما بمكَّةَ، وأنتَ على ذلكَ مدَّةً، ونزلَها الجُرْهُمِيُّونَ، وتزوَّجَ إسماعيلُ منهم امرأةً، وماتتْ هاجرُ، استأذنَ إبراهيمُ سارةَ أن يأتِيَ مكَّةَ، فأذنتُ له، وشرطتُ ألا ينزلَ، فقدمَ إبراهيمُ فذهبَ إلى بيتِ إسماعيلَ، فقال لامرأته: أينَ صاحبُك؟ قالت:

= (١٩٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/٢١٠)، و«الكشف» لمكي (١/٢٦٤)، و«تفسير البغوي» (١/١٠٢)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٣٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١١١).

(١) في «ن»: «الحجاب».

(٢) رواه البخاري (٤٢١٣)، كتاب: التفسير، باب: ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ عن أنس. ورواه مسلم (٢٣٩٩)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عمر - رضي الله عنه -، عن ابن عمر مختصراً.

ذهب يتصيد، وكان إسماعيلُ يخرج من الحَرَمِ فيصيدُ، فقال لها إبراهيم: هل عندك ضيافة؟ قالت: ليس^(١) عندي، وسألها عن عَيْشِهِمْ، فقالت: نحنُ في ضيقٍ وشدةٍ، وشكت إليه، فقال لها: إذا جاءَ زوجك فأقرئهِ السَّلامَ، وقولي له: فليغيرْ عتبةَ بابِهِ، وذهب إبراهيمُ فجاءَ إسماعيلُ فوجدَ ريحَ أبيه، فقال لامرأته: هل جاءكِ أحدٌ؟ قالت: جاءني شيخٌ من صفته كذا وكذا؛ كالمستخفة^(٢) بشأنيه، قال: فما قالَ لك؟ قالت: قال: أقرئي زوجك السَّلامَ، وقولي له يغيرْ عتبةَ بابِهِ، قال: ذاكَ أبي، وقد أمرني أن أفارقكِ، الحَقِّي بأهلك، فطلقها، وتزوجَ منهم أخرى، فلبثَ إبراهيمُ ما شاءَ الله، ثم استأذنَ سارةَ أن يزورَ إسماعيلَ، فأذنتَ له، وشرطتَ عليه ألا ينزلَ فجاءَ إبراهيمُ حتى انتهى إلى بابِ إسماعيلَ، فقال لامرأته: أينَ صاحبُكِ؟ قالت: ذهبَ يتصيدُ، وهو يجيءُ الآنَ إن شاءَ الله، فانزلَ يَرْحَمُكَ اللهُ، قال: هلَ عندك ضيافة؟ قالت: نعم، فجاءت باللبنِ واللحمِ، وسألها عن عَيْشِهِمْ، فقالت: نحنُ بخير وسعةٍ، فدعا لهما بالبركة، ولو جاءت يومئذٍ بخبزٍ أو بُرٍّ أو شعيرٍ أو تمرٍ، لكانت أكثرَ أرضِ اللهِ بُرًّا وشعيراً وتمرّاً، فقالت له: انزلَ حتى أغسلَ رأسَكَ، فلم ينزلَ، فجاءته بالمقام، فوضعتَه عن شِقِّهِ الأيمنِ، فوضعَ قدمه عليه، فغسلت شِقَّ رأسِهِ الأيمنَ، ثم حَوَّلَتْهُ إلى شِقِّهِ الأيسرِ، فغسلت شِقَّ رأسِهِ الأيسرَ، فبقيَ أثرُ قدميه عليه، فقال لها: إذا جاءَ زوجك، فأقرئهِ السَّلامَ، وقولي له: قد استقامتْ عتبةُ بابِكَ، فلما جاءَ إسماعيلُ وجدَ ريحَ أبيه، فقال لامرأته: هل جاءكِ أحدٌ؟ قالت: نعم شيخٌ أحسنُ

(١) في «ت»: «ليست».

(٢) في «ن»: «كالمستخفية».

الناس وجهاً، وأطيبهم ريحاً، وقال لي: كذا وكذا، وقلت له: كذا وكذا، وغسلت رأسه، وهذا موضع قدميه، فقال: ذاك إبراهيم، وأنت العتبة، أمرني أن أمسكك».

وعن ابن عباس أيضاً قال: «ثم لبث عنهم ما شاء الله، ثم جاء بعد وإسماعيل يُبْري نبلاً تحت دوحة قريباً من زمزم، فلما رآه، قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد، والولد بالوالد، ثم قال: يا إسماعيل! إن الله أمرني بأمرٍ تُعينني عليه؟ قال: أُعينك، قال: إن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتاً، فعند ذلك رفع القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة، وإبراهيم يبني حتى ارتفع البناء، جاء بهذا الحجر، فوضعه له، فقام إبراهيم على حَجَرِ المقام، وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا قَبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]»^(١).

وفي الخبر: «الرُّكْنُ وَالْمَقَامُ يَأْقُوتَانِ مِنْ يَوَاقِيتِ الْجَنَّةِ، وَلَوْلَا مَا مَسَّتُهُ أَيْدِي الْمَشْرِكِينَ، لَأَضَاءَتَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»^(٢).

(١) رواه البخاري (٣١٨٤)، كتاب: الأنبياء، باب: ﴿يَرْفُؤْنَ﴾. وانظر: «تفسير البغوي» (١١٣/١).

(٢) رواه الترمذي (٨٧٨)، كتاب: الحج، باب: ما جاء في فضل الحجر الأسود والركن والمقام، وقال: حديث غريب، والإمام أحمد في «المسند» (٢١٣/٢)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٧٣١)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٧١٠)، والحاكم في «المستدرک» (١٦٧٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧٥/٥)، وغيرهم، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما - بلفظ: «إن الركن والمقام ياقوتان من ياقوت الجنة، طمس الله نورهما، ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب». وما ذكره المؤلف من لفظ الحديث، فإنما نقله عن البغوي في «تفسيره» (١١٤/١).

﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ أي: أمرناهما، وأوصينا إليهما، وسُمِّي إسماعيل؛ لأن إبراهيم كان يدعو الله أن يرزقه ولداً، ويقول: اسمع يا إيل، وإيل هو الله، فلما رُزق، سماه به^(١)، وقيل: معناه بالعبراني مطيعُ الله، وأُمُّه هاجرٌ، وُلد لمضيِّ سِتٍّ وثمانين سنةً من عُمر إبراهيم، وأرسله الله إلى قبائل اليمن وإلى العماليق، وعاش مئةً وسبعاً وثلاثين سنةً، ومات بمكة، ودفنَ عندَ قبرِ أُمِّه بالحجر، وكانت وفاته بعدَ وفاة أبيه إبراهيم بثمانٍ وأربعين سنةً.

﴿أَن طَهَّرَا بَيْتِي﴾ يعني: الكعبة، أضافه إليه تخصيصاً وتفضيلاً؛ أي: ابنياه على الطهارة والتوحيد. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وهشامٌ، وحفصٌ (بَيْتِي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(٢).

﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ الدائرین حوله.

﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾ المقيمين والمجاورين.

﴿وَالرُّكَّعِ﴾ جمع رَاكِعٍ.

﴿السُّجُودِ﴾ جمع ساجِدٍ، وهم المصلُّون.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/١٠٤).

(٢) انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٧)، و«الكشف» لمكي (١/٣٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«تفسير البغوي» (١/١٠٤)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١١٢).

مَنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ
وَيَنْتَسِ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ .

[١٢٦] ﴿وَلِذَٰلِكَ يُرْهِقُ رَبِّ أَجْعَلَ هَٰذَا﴾ يعني : المكان .

﴿بَلَدًا أَمِنًا﴾ أي : ذا أمن يأمن فيه أهله .

﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ إنما دعا بذلك ؛ لأنه كان بوادٍ غير ذي زرع ،
وفي القصص أن الطائف كان من مدائن الشام بأردن ، فلما دعا إبراهيم -
عليه السلام - هذا الدعاء أمر الله جبريل - عليه السلام - حتى قلّعها من
أصلها ، فأدارها حول البيت سبعاً ، ثم وضعها موضعها الذي هي الآن فيه ،
فمنها أكثر ثمرات مكة^(١) .

﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ دعا للمؤمنين خاصة .

﴿قَالَ﴾ الله تعالى .

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ﴾ أي : أمدّه ؛ ليتناول من لذات الدنيا ؛ إثباتاً للحجة
عليه ، وأصل المتوع : الامتداد . قرأ ابن عامر : (فَأُمْتِعْهُ) بسكون الميم
وتخفيف التاء ، والباقون : بفتح الميم وتشديد التاء^(٢) ، ومعناها واحد .

﴿قَلِيلًا﴾ إلى منتهى أجله ، وذلك أن الله تعالى وعد الرزق للخلق كافة ،
مؤمنهم وكافرهم ، وإنما قيد بالقلة ؛ لأن متاع الدنيا قليل .

(١) انظر : «تفسير البغوي» (١/١٠٥) .

(٢) انظر : «الحجة» لأبي زرعة (ص : ١١٣) ، و«السبعة» لابن مجاهد (ص : ١٧٠) ،
و«الحجة» لابن خالويه (ص : ٨٧) ، و«الكشف» لمكي (١/٢٦٥) ، و«تفسير
البغوي» (١/١٠٥) ، و«التيسير» للداني (ص : ٧٦) ، و«النشر في القراءات
العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١١٢) .

﴿ثُمَّ أَصْطَرُّهُ﴾ أي: أُلْجِئَهُ فِي الْآخِرَةِ.

﴿إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَيُنْسِ الْمَصِيرُ﴾ المَرْجِعُ الَّذِي يَصِيرُ إِلَيْهِ. قرأ أبو جعفر، وقالون، وأبو عمرو (ييس) بغير همز، والباقون بالهمز^(١).

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١٢٧).

[١٢٧] ﴿وَإِذْ﴾ أي: واذكر إذ.

﴿يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ وتعطف على إبراهيم.

﴿وَإِسْمَاعِيلُ﴾ روي أن الله خلق موضع البيت قبل الأرض، بألفي عام، وكانت زبدة بيضاء على الماء، فدحيت الأرض من تحتها، فلما أهبط الله آدم إلى الأرض، استوحش، فشكا إلى الله تعالى، فأنزل الله البيت المعمور من ياقوتة من ياقوت الجنة له بابان من زمرّد أخضر، له باب شرقي، وباب غربي، فوضعه على موضع البيت، وقال: يا آدم! إني أهبطت إليك بيتاً تطوف به كما يطاف حول عرشي، وتصلي عنده كما يصلي عند عرشي، وأنزل الحجر، وكان أبيض، فاسودّ من لمس الحِيض في الجاهلية، فتوجه آدم من أرض الهند إلى مكة ماشياً، وقبض الله له ملكاً يده على البيت، فحج البيت، وأقام المناسك، فلما فرغ، تلقته الملائكة وقالوا: بَرَّ حَجُّكَ يا آدم، لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام.

(١) انظر: «إتحاف الفضلاء» للددياطي (ص: ١٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١١٤).

قال ابن عباس: حجَّ آدمُ أربعينَ حجَّةً من الهندِ إلى مكة على رجله، وكان على ذلك إلى أيامِ الطوفان، فرفعه الله إلى السماء الرابعة، يدخله كلَّ يوم سبعون ألفَ ملكٍ لا يعودون إليه، وبعثَ اللهُ جبريلَ حتى خَبَأَ الحجرَ الأسودَ في جبلِ أبي قُبَيْسٍ؛ صيانةً له من الغرق، وكان موضعُ البيتِ خالياً إلى زمنِ إبراهيم - عليه السلام -، ثم إن الله تعالى أمر إبراهيم بعد ما وُلد له إسماعيلُ وإسحاقُ ببناء بيتٍ يُذكَّر فيه، فسأل الله - عز وجل - أن يبين له موضعه، فبعثَ اللهُ سبحانه سحابةً على قَدَرِ الكعبة، فجعلتُ تسيرُ وإبراهيمُ يمشي في ظلِّها إلى أن وافَتْ مكة، ووقفتُ على موضع البيتِ، فنودي منها: يا إبراهيم! أن ابنِ علي ظلِّها لا تزُد ولا تنقص، فبنى إبراهيمُ وإسماعيلُ البيتَ، فكان إبراهيمُ بينه، وإسماعيلُ يناوله الحجارة، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ يعني: الأساس، جمعُ قاعدةٍ، فلما انتهى إبراهيمُ إلى موضعِ الحجرِ الأسود، قال لابنهِ إسماعيلُ: ائتني بحجرٍ حَسَنٍ يكونُ للناسِ عِلْماً، فأتاه بحجرٍ، فقال: ائتني بأحسنَ من هذا، فمضى إسماعيلُ^(١) يطلبه، فصاحَ أبو قُبَيْسٍ: يا إبراهيم! إن لك عندي وديعةً فخذها، فأخذَ الحجرَ الأسودَ فوضعه مكانه.

وقيل: أولُ مَنْ بنى الكعبةَ في الأرضِ الملائكةُ بأمرِ الله بحِيارِ البيتِ المعمورِ في السماءِ على قدره ومثاله، وقيل: أولُ من بنى الكعبةَ آدمُ، واندرسَ زمنَ الطوفان، ثم أظهره اللهُ لإبراهيمَ حتى بناه^(٢).

(١) في «ت»: «إبراهيم».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١٠٥ - ١٠٦)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٢٦٥).

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ فيه إضمار؛ أي: ويقولان: رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا بِنَاءَنَا الْبَيْتَ .

﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ لدعائنا .

﴿أَعْلِيمُ﴾ بِنِائِنَا .

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١٢٨) .

[١٢٨] ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾ أي: صَيِّرْنَا مَوْحِدِينَ مُطِيعِينَ مُخْلِصِينَ خَاضِعِينَ لَكَ، وَكَانَا كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا أَرَادَ^(١) التَّثْبِيتَ وَالِدَوَامَ، وَالْإِسْلَامَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْإِيمَانُ وَالْأَعْمَالُ جَمِيعاً .

﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا﴾ أي: وَمِنْ أَوْلَادِنَا .

﴿أُمَّةً﴾ جَمَاعَةً، وَالْأُمَّةُ: أَتْبَاعُ الْأَنْبِيَاءِ .

﴿مُسْلِمَةً لَكَ﴾ خَاضِعَةً لَكَ، وَ(مِنْ) هُنَا لِلتَّبَعِيضِ، وَخَصَّ مِنَ الذَّرِيَّةِ بَعْضاً؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْلَمُهُ أَنَّ مِنْهُمْ ظَالِمِينَ .

﴿وَأَرِنَا﴾ عَلَّمْنَا . قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَيَعْقُوبُ: (وَأَرِّنَا) بِإِسْكَانِ الرَّاءِ، وَأَبُو عَمْرٍو: بِالِاخْتِلَاسِ، وَالْبَاقُونَ: بِكسرها^(٢)، وَأَصْلُهَا: أَرَيْنَا، فَحُذِفَتْ

(١) فِي «ن» وَ«ت»: «أَرَادَ» .

(٢) انْظُرْ: «الْحَجَّة» لِأَبِي زُرْعَةَ (ص: ١١٤)، وَ«السَّبْعَةُ» لِابْنِ مَجَاهِدٍ (ص: ١٧٠)، وَ«الْحَجَّة» لِابْنِ خَالَوَيْهِ (ص: ٨٧)، وَ«تَفْسِيرُ الْبَغُويِّ» (١/١٠٦-١٠٧)، وَ«الْكَشَافُ» لِلزَّمَخْشَرِيِّ (١/٩٤)، وَ«التَّيْسِيرُ» لِلدَّانِي (ص: ٧٦)، وَ«النَّشْرُ فِي الْقُرْآنِ الْعَشْرِ» لِابْنِ الْجَزَرِيِّ (٢/٢٢٢)، وَ«مَعْجَمُ الْقُرْآنِ» (١/١١٥) .

الياء للجزم، ونقلت حركة الهمزة إلى الراء، وحُذفت تخفيفاً، ومن سكن قال: ذهبت الهمزة، فذهبت حركتها.

﴿مَنَاسِكُنَا﴾ شرائع ديننا، وأعلام حَجِّنَا، وأصل النسك: العبادة، والناسك: العابد، فأجاب الله دعاءهما، وبعث جبريل - عليه السلام - فأراهما المناسك في يوم عرفة، فلما بلغ عرفات، قال: عرفت يا إبراهيم؟ قال: نعم، فسمي الوقت عرفة، والموضع عرفات^(١).

﴿وَتَبَّ عَلَيْنَا﴾ وتجاوز عنا.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ لمن تاب.

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٢٩).

[١٢٩] ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ﴾ أي: في الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم وإسماعيل.

﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ أي: مرسلًا، وأراد به محمدًا ﷺ. قال ابن عباس: «كلُّ الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة: نوح، وهود، وصالح، وشعيب، ولوط، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحق، ويعقوب، ومحمد - صلوات الله عليهم أجمعين»^(٢).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١٠٧/١).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٧٢٣)، والحاكم في «المستدرک» (٣٤١٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٣٣).

﴿يَتْلُوا﴾ يقرأ.

﴿عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ﴾ كتابك يعني: القرآن، والآية من القرآن: كلام متصل إلى انقطاعه، وتقدم الكلام على ذلك بآتم من هذا في أول التفسير عند الكلام على معنى السورة والآية.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي: القرآن.

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ أي: مواعظه وما فيه من الأحكام، وقيل: الشريعة.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي: يطهرهم من الشرك والذنوب.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ الذي يقهر ولا يقهر، والعزة: القوة.

﴿الْحَكِيمُ﴾ المصيب مواقع الفعل، المحكم لها. ثم استفهم منكراً

بقوله:

﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٣٠).

[١٣٠] ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ وذلك أن عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجراً إلى الإسلام، فقال لهما: قد علمتما أن الله - عز وجل - قال في التوراة: إني باعث من ولد إسماعيل نبياً اسمه أحمد، فمن آمن به، فقد اهتدى، ومن لم يؤمن به، فهو ملعون، فأسلم سلمة، وأبى مهاجراً أن يسلم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾^(١) أي:

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/١٠٨)، و«العجاب» لابن حجر (١/٣٧٨ - ٣٧٩)، و«لباب النقول» للسيوطي (١/٢٩).

يترك دينه وشريعته، يقال: رغب في الشيء: إذا أَرَادَهُ، ورغب عنه: إذا تركه، والمعنى: ما يرغب عن ملة إبراهيم.

﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ أي: خسر نفسه، وامتهنها، والسفاهة: الجهل وضعف الرأي، وكلُّ سفيه جاهلٌ، وذلك أن من عبدَ غيرَ الله، فقد ^(١) جهل نفسه، لأنه لم يعرف الله خالقها، وقد جاء: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ، فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ. وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ ﴿اخترناه.

﴿فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يعني: مع الأنبياء في الجنة.

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ﴾ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾.

[١٣١] ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ﴾ أي: استقم على الإسلام، واثبت عليه؛

لأنه كان مسلماً، والعاملُ في (إذ) اصطفيناه.

﴿قَالَ أَسْلَمْتُ﴾ أي: فَوَضْتُ أموري.

﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وقد حَقَّقَ ذَلِكَ حِينَ لَمْ يَسْتَعِنْ بِأَحَدٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ حِينَ

أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَى إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا

تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١٣٢﴾.

[١٣٢] ﴿وَوَصَّى بِهَا﴾ أي: بالملة ﴿إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ﴾ وهم ^(٢): إسماعيلُ

(١) «فقد» سقطت من «ت».

(٢) في «ن»: «وهو».

من هاجرَ القبطية، وإسحاقَ من سارة، وستةً من امرأةٍ تزوّجها من الكنعانيين بعدَ موتِ سارة اسمها قُطورا بنتُ يَقْطَن^(١)، وهم: مَدَّانُ، ومَدَّانُ، وَيَقْشَانُ، وزُمرَانُ، وَيَشْبُوقُ، وشُوح. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ: (وَأَوْصَى) بالألف، وكذلك هو في مصاحفِ المدينةِ والشام، والباقون: مشدداً بغير ألف، وهما لغتان مثل نَزَلَ وأنزَلَ^(٢).

﴿وَيَعْقُوبُ﴾ ورفعُ (يعقوب) عطفٌ على إبراهيم، معناه: ووصى إبراهيمُ بنيه، ويعقوبُ بنه الاثني عشر؛ كما وصى إبراهيمُ بنيه الثمانية، وسيأتي ذكرُ أسماءِ بني يعقوبَ أولَ سورةِ يوسفَ، ويعقوبُ سمي بذلك؛ لأنه والعيصَ كانا توأمين، فتقدّم عيصُ في الخروج من بطن أمه، وخرج يعقوبُ على إثره آخذاً بعقبه، وعاشَ مئةَ وسبعاً وأربعينَ سنةً، ومات بمصرَ، وأوصى أن يُحمل إلى الأرضِ المقدّسة، ويدفنَ عندَ أبيه وجده، فحمله ابنُه يوسفُ ودفنهُ عندهما بمغارةِ حبرون^(٣).

﴿يَبْنِي﴾ معناه: أن^(٤): يا بني.

﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى﴾ اختار.

(١) في «ن»: «يقطف».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٩)، و«تفسير البغوي» (١/١٠٩)، و«الكشاف» للزمخشري (١/٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١١٦).

(٣) في «ن»: «جبرون».

(٤) في «ن»: «أي».

﴿لَكُمْ الدِّينَ﴾ أي: دين الإسلام.

﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أي: مؤمنون، والنهي في ظاهر الكلام وقع على^(١) الموت، وإنما نهوا في الحقيقة عن ترك الإسلام، معناه: داوموا على الإسلام حتى لا يصادفكم الموت إلا وأنتم مسلمون.

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ أَبَايَكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

[١٣٣] ﴿أَمْ كُنْتُمْ﴾ أي: أكنتم.

﴿شُهَدَاءَ﴾ جمع شهيد بمعنى الحاضر، يريد: ما كنتم حضوراً.

﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ أي: حين قرب يعقوب من الموت. قرأ الكوفيون، وابن عامر، وروحو: (شُهَدَاءَ إِذْ) بتحقيق الهمزتين، وقرأ الباقون: بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، وهي أن تجعل بين بين^(٢). نزلت إنكاراً على اليهود حين قالوا للنبي ﷺ: أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ يَعْقُوبَ يَوْمَ مَاتَ أَوْصَى بَنِيهِ بِالْيَهُودِيَّةِ؟^(٣).

﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾ بدل من (إِذْ) قبلها، العامل فيهما (شُهَدَاءَ). ورؤي أنه

(١) في «ن»: «عند».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديماطي (ص: ١٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١١٧).

(٣) انظر: «أسباب النزول» للواحيدي (ص: ٢١)، و«تفسير البغوي» (١/ ١١٠).

لما دخل يعقوبُ مصرَ، ورآهم يعبدون الأصنامَ، فخافَ على ولده، فقال لهم وقد جمعهم: قد حضر أجلي^(١).

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي ﴾ أي: بعد موتي، و(ما) هنا بمعنى (من) يدك عليه (أن).

﴿ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ وكان إسماعيلُ عمًّا لهم، والعربُ تسمي العمَّ أبًا، كما تسمي الخالةَ أمًّا، قال النبي ﷺ: «عَمُّ الرَّجُلِ صِنُّ أَبِيهِ»^(٢)، وقال في عمه العباس: «رُدُّوا عَلَيَّ أَبِي؛ فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ تَفْعَلَ بِي قُرَيْشٌ مَا فَعَلَتْ ثَقِيفٌ بِعُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ»^(٣)، وذلك أنهم قتلوه.

وإسحاقُ هو ابنُ إبراهيمَ - عليه السلام -، وأمه سارةٌ، ولدتهُ ولها تسعون سنةً، ولأبيه إبراهيمَ مئةٌ وعشرون سنةً، وكانَ إسحاقُ ضريراً، وكان هو وإسماعيلُ ولوطٌ ويعقوبُ أنبياءَ على عهدِ إبراهيمَ^(٤) - صلواتُ الله عليهم أجمعين -، وعاشَ إسحاقُ مئةً وثمانين سنةً، ودُفنَ عند أبيه بمغارةِ حبرون^(٥).

﴿ إِلَهًا وَاحِدًا ﴾ نصبٌ على البدلِ من قوله: (إِلَهَكَ).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١١٠).

(٢) رواه مسلم (٩٨٣)، كتاب: الزكاة، باب: في تقديم الزكاة ومنعها، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٩٠٢)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٣١٤)، عن عكرمة مرسلاً. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ٨٩).

(٤) في «ن»: «أبيهم».

(٥) في «ن»: «حبرون».

﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ قرأ أبو عمرو: (وَنَحْنُ لَهُ) بإدغام النون في اللام^(١).

ثم أشار إلى إبراهيم وأولاده المذكورين الموحدين إسماعيل وإسحاق ويعقوب بقوله:

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٣٤].

[١٣٤] ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ جماعة.

﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مَضَتْ.

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من العمل.

﴿وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ تلخيصه: لا يسأل أحدٌ إلا عن عمله فقط، لا عن عملٍ غيره.

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٣٥].

[١٣٥] ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ نزلت في رؤوس يهود

المدينة: كعب بن الأشرف، ومالك بن الصَّيْفِ^(٢)، وهُب بن يهودا،

(١) انظر: «إتحاف الفضلاء» للدمياطي (ص: ١٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١١٩).

(٢) في جميع النسخ: «الضيف».

وأبي ياسر بن أخطب^(١)، وفي نصارى أهل نجران: السيد والعاقب وأصحابهما، وذلك أنهم خاصموا المسلمين في الدين، كلُّ فرقة تزعم أنها أحقُّ بدين الله، فقالت اليهود: نبينا موسى أفضلُ الأنبياء، وكتابنا التوراة أفضلُ الكتب، وديننا أفضلُ الأديان، وكفرتُ بعيسى والإنجيل، وبمحمد ﷺ والقرآن، وقالت النصارى: نبينا عيسى أفضلُ الأنبياء، وكتابنا الإنجيل أفضلُ الكتب، وديننا أفضلُ الأديان، وكفرتُ بمحمد والقرآن، وقال كلُّ واحدٍ من الفريقين للمؤمنين: كونوا على ديننا، فلا دينَ إلا ذلك^(٢)، فقال الله - عز وجل -:

﴿قُلْ يَا مُحَمَّدُ.

﴿بَلِّغْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: بل نتبع مِلَّةَ إبراهيم.

﴿حَنِيفًا﴾ نصبٌ على الحال؛ أي: مائلًا عن الباطل إلى الحق، وأصله من الحَنَفِ، وهو مَيْلٌ وَعَوَجٌ يكون في القدم.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وهذا توبيخٌ للكفارِ أهلِ الكتاب؛ لأنهم كانوا يَدَّعون أنهم على ملته، وهم على الشرك.

ثم علّم المؤمنين طريقَ الإيمان، فقال تعالى:

(١) في «ن»: «الأخطب».

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢١)، و«تفسير البغوي» (١/ ١١١)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/ ٣٨٠ - ٣٨١).

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [١٣٦].

[١٣٦] ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ يعني: القرآن.

﴿ وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ وهو عشرُ صُحُفٍ.

﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ﴾ يعني: أولادَ يعقوبَ، واحدُهم سبطٌ، وهم اثنا عشر سبطاً، سُمُّوا بذلك؛ لأنه وُلد لكل واحدٍ منهم^(١) جماعةٌ، وسبطُ الرجل: حافِذَتُهُ، ومنه قيل للحسن والحسين: سبطا رسول الله ﷺ، فالأسباطُ من بني إسرائيل كالقبائل من العرب من بني إسماعيلَ والشعوب من العجم، وكان في الأسباط أنبياءٌ، وسنذكرُ أولادَ يعقوبَ الذين هم آباءُ الأسباط في سورة يوسف - إن شاء الله تعالى -.

﴿ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ﴾ يعني: التوراة.

﴿ وَعِيسَى ﴾ يعني: الإنجيل.

﴿ وَمَا أُوتِيَ ﴾ أُعْطِيَ.

﴿ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ من الكتبِ والآيات.

﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ﴾ فنؤمنُ ببعضٍ ونكفرُ ببعضٍ كما فعلت اليهود

والنصارى.

﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ تقدّمَ مذهبُ أبي عمرو في إدغام (وَنَحْنُ لَهُ).

(١) «منهم» سقطت من «ن».

﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ ءَاهَتُوا وَإِنْ نُولُوا فَإِنَّمَآ هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [١٣٧].

[١٣٧] ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ ﴾ أي: بما آمنتُم به، والمثلُ صلة؛ كقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١]؛ أي: ليسَ كهو شيء.

﴿ فَقَدْ ءَاهَتُوا وَإِنْ نُولُوا ﴾ أي: أعرضوا عما تدعونهم إليه من الإيمان.

﴿ فَإِنَّمَآ هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴾ أي: خلافٍ وعداوةٍ.

﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ﴾ يا محمد؛ أي: يكفيك شرَّ اليهود والنصارى، وقد كُفي بإجلاء بني النضير، وقتل بني قريظة، وضرب الجزية على اليهود والنصارى.

﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ ﴾ لأقوالهم.

﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بأفعالهم.

﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ ﴾ [١٣٨].

[١٣٨] ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ ﴾ أي: دين الله، وهو نصبٌ على الإغراء؛ يعني: الزموا دين الله، وإنما سماه صبغة؛ لأنه يظهر أثر الدين على المتدين كما يظهر أثر الصبغ على الثوب، قال ابن عباس: «هي أن النصارى إذا وُلد لهم ولدٌ، فأتى عليه سبعة أيام، غمسوه في ماءٍ لهم أصفر يقال له: المعمودية، وصبغوه به، ليظهره بذلك مكان الختان، فإذا فعلوا به ذلك، قالوا: الآن صار نصرانياً حقاً، فأخبر الله تعالى أن دينه الإسلام، لا ما يفعله النصارى^(١)».

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ١١٣)، =

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ أي: ديناً.

﴿وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ﴾ مُطِيعُونَ.

﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ
وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ (١٣٩).

[١٣٩] ﴿قُلْ﴾ يا محمد لليهود والنصارى:

﴿أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾ في دين الله، والمُحَاجَّةُ: المجادلةُ لإظهار الحُجَّةِ،
وذلك أنهم قالوا: إن الأنبياء كانوا منا، وعلى ديننا، وديننا أقدم، فنحن
أولى بالله منكم، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾.

﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ أي: نحن وأنتم سواء في الله؛ فإنه ربُّنا وربُّكم.

﴿وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ أي: لكل واحدٍ جزاء عمله.

﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ يعني: كيف تدعون أنكم أولى بالله، ونحن له
مخلصون، وأنتم به مشركون؟! والإخلاصُ: أن يخلص العبد دينه^(١)
وعمله لله، فلا يشرك به في دينه، ولا يرائي بعمله.

﴿أَمْ نَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ

= و«زاد المسير» لابن الجوزي (١/١٥١)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/٣٨٣ - ٣٨٤).

(١) في «ن»: «العبودية» بدل «العبد دينه».

كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَدَةً
عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ .

[١٤٠] ﴿أَمْ نَقُولُونَ﴾ يعني : أيقولون؟ صيغته صيغة الاستفهام، ومعناه
التوبيخ. قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص، ورؤيسُ :
(تَقُولُونَ) بالخطاب ؛ لقوله : ﴿أَتَحَاجُّونَا فِي اللَّهِ﴾ ، وقال بعده ^(١) : ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ
أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ ، وقرأ الباقرُ بالغيب ؛ يعني : يقول اليهود والنصارى ^(٢) .

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى
قُلْ﴾ يا محمد .

﴿ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ﴾ بدِينهم .

﴿أَمِ اللَّهُ﴾ وقد أخبر الله تعالى أنَّ إبراهيم لم يكن يهودياً، ولا نصرانياً،
ولكن كان حنيفاً مسلماً، وهذا تقريرٌ على فسادِ دعواهم ؛ إذ لا جوابَ
لمفطورٍ - [أي : مخلوق] ^(٣) - إلا أن الله تعالى أعلمُ . وتقدّم اختلاف القراءة
في حكم الهمزتين من كلمة عند قوله تعالى : (ءَأَنْذَرْتَهُمْ) ، وكذلك
اختلافهم في قوله : (ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ) .

(١) في «ت» : «بعد» .

(٢) انظر : «الحجة» لأبي زرعة (ص : ١١٥) ، و«السبعة» لابن مجاهد (ص : ١٧١) ،
و«إعراب القرآن» للنحاس (٢١٩/١) ، و«الحجة» لابن خالويه (ص : ٨٩) ،
و«الكشف» لمكي (٢٦٦/١) ، و«تفسير البغوي» (١١٣/١) ، و«التيسير» للداني
(ص : ٧٧) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٢٣/٢) ، و«إتحاف
فضلاء البشر» للديماطي (ص : ١٤٩) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١٢٠/١) .

(٣) «أي : مخلوق» سقطت من «ن» .

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ﴾ أي: أخفى. قرأ أبو عمرو: (أَظْلَمُ مِمَّنْ) بإدغام الميم في الميم (١).

﴿شَهَادَةً عِنْدُكَ مِنَ اللَّهِ﴾ وهي علمهم بأن (٢) إبراهيم وبنيه كانوا مسلمين، وأن محمداً حقٌ ورسولٌ، أشهدهم الله عليه في كتبهم، لفظه الاستفهام، والمعنى: لا أحد أظلم منهم، وإياهم أراد الله تعالى بكتمان الشهادة، ثم تهددهم فقال:

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ثم كرر:

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٤).

[١٤١] ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ تأكيداً.

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١٤٢).

[١٤٢] ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾ أي: الجهال من الناس وهم مشركو مكة، واليهود.

﴿مَا وَلَّيْنَاهُمْ﴾ صرفهم وحوّلهم.

(١) عند تفسير الآية (٤) من سورة الفاتحة.

(٢) في «ت»: «أن».

﴿عَنْ قِبَلِهِمُ آلَتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ * يعني: بيت المقدس، والقبلة فعلَةٌ من المقابلة، سميت قبلة؛ لأن المصلي يُقابلها وتُقابلهُ. نزلت في الفريقين لما طعنوا في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة، فقال مشركو مكة: قد تردّد على محمدٍ أمرُهُ، واشتاق إلى مولده، وقد يرجعُ نحوَ بلدكم، وهو راجعٌ إلى دينكم، وقالت اليهود: اشتاق الرجلُ إلى وطنه، فقال الله تعالى:

﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ * بما فيهما، المعنى: إنكم تصلُّون إلى الكعبة وهي بالشرق، وإلى بيت المقدس وهو بالمغرب، وكلها له.

﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ * فيوجِّهُه تارةً إلى مكة، وتارةً إلى بيت المقدس، لا اعتراضَ عليه؛ لأنه المالكُ وحدَهُ. قرأ نافعٌ، وأبو عمرو، وابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ، ورؤيسٌ: (يَشَاءُ إِلَى) بتحقيق الهمزة الأولى، وتسهيل الثانية، واختلَفَ في كيفية تسهيلها، فذهب جمهورُ المتقدمين إلى أنها تبدلُ واواً خالصةً مكسورةً، وذهب بعضهم إلى أنها تُجعل بين الهمزة والياء، وهو مذهبُ أئمةِ النحو والمتأخرين من القراء، وهو الأوجهُ في القياس. وقرأ الباقر، وهم الكوفيون، وابنُ عامرٍ، وروحٌ: بتحقيق الهمزتين^(١).

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ

(١) انظر: «إتحاف الفضلاء» للدمياطي (ص: ١٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية»

الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ .

[١٤٣] ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ نزلت لما قال رؤساء اليهود لمعاذ بن جبل: ما ترك محمد قبلتنا إلا حسداً، وإنَّ قبلتنا قبلَةُ الأنبياء، وقد علم محمد أنا عدلٌ بين الناس، فقال معاذ: إنا على حقٍّ^(١) وعدلٍ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ﴾^(٢)؛ أي: ومثل ذلك جعل الصالح الذي جعلنا إبراهيم وذريته جعلناكم أمةً وسطاً؛ أي: عدلاً خياراً، قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [القلم: ٢٨]؛ أي: خيرهم وأعدلهم، وخيرُ الأشياءِ أوسطُها.

﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ يومَ القيامة أن الرسل قد بلغتهم.

﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ.

﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ معدلاً مزكياً لكم، وذلك أن الله تعالى يجمعُ الأولين والآخرين في صعيدٍ واحدٍ، ثم يقول لكفارِ الأمم: ألم يأتكم نذيرٌ؟ فيُنكرون ويقولون: ما جاءنا من بَشِيرٍ ولا نَذِيرٍ، فيسألُ الأنبياء^(٣) - عليهم السلام -، فيقولون: كذبوا، قد بلغناهم، فيسألهم البينة، وهو أعلم بهم؛ إقامةً للحجة، فيؤتى بأمة محمد ﷺ، فيشهدون^(٤) لهم أنهم قد بلغوا، فنقولُ

(١) في «ن»: «الحق».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١١٤)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/ ٣٨٩-٣٩٠).

(٣) «الأنبياء» ساقطة من «ت».

(٤) في «ظ»: «ليشهدون».

الأممُ الباقيةُ: من أين عَلِمُوا وإنهم أتوا بعدنا؟! فيسأل هذه الأمة فيقولون: أرسلت إلينا رسولاً، وأنزلت علينا كتاباً أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل، وأنت صادق فيما أخبرت، ثم يؤتى بمحمد ﷺ، فيسأل عن حال أمته، فيزكيهم، ويشهدُ بصدقهم.

﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ أي: تحويلها؛ يعني: بيت المقدس، فيكون من باب حذف المضاف.

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ قال أهل المعاني: معناه إلا لعلمنا، وقيل: معناه: ليعلم رسولنا والمؤمنون به، وجاء الإسنادُ بنون العظمة إذ هم حزبهُ وخالصتهُ.

﴿مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ فيوافقه ويصدقّه. قرأ أبو عمرو: (لِنَعْلَمَ مَنْ) بإدغام الميم في الميم^(١).

﴿مَنْ يَنْقَلِبْ﴾ أي: يرجعُ ناكِصاً.

﴿عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ فيرتدُّ، كأنه سبق في علم الله تعالى أن تحويلَ القبلة سببٌ لهداية قوم وضلالة آخرين، والرجوعُ على العقب أسوأ حالاتِ الراجع في مشيه عن وجهه، فلذلك شُبِّهَ المرتدُّ في الدين به، وظاهرُ التشبيه أنه بالمتقهقر، وهي مشيةُ الحيرانِ الفازع من شرٍّ قد قرب منه، وفي الحديث: أن القبلة لما حُوِّلَتْ، ارتدَّ قومٌ من المسلمين إلى اليهودية، وقالوا: رجعَ محمدٌ إلى دين آبائه^(٢). ورُوي أن أحبارَ اليهود قالوا للنبي ﷺ: إنَّ بيتَ المقدس هو قبلةُ الأنبياء، فإن صَلَّيْتَ إليها، اتبعناك،

(١) كما هو المعروف من مذهبه.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/١١٦).

فأمره الله بالصلاة إليه امتحاناً لهم، فلم يؤمنوا، والجمهورُ على أن أمرَ قِبلةَ بيتِ المقدسِ كان بوحىٍ غيرِ مَثْلُوثٍ.

﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ أي: وقد كانت التوليةُ إلى الكعبة.

﴿لَكَبِيرَةً﴾ أي: لثقيلةً شديدةً.

﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ أي: هداهم الله، وهم التائبون المخلصون.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ﴾ وذلك أن حُيَّيَّ بْنَ أَخْطَبَ وأصحابه من

اليهود قالوا للمسلمين: أخبرونا عن صلاتكم نحو بيت المقدس، إن كانت هُدًى، فقد تحوَّلْتُم عنها، وإن كانت ضلالةً، فقد دِنْتُمُ اللهَ بها، ومن مات

منكم عليها، فقد ماتَ على الضلالة، فقال المسلمون: إنما الهدى

ما أمر الله به، والضلالة ما نهى الله عنه، قالوا: فما شهادتُكم على مَنْ مات

منكُمْ على قبلتنا، وكان قد ماتَ قَبْلَ أَنْ تَحْوَلَ القِبْلَةُ من المسلمينَ أَسْعَدُ بْنُ

زُرَّارَةَ من بني النَجَّار، والبراءُ بْنُ مَعْرُورٍ من بني سَلَمَةَ، وكانوا من النقباء،

ورجالٌ آخرون، فانطلق عشائُرهم إلى النبي ﷺ، وقالوا: يا رسول الله! قد

صرفَكَ اللهُ إلى قِبلةِ إِبْرَاهِيمَ، فكيفَ بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلُّون إلى

بيت المقدس؟ فَأَنْزَلَ اللهُ - عز وجل -: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ﴾^(١)؛

يعني: صلاتِكم إلى بيت المقدس، وسمَّى الصلاةَ إيماناً لما كانت صادرةً

عن الإيمان والتصديق في وقت بيت المقدس، وفي وقت التحويل.

﴿إِنَّكَ اللَّهُ بِالنَّكَاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ والرافة: أشدُّ الرحمة، وخاطَبَ

الحاضرين، والمراد: مَنْ حضرَ ومن مات؛ لأن الحاضر يُغَلَّبُ كما تقول

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/١١٦)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر

العرب: ألم نقتلكم في موضع كذا؟ ومن خوطب لم يُقتل، ولكنه غلب لحضوره. قرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر، وابن عامر، وحفص: (لَرؤُوفٌ) بالإشباع على وزن فَعول، وقرأ الآخرون: بالاختلاس على وزن فَعُل^(١).

﴿ قَدْ زَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [١٤٤]

[١٤٤] ﴿ قَدْ زَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ والمقصود تقلب البصر، وذكر الوجه؛ لأنه أعم وأشرف، وهو المستعمل في طلب الرغائب، تقول: بذلت وجهي في كذا، أو فعلت لوجه فلان، وهذه الآية متأخرة في التلاوة، متقدمة في المعنى؛ فإنها رأسُ القصة، وأمرُ القبلة أولُ ما نسخ من أمور الشرع، وذلك أن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا يصلُّون بمكة إلى الكعبة، فلما هاجر إلى المدينة، أمره الله أن يصلي نحو صخرة بيت المقدس كما تقدَّم؛ ليكون أقرب إلى تصديق اليهود إياه إذا صلى إلى قبلتهم، مع ما يجدون من نعتِه في التوراة، فصلَّى من بعد الهجرة ستة عشر أو سبعة

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١/١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٩)، و«الكشف» لمكي (١/٢٦٦)، و«تفسير البغوي» (١/١١٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٢٣).

عشرَ شهرًا إلى بيت المقدس، وكان يحبُّ أن يتوجَّهَ إلى الكعبة؛ لأنها كانت قبله أبيه إبراهيم - عليه السلام -، وكان اليهودُ يقولون: يخالفنا محمد في ديننا، ويتبعُ قبلتنا، فجعلَ ينظرُ إلى السماء رجاءً أن ينزلَ عليه الوحيُّ بالتوجهِ إليها، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾^(١).

﴿فَلَنُوَلِّيكُنَّ﴾ فَلَنُحَوِّلَنَّكَ.

﴿قِبْلَةً﴾ أَي: إلى قبله.

﴿تَرْضَاهَا﴾ أَي: تحبُّها.

﴿فَوَلَّ﴾ فحوَّلَ.

﴿وَجْهَكَ شَطْرَ﴾ أَي: نحو.

﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وأراد به الكعبة، والحرام: المحرَّم.

﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ﴾ من بَرٍّ أو بحرٍ، شَرْقٍ أو غَرْبٍ.

﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ عند الصلاة، وكان تحويلُ القبلة في رَجَبٍ بعدَ

زوالِ الشمسِ من السنةِ الثانيةِ من الهجرة قبلَ قتالِ بدرٍ بشهرين، ونزلت هذه الآيةُ ورسولُ الله ﷺ في مسجدِ بني سَلَمَةَ، وقد صَلَّى بأصحابِهِ ركعتين من صلاة الظهر، فتحول في الصلاة، واستقبل الميزابَ، وحوَّلَ الرجالَ مكانَ النساءِ، والنساءَ مكانَ الرجالِ، فَسُمِّيَ ذلكَ المسجدُ مسجدَ القِبْلَتَيْنِ، وأهلُ قُبَاءَ وصل الخبرُ إليهم في صلاة الصبح^(٢).

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢/٢٠)، عن مجاهد.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/١١٨). قال المناوي في «الفتح السماوي» (١/١٩٣): «وهذا تحريف للحديث، فإن قصة بني سلمة لم يكن فيها النبي إماماً، ولا هو الذي تحول في الصلاة».

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: «بينا الناس يقُباء في صلاة الصُّبح إذ جاءهم آت، وقال لهم: إنَّ رسولَ الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها»، وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة^(١)، فلما تحولت القبلة، قالت اليهود: يا محمد! ما هو إلا شيءٌ تبدَّع من تلقاء نفسك، فتارةً تصلي إلى بيت المقدس، وتارةً إلى الكعبة، ولو ثبتَّ على قبلتنا، لكنَّا نرجو أن تكون صاحبنا الذي ننتظره^(٢)، فأنزل الله تعالى:

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ﴾ يعني: أمر الكعبة.

﴿أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ لأنه في بشارة أنبيائهم أنه يصلي إلى القبلتين، ثم هدَّدهم فقال:

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ قرأ أبو جعفر، وابنُ عامر، وحمزة، والكسائي، وروح: (تَعْمَلُونَ) بالخطاب، يريد: إنكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتي، وما أنا بغافل عن ثوابكم وجزائكم. وقرأ الباقر بالغيب؛ يعني: ما أنا بغافل عما يفعل اليهود، فأجازيهم في الدنيا والآخرة^(٣).

(١) رواه البخاري (٣٩٥)، كتاب: أبواب القبلة، باب: ما جاء في القبلة، ومسلم (٥٢٦)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١١٨/١).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٦)، و«الكشف» لمكي (٢٦٨/١)، و«تفسير البغوي» (١١٨/١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٤٢)، و«الكشاف» للزمخشري (٢٦٨/١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧)، و«النشر في القراءات» =

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٤٥) .

[١٤٥] ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ يعني : اليهود والنصارى .

﴿ بِكُلِّ آيَةٍ ﴾ أي : معجزة وبرهان على صدقك في أمر القبلة وغيرها .

﴿ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ﴾ يعني : الكعبة .

﴿ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ﴾ لأنك على الحق ، وقبلتك غير منسوخة أبداً .

﴿ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ﴾ لأن اليهود تستقبل بيت المقدس ، وهو المغرب ، والنصارى تستقبل المشرق ، وقبلته المسلمين الكعبة ، وكل طائفة تعتقد أن الحق دينها ، ثم خوطب ﷺ والمراد غيره بقوله :

﴿ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ مرادهم .

﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ ﴾ أي : وصل إليك .

﴿ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ اليقين من أمر القبلة وشرائع الإسلام .

﴿ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ وتم الوقف هنا .

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ »^(١) ، والمراد بالمشرق : مشرق الشتاء في أقصر يوم في

= العشر لابن الجزري (٢/٢٢٣) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٢٤) .

(١) رواه الترمذي (٣٤٤) ، كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء أن ما بين المشرق والمغرب قبلة ، وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه (١٠١١) ، كتاب : الصلاة ، باب القبلة ، وغيرهما .

السنة، وبالمغرب: مغرب الصيف في أطول يوم في السنة، فأقصر الأيام في الشتاء يوم آخر القوس، وهو انسلاخ فصل الخريف، وكذلك اليوم الذي يليه، وهو أول الجدي افتتاح فصل الشتاء، ويأتي ذلك في شهر كيهك من السنة القبطية، وفي شهر كانون الأول من السنة السريانية، وأطول الأيام في الصيف يوم آخر الجوزاء، وهو انسلاخ فصل الربيع، وكذا اليوم الذي يليه، وهو أول السرطان افتتاح فصل الصيف، ويأتي ذلك في شهر بونة من السنة القبطية، وفي شهر حزيران من السنة السريانية، فمن جعل مغرب الصيف في هذا الوقت عن يمينه، ومشرق الشتاء في ذلك الوقت عن يساره، كان وجهه إلى القبلة، وهذا لمن يكون في المدينة الشريفة - على الحال بها أفضل الصلاة والسلام -، وبيت المقدس ومصر والشام وما والاها ممن يستقبل الجدار الشامي من الكعبة الشريفة، وهو الذي يليه حجر إسماعيل - عليه السلام - وبأعلاه الميزاب.

ومن دلائل القبلة القطب، وهو نجم، وقيل نقطة إذا جعله المصلي وراء ظهره بالشام وما حاذها، وخلف أذنه اليمنى بالمشرق، وعلى عاتقه الأيسر بإقليم مصر وما والاها، كان مستقبلاً للقبلة^(١)، والله أعلم.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكُنُّونَ آلَهُنَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٤٦).

[١٤٦] ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ مبتدأ، خبره:

(١) في «ن»: «القبلة».

﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ والمراد: أن مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه يعرفون محمداً أنه نبي حق بما شاهدوه في كتبهم .

﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ من الصبيان ، قال عبد الله بن سلام: «لقد عرفت محمداً حين رأيته كمعرفة ابني ، ومعرفتي له أشد من معرفة ابني ؛ لأن نعتة في كتابنا ، ولا أدري ما تصنع النساء لولا النعت»^(١) .

﴿وَلَا فَرِيقًا مِنْهُمْ﴾ أي : من جهالهم ومعانديهم .

﴿لَيَكُنْمُونَ الْحَقَّ﴾ أي : نعتة ﷺ وأمر الكعبة .

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ وتم الوقف هنا .

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ﴿١٤٧﴾ .

[١٤٧] ﴿الْحَقُّ﴾ مبتدأ ، وخبره :

﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ أي : هذا الحق .

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين فيما أخبرت به .

﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا فَاسْتَيقُوا الْخَيْرَاتِ إِنَّمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٤٨﴾ .

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٣)، و«تفسير البغوي» (١/١١٩ -

١٢٠)، و«العجاب» لابن حجر (١/٣٩٨)، و«الدر المنثور» للسيوطي

(١/٣٥٧) .

[١٤٨] ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ﴾ أي: لكل أهل^(١) مِلَّةٍ^(٢) قِبْلَةٌ، والوِجْهَةُ: اسمٌ للمتوجّه إليه.

﴿هُوَ مُوَلِّهَا﴾ قرأ ابن عامر: (مَوْلَاهَا) بفتح اللام وألف بعدها؛ أي: المستقبلُ مصروفٌ إليها، والباقون: بكسر اللام وياء بعدها على معنى مستقبلها^(٣).

﴿فَاسْتَقِمْوا الْخَيْرَاتِ﴾ بادِرُوا بالطاعات.

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا﴾ أنتم وأعداؤكم.

﴿يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ يومَ القيامة، فيجزيكُم بأعمالِكُم.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [١٤٩].

[١٤٩] ﴿وَمِنْ حَيْثُ﴾ أي: أيِّ مكانٍ.

﴿خَرَجْتَ﴾ لسفرٍ.

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ﴾ نحو.

(١) في «ت»: «أهله».

(٢) «ملة»: ساقطة من «ت».

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧١)، و«الحجة» لابن خالويه، و«الكشف» لمكي (١/٢٦٧)، و«تفسير البغوي» (١/١٢٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٢٦).

﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ﴾ أي: التولي.

﴿لَلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قرأ أبو عمرو بالغيب، والباقون بالخطاب^(١) [٢].

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأَتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [١٥٠].

[١٥٠] ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ التكرير تأكيد النسخ؛ ليعلم أن ذلك عزمة لا بد من فعلها، ثم أوماً إلى علة ذلك فقال:

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ المعنى: أن التولية عن الصخرة إلى الكعبة يدفع احتجاج اليهود بأن المنعوت في التوراة قبلته الكعبة، وأن محمداً يجهل ديننا، ويتبعنا في قبلتنا، والمشركين بأنه يدعي ملّة إبراهيم، ويخالف قبلته. قرأ ورش عن نافع، وأبو جعفر: (لِئَلَّا) بفتح الياء بغير همز^(٣).

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٧)، و«الكشف» لمكي (١/٢٦٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧)، و«الكشاف» للزمخشري (١/١٠٣)، و«تفسير البغوي» (١/١٢٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٠)، و«الغيث» للمصفاقي (ص: ١٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٢٦).

(٢) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٧)، و«الكشف» لمكي (١/٣٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ استثناءً من الناس، وهم اليهود ومشركو العرب، والمراد بالحجة: الاعتراض والمجادلة، لا الحجة حقيقة، والمجادلة الباطلة قد تسمى حجة؛ كقوله^(١): ﴿مُجْتَنِّمٌ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: ١٦]، أما قريش تقول: رجع إلى الكعبة؛ لأنه علم أنها الحق، وأنها قبله آبائه، فهكذا يرجع إلى ديننا، وأما اليهود تقول: لم ينصرف عن بيت المقدس مع علمه أنه حق إلا أنه يعمل برأيه.

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ في توجهكم إلى الكعبة، وتظاهروهم عليكم؛ فإني وليكم بالحجة والنصرة.

﴿وَآخِشُونِي﴾ بامثال أمري؛ ثم عطف على قوله ﴿لِنَلَّا﴾ قوله:

﴿وَلَا تَمَنَّيْ عَلَى كَيْدِكُمْ﴾ بهدايتي إياكم إلى الكعبة^(٢) وغيرها، ومن تمام النعمة الموت على الإسلام. ثم عطف على ما تقدم قوله:

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ من الضلالة، ولعل وعسى^(٣) من الله واجبان؛ لأنهما للرجاء والإطماع، والكريم لا يطمع إلا فيما يفعل.

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

= (٢/٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدبياطي (ص: ١٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٢٧).

(١) في «ت»: «لقلوه».

(٢) في «ن»: «إلى الكعبة إياكم».

(٣) في «ن»: «وعسى ولعل».

[١٥١] ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾ هذه الكافُ للتشبيه ترجعُ إلى ما قبلها،
معناه: ولأتمَّ نعمتي عليكم كما أرسلنا فيكم يا معشر العرب.

﴿رَسُولًا مِنْكُمْ﴾ أي: محمداً ﷺ.

﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ القرآن.

﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يحملُكم على ما تصيرونَ به أَرْكِيَاءَ.

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن.

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ السُّنَّةَ.

﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ من الأحكامِ وشرائع الإسلام.

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ ﴿١٥٢﴾.

[١٥٢] ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بطاعتي.

﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بمغفرتي. قرأ ابنُ كثير: (فَاذْكُرُونِي) بفتح الياء^(١).

﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ بالطاعة.

﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ بالمعصية، فشكرُ المنعم وهو الثناء على الله على إنعامه

واجب شرعاً بالاتفاق، لا عقلاً، فمن لم تبلِّغه دعوة نبيٍّ، لا يَأْثُمُ بتركه،

خلافاً للمعتزلة. قرأ يعقوبُ (تَكْفُرُونِي) بإثبات الياء^(٢).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٧)، و«الكشف» لمكي (١/٣٣٠)،
و«التيسير» للداني (ص: ٨٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
(٢/٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٠)، و«معجم القراءات
القرآنية» (١/١٢٧).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء =

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (١٥٣).

[١٥٣] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾ على ترك المعاصي .
﴿وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالعون والنصرة .

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ (١٥٤).

[١٥٤] ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ﴾ أي : هم أموات .
﴿بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ نزلت في قتلى بدرٍ من المسلمين ، وكانوا أربعة عشر رجلاً ، ستة من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار ، ف قيل : مات فلان وفلان ، وانقطع عنهم نعيم الدنيا ، فأنزلها الله ^(١) ، كما قال في شهداء أحد : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (١٥٥).

[١٥٥] ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ لنختبرنكم يا أمة محمد؛ ليظهر لكم منكم

= البشر» للدمياطي (ص: ١٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٦).

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٣)، وانظر: «تفسير البغوي»

(١/ ١٢٤)، و«العجاب» لابن حجر (١/ ٤٠٣).

المطيع من العاصي ، لا لنعلم شيئاً لم نكن عالمين به .

﴿بَشَىٰ مِّنَ الْخَوْفِ﴾ أي : خوف العدو .

﴿وَالْجُوعِ﴾ أي : القحط .

﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ﴾ بالخسران والهلاك .

﴿وَالْأَنْفُسِ﴾ بالقتل والموت .

﴿وَالشَّرِّ﴾ بالجائحة ، وهي ما يستأصل الشيء .

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ يا محمدُ على البلى والرزايا ، ثم وصفهم فقال :

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ﴿١٥٦﴾ .

[١٥٦] ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُّصِيبَةٌ﴾ أي : نائبة .

﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ عبيداً ومُلكاً .

﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ في الآخرة ، وفي الحديث : «مَنْ اسْتَرْجَعَ عِنْدَ

الْمُصِيبَةِ ، جَبَرَ اللَّهُ مُصِيبَتَهُ»^(١) .

﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُهْتَدُونَ﴾ ﴿١٥٧﴾ .

[١٥٧] ﴿أُولَئِكَ﴾ أهل هذه الصِّفة .

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤٢/٢) ، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٦٤/١) ،

والطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٠٢٧) ، والبيهقي في «شعب الإيمان»

(٩٦٨٩) ، عن ابن عباس - رضي الله عنه - .

﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّزَقِهِمْ﴾ أي: رحمة؛ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مِنْ اللَّهِ رَحْمَةٌ، وجمع^(١) الصلوات؛ أي: رحمة بعد رحمة.

﴿وَرَحْمَةً﴾ ذكرها تأكيداً. قرأ الكسائي: (وَرَحْمَةً) بإمالة الميم حيث وقف على هاء التانيث^(٢).

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَهْتَدُونَ﴾ إلى الاسترجاع، وإلى سعادة الدارين.

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [١٥٨].

[١٥٨] ﴿إِنَّ الصَّفَا﴾ جمع صفاة، وهي الصخرة الصلبة الملساء. ﴿وَالْمَرْوَةَ﴾ الحجر الرخو، والمراد بهما: المكانان المعروفان بطرفي المسعى بمكة المشرفة. قرأ الكسائي: (وَالْمَرْوَةَ) بإمالة الواو حيث وقف على هاء التانيث.

﴿مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ من أعلام دينه فالمطاف والمواقف والمناحر كلها شعائر^(٣)، ومثلها المشاعر، والمراد بالشعائر هاهنا: المناسك التي جعلها الله أعلاماً لطاعته.

﴿فَمَنْ﴾ شرط محلها رفع ابتداءً.

﴿حَجَّ﴾ أي: قصد.

﴿الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ﴾ أي: زار، فالحج في اللغة: القصد، وفي الشرع:

(١) في «ن»: «وجميع».

(٢) انظر «الغيث» للصفافسي (ص: ١٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٢٨).

(٣) في «ن»: «من شعائر».

اسمٌ لأفعالٍ مخصوصةٍ، والعمرةُ في اللغة: الزيارةُ.

﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ فلا إثمَ.

﴿عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ﴾ أي: يدورَ.

﴿بِهِمَا﴾ وأصل الطواف المشي حولَ الشيء، والمرادُ هنا: السعيُ بينهما، وسببُ نزولِ هذه الآية: أنه كان على الصفا والمروةِ صنمانِ يسافُ ونائلةُ، وكان يسافُ على الصفا، ونائلةُ على المروة، وكان أهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيماً للصنمين، ويمسحونهما، فلما جاء الإسلام، وكُسرت الأصنام، فتحرَّجوا السعي بين الصفا والمروة لأجل الصنمين، فأذن الله فيه، وأخبر أنه من شعائر الله^(١).

واختلف العلماء في حكم هذه الآية ووجوب السعي بين الصفا والمروة في الحجِّ والعمرة، فعند مالكٍ والشافعيِّ وأحمد أنه ركنٌ لا يتمُّ الحجُّ إلا به، وعند أبي حنيفة أنه واجبٌ، وليس بركنٍ، وعلى من تركه دمٌ.

﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ أي: من تبرَّع بما لم يجب عليه، وتقديره: بخيرٍ، فلما حُذِفَ الجارُّ، تعدَّى الفعلُ، فنصبَ. قرأ حمزة، والكسائي، وخلفٌ، ويعقوبُ: (يَطُوعَ) بالياء وتشديد الطاء وجزم العين، بمعنى يتطوَّع^(٢). وقرأ الآخرون: بالتاء وفتح العين على الماضي^(٣).

(١) رواه البخاري (١٥٦١)، كتاب: الحج، باب: وجوب الصفا والمروة، ومسلم (١٢٧٧)، كتاب: الحج، باب: بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلاَّ به، عن عائشة - رضي الله عنها -.

(٢) في «ت»: «يطوع».

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس =

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ ﴾ أي : مجاز له .

﴿ عَلَيْهِ ﴾ بنيته ، والشكر من الله أن يعطي فوق ما يستحق ، يشكر
اليسير ، ويعطي الكثير .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ
فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾ .

[١٥٩] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ
فِي الْكِتَابِ ﴾ نزلت في علماء اليهود ، كتموا صفة محمد ﷺ ، وآية الرجم ،
وغيرها من الأحكام التي كانت في التوراة^(١) .

﴿ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ ﴾ أي : يُبعدهم الله عن رحمته ، وأصل اللعن :
الطرد .

﴿ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴾ أي : يسألون الله أن يلعنهم يقولون : اللهم العنهم ،
واللاعنون الثقلان والملائكة ، ثم استثنى فقال :

= (٢/٢٢٥) ، و«السبعة» لابن مجاهد (ص : ١٧٢) ، و«الحجة» لابن خالويه
(ص : ١٨٣) ، و«التيسير» للداني (ص : ٧٧) ، و«تفسير البغوي» (١/١٣٠) ،
و«الكشاف» للزمخشري (١/١٠٤) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
(٢/٢٢٣٩) ، و«الغيث» للصفاسي (ص : ١٤٣) ، و«معجم القراءات القرآنية»
(١/١٢٩) .

(١) انظر : «أسباب النزول» للواحدي (ص : ٢٤) ، و«تفسير البغوي» (١/١٣٠) ،
و«العجاب» لابن حجر (١/٤١١) .

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ﴾ ﴿١٦٠﴾ .

[١٦٠] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ من الكفر، وأسلموا .

﴿وَأَصْلَحُوا﴾ الأعمال بينهم وبين الله .

﴿وَبَيَّنُّوا﴾ أي : أظهروا ما كتموا .

﴿فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أتجاوز عنهم ، وأقبل توبتهم .

﴿وَأَنَا التَّوَّابُ﴾ الرَّجَّاعُ بقلوب عبادي المنصرفة عني إليَّ .

﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم بعد إقبالهم عليَّ ، والتوبة : حلُّ عَقْدِ الإصرارِ على
الذنب وربطُ العزيمة بالقلبِ على البعدِ عن مقاربتِهِ ، مع الندمِ عليه .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ
وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١٦١﴾ .

[١٦١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من الكاتمين ، ولم يتوبوا .

﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ لأن الله
تعالى يلعنهم يوم القيامة ، ثم يلعنهم الملائكة ، ثم يلعنهم الناس ، والظالم
يلعن الظالمين ، ومن لعن الظالمين وهو ظالمٌ ، فقد لعن نفسه .

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ ﴿١٦٢﴾ .

[١٦٢] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ مقيمين في اللعنة ، أو في النار .

﴿لَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾ أي: لا يُرفع عنهم.

﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ لا يُمهَّلون^(١) فيعتذرون.

ولما قال كفار قريش لمحمد ﷺ صف لنا ربك، نزل:

﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.

[١٦٣] ﴿وَاللَّهُمَّ﴾ مبتدأ، خبره:

﴿إِلَهُ﴾ وصفة الخبر:

﴿وَاحِدٌ﴾ فردٌ لا نظير له في ذاته، ولا شريك له في صفاته.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ تلخيصه: الألوهية مختصة به.

ولما سمع المشركون هذه الآية، قالوا له ﷺ: إن كنت صادقاً، فأت

بآية يُعرف^(٢) بها صدقك، فنزل:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي

تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْيَا بِهِ

الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ

الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

[١٦٤] ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٣) جمع السموات؛ لأن كلَّ

(١) في «ن»: «لا يجهلون».

(٢) في «ن»: «نعرف».

(٣) انظر: «شعب الإيمان للبيهقي» (١٠٤)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٥)، =

سماء ليست من جنس الأخرى، ووَحَدَ الأرضَ؛ لأنها من جنسٍ واحد، وهو الترابُ.

﴿وَاخْتَلَفَ أَيْلٌ وَالنَّهَارُ﴾ أي: تعاقبهما في الذهابِ والمجيء، والزيادةِ والنقصانِ، والنورِ والظلمة.

﴿وَالْفُلُوكَ﴾ السُّفُن، واحده وجمعه سواء، فإذا أُريدَ به الجمعُ يؤنَّثُ، وفي الواحدة يُذكرُ، قال الله تعالى في الواحدةِ والتذكير: ﴿إِذَا بَقِيَ إِلَى الْفُلُوكِ الْمَشْحُونِ﴾ [الصفات: ١٤٠]، وقال في الجمعِ والتأنيث: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَّتِ بِكُمْ بَرِيحٌ﴾ [يونس: ٢٢].

﴿الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ مَوْقَرَةٌ لَا تَرُسُّ؛ أي: لا تجلس تحت الماء.

﴿بِمَا﴾ أي: بالذي.

﴿يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ من الحمل فيها، والركوبِ عليها.

﴿وَمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ﴾ أي: مطر.

﴿فَأَحْيَا بِهِ﴾ أي: بالماء.

﴿الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يبسها.

﴿وَبَثَّ﴾ أي: فرَّقَ.

﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ لأن بَثَّ الدوابَّ يكون بعد حياة الأرض بالمطر؛

لأنهم ينمون بالخصب، ويعيشون بالمطر، والدابة: كُلُّ ما يدبُّ.

﴿وَتَصْرِيفٍ﴾ أي: وتنقيل.

= و«تفسير البغوي» (١/ ١٣٢)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٣٩٥).

﴿الرَّيْحُ﴾ من مهابتها قبولاً ودُبوراً، وجنوباً وشمالاً، وحارةً وباردةً، وعاصفةً وليّنةً، وعقيماً ولاقيحاً، وغير ذلك. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (الرَّيْحُ) بغير ألف على التوحيد. والباقون: بالألف على الجمع^(١). والريحُ أعظمُ جندِ الله تعالى، وتذكرُ وتؤنثُ، وسُميت ريحاً؛ لأنها تريح النفوس، والرياحُ ثمانية: أربعةٌ للرحمة، وهي: المبشراتُ، والناشراتُ، والذارياتُ، والمرسلاتُ، وأربعةٌ للعذاب: وهي: العقيمُ، والصّصرُ في البرّ، والعاصِفُ والقاصِفُ في البحر.

﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ﴾ أي: المقيم المذلّل للرياح، سُمّي سحاباً؛ لأنه يُسحب؛ أي: يسيرُ في سرعة كأنه ينسحب؛ أي: يُجرُّ.

﴿بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ تقلّبه في الجوّ كيف شاءت بمشيئة الله تعالى، فيمطر^(٢).

﴿لَا يَنْتَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ينظرون بعقولهم، فيعلمون أنّ لهذه الأشياء خالقاً وصانعاً، فيوحّدونه، فبعد ثبوت الألوهية عَنَفَ الكفار أنّ عبدوا غيره، ووصف الأبرار فقال:

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرة (ص: ١١٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩١)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٧٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٣٣)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ١٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٣١).

(٢) في «ن»: «فتمطر».

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ (١٦٥).

[١٦٥] ﴿ وَمِنَ النَّاسِ ﴾ أي: المشركين.

﴿ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا ﴾ أي: أصناماً يعبدونها.

﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ أي: يحبون آلهتهم كحب المؤمنين لله تعالى، ثم فضل محبة المؤمنين^(١) بقوله:

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ من حب الكفار الأنداد؛ لأن المؤمنين لا يعدلون عن الله تعالى بكل حال، والكافرون يعدلون عن أربابهم في الشدائد إلى الله تعالى، وإذا اتخذوا صنماً، ثم رأوا أحسن منه، طرحوا الأول، واختاروا الثاني.

﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ قرأ نافع، وابن عامر، ويعقوب: (تَرَى) بالناء خطاباً للنبي ﷺ، معناه: لو ترى يا محمد الذين ظلموا؛ أي: أشركوا، في شدة العذاب، لرأيت أمراً عظيماً. وقرأ الباقر: (يَرَى) بالياء، معناه: ولو يرى الذين ظلموا أنفسهم عند رؤية العذاب، لعرفوا مضرّة الكفر^(٢).

(١) في «ن»: «المؤمنين محبة».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٢٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (١٧٣)، و«تفسير البغوي» (١/١٣٤)، و«الكشاف» للزمخشري (١/١٠٦)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٤٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٣٢).

﴿إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ﴾ بالعين يوم القيامة . قرأ ابن عامر : (يُرُونَ) بضم الياء مجهولاً ، والباقون : بفتحها معلوماً^(١) ، و(إِذ) للماضي ، ووقعت هنا للمستقبل ؛ لأن خبر الله عن المستقبل في الصحة كالماضي .

﴿أَنَّ الْقُوَّةَ﴾ أي : القدرة الإلهية والغلبة .

﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ معناه : لرأوا وأيقنوا أَنَّ القوةَ لله . قرأ أبو جعفر ، ويعقوب : (إِنَّ الْقُوَّةَ) ، و(إِنَّ الله) بكسر الألف فيهما على الاستئناف^(٢) .

﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ وتبدل من ﴿إِذْ يَرْوْنَ﴾ .

﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾^(١٦٦) .

[١٦٦] ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ هم الرؤساء المقتدى بهم . قرأ نافع ، وابن كثير ، وعاصم ، وأبو جعفر ، ويعقوب : بإظهار الذال عند التاء ، والباقون : بالإدغام^(٣) .

﴿مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ هم الأتباع ، وأصل التبرؤ : التخلص .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ١٧٣) ، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٧٣) ، و«التيسير» للداني (ص : ٧٨) ، و«تفسير البغوي» (١/ ١٣٤) ، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ١٠٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٣٢) .

(٢) انظر : «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٢٨) ، و«تفسير الطبري» (٣/ ٢٨٢) ، و«تفسير البغوي» (١/ ١٣٤) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٣٢) .

(٣) انظر : «إتحاف الفضلاء» للديماطي (ص : ١٥٢) ، و«الغيث» للصفاسي (ص : ١٤٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٣٣) .

﴿وَرَأَوْا﴾ أي: تبرؤوا في ^(١) حال رؤيتهم.

﴿الْعَذَابِ وَقَطَّعَتْ بِهِمُ﴾ أي: عنهم.

﴿الْأَسْبَابُ﴾ الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا؛ من القربات،
والموالاة، والمخاللة، وصارت عداوةً.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَتَيْنَا لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَّبَرَأَ مِنْهُمُ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ ^(١٦٧).

[١٦٧] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ يعني: الأتباع.

﴿لَوْ أَتَيْنَا لَنَا كَرَّةٌ﴾ رجعةً إلى الدنيا.

﴿فَنَتَّبَرَأَ مِنْهُمُ﴾ أي: من المتبوعين.

﴿كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا﴾ اليوم.

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما أراهم العذاب كذلك.

﴿يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ كتبرؤ ^(٢) بعضهم من بعض.

﴿حَسَرَاتٍ﴾ نداماتٍ.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جمعُ حسرةٍ.

﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ لأنهم خلِقوا لها.

(١) في «ن»: «أي».

(٢) في «ن»: «كتبري».

ونزل في ثقيف وخزاعة وغيرهم ممن حرم على نفسه الوصيلة والبحيرة
وغيرهما:

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ
الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (١٦٨).

[١٦٨] ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ (من) تبعيض؛ لأن ليس كل
ما فيها يؤكل.

﴿حَلَالًا﴾ الحلال: ما لا يُعاقب عليه، وهو ما أطلق الشرع فعله،
مأخوذ من الحل، وهو الفتح.

﴿طَيِّبًا﴾ طاهراً من جميع الشُّبُه.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ آثاره وطرقه. قرأ أبو جعفر، وابن عامر،
والكسائي، وحفص، ويعقوب، وقنبل (خُطَوَاتٍ) بضم الطاء حيث وقع،
والباقون: بسكونها^(١).

﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ مظهرُ العداوةِ بَيِّنُها، ثم ذكر عداوته فقال:

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٤)،
و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٠)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٧٣)، و«الغيث»
للفصفاقي (ص: ١٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«إتحاف فضلاء
البشر» للدمياطي (ص: ١٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٣٣).

﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾ [١٦٩].

[١٦٩] ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ ﴾ أي: الإثم، وأصله: ما يسوء صاحبه. ﴿ وَالْفَحْشَاءِ ﴾ وهي أقبح المعاصي وأخبثها. ﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾ من تحريم الحرث والأنعام وغيرهما؛ لأنه لا علم لكم بذلك.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [١٧٠].

[١٧٠] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ في تحليل ما حرّموا على أنفسهم من الحرث والأنعام والبحيرة والسائبة، والهأ والميم في (لَهُمْ) عائدة على الناس في قوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ كُلُّوا ﴾.

﴿ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ﴾ قرأ الكسائي: (بَلْ نَتَّبِعْ) بإدغام اللام في النون^(١). ﴿ مَا أَلْفَيْنَا ﴾ وجدنا.

﴿ عَلَيْهِ آبَاءُنَا ﴾ في التحريم والتحليل، قال الله تعالى:

﴿ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ ﴾ أي: كيف يتبعون آباءهم، وآباؤهم ﴿ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا ﴾ من الدين.

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرة (ص: ١٢١)، و«الغيث» للصفافسي (ص: ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٣٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٣٥).

﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ للصواب، المعنى: أيتبعونهم ولو كانوا ضلالاً؟!

ثم ضرب لهم مثلاً، فقال - جل ذكره -:

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّكُمْ عُمًى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٧١).

[١٧١] ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾ النَّعِيقُ: صوتُ الراعي بالغنم، وهي لا تسمع إلا صوتاً وزَجْراً، ولا تفقه شيئاً آخر، وكذلك الكفار في دعاء النبي لهم إلى الهداية، فمعنى الآية: مثلك يا محمد في دعائك الكفار إلى الهداية، وعدم هدايتهم، كمثلي الذي يُصَوِّتُ.

﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ منه كالبهائم.

﴿إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ تلخيصه: لا ينتفع الكفار بشيء من وعظك يا محمد، وإن سمعوا صوتك.

﴿صُمُّ﴾ تقول العرب لمن يسمع ولا يعقل: كأنه أصمُّ.

﴿بُكْمٌ﴾ عن الخير لا يقولونه.

﴿عُمًى﴾ عن الهدى لا يُبْصِرُونَهُ.

﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الموعظة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (١٧٢).

[١٧٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ﴾ أي: حلالات.

﴿ مَا رَزَقْنَكُمْ ﴾ أي : كلوا رزقكم .

﴿ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ ﴾ على نعمه .

﴿ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ .

ثم بين المحرّمات فقال :

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٧٣) .

[١٧٣] ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ ﴾ وهي ما لم تدرك ذكاتها مما (١) يُذْبَحُ . قرأ أبو جعفر : (المَيْتَةَ) بالتشديد في كل القرآن (٢) .

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ ﴾ أي : واستثنى الشارع من الميتة السمك والجراد ، ومن الدّم الكبد والطحال ، فأحلّهما .

﴿ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ ﴾ أي : جميع أجزائه ، فعبر عن ذلك باللحم ؛ لأنه معظمه .

﴿ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾ أي : ذكر عليه اسم غير الله ، وهو ما ذبح للأصنام والطواغيت ، وأصل الإهلال : رفع الصوت ، وكانوا عند ذبحهم لآلهتهم يرفعون أصواتهم بذكرها .

(١) في «ن» : «بما» .

(٢) انظر : «تفسير الطبري» (٣/٣١٨) ، و«تفسير البغوي» (١/١٣٨) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٣٦) .

﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ أي: أُلْجِئ وأُجِجَ إلى أكلِ الميتة، وحدُّ الاضطرارِ أن يخافَ على نفسه، أو على بعضِ أعضائه التلفَ، فليأكلْ. قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (فَمَنْ اضْطُرَّ) بضمِّ النون، وأبو جعفرٍ: بكسر الطاء^(١).

﴿غَيْرَ﴾ نصبٌ [على]^(٢) الحال.

﴿بَاغٍ﴾ أي: خارجٌ على السلطان، وأصلُ البغي: الفسادُ.

﴿وَلَا عَادٍ﴾ أي: عاصٍ بسفره، روي عن يعقوبَ الوقفُ بالياء على (بَاغِي) و(عَادِي)^(٣)، وأصلُ العدوانِ: الظلمُ، فلا يجوزُ للعاصي بسفره أكلُ الميتة للضرورة، ولا الترخُّصُ برُخصِ المسافرين عند الشافعيِّ، ومالكٍ، وأحمدَ، خلافاً لأبي حنيفة، واختلفوا في مقدارٍ ما يحلُّ للمضطرِّ أكله من الميتة، فقال مالكٌ: يأكل حتى يشبع، وقال الثلاثة: يأكل مقدارَ ما يُمسِكُ رمقَه، وجوابُ (فَمَنْ):

﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ أي: لا حَرَجَ عليه في أكلها.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ لمن أكلَ في حالِ الاضطرارِ.

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٢)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٧٤)، و«الغيث» للصفارسي (ص: ١٤٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٣٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٣)، «معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٣٦).

(٢) «على» لم ترد في جميع النسخ، والسياق يقتضيها.

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (٢/ ٢٣١).

﴿رَحِيمٌ﴾ بترخيصه ذلك .

ونزل لما غيّر علماء اليهود صفة محمد ﷺ؛ خوفاً على فوات رياستهم ومآكلهم التي كانوا يصيبونها من سفلتهم رجاء أن يكون النبي المبعوث منهم^(١) :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٧٤) .

[١٧٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ يعني : صفة محمد ﷺ ونبوته .

﴿وَيَشْتُرُونَ بِهِ﴾ أي : بالمكتوب .

﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عوضاً يسيراً ، يعني : المآكل التي يصيبونها من سفلتهم .

﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا﴾ ما يؤدّيههم .

﴿النَّارَ﴾ وهو الرّشوة والحرام ، فلما كان ذلك يُفضي بهم إلى النار ، فكأنهم أكلوا النار .

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ بالرحمة ، وبما يسرّهم إنما يكلمهم بالتوبيخ .

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ لا يطهرهم^(٢) من دنس الذنوب .

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي : مؤلم .

(١) انظر : «تفسير البغوي» (١/ ١٣٩ - ١٤٠) .

(٢) في «ن» : «تطهيرهم» .

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ ﴿١٧٥﴾ .

[١٧٥] ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى ﴾ أي: استبدلوا الكفر بالإيمان.

﴿ وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ ﴾ قرأ السوسي، ورؤيس (وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ) (الكتاب بالحق) بإدغام الباء في الباء^(١)، ثم أعجب من حالهم وملازمتهم ما يُوجب لهم النار، فقال:

﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ وأصل الصبر: الإمساك في ضيق.

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ ﴿١٧٦﴾ .

[١٧٦] ﴿ ذَلِكَ ﴾ أي: العذابُ مبتدأ، خبره:

﴿ بِأَنَّ اللَّهَ ﴾ أي: بسبب أن الله.

﴿ نَزَّلَ الْكِتَابَ ﴾ أي: الكتب.

﴿ بِالْحَقِّ ﴾ بما لا شك فيه ولا تناقض، فاختلَفوا فيها، فأمنوا ببعض، وكفروا ببعض.

﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ ﴾ خلافٍ.

﴿ بَعِيدٍ ﴾ عن الهدى.

(١) انظر: تفسير الآية (٢٠) من سورة البقرة.

ولما صَلَّى الْيَهُودُ نَحْوَ الْمَغْرِبِ، وَادَّعَوْا أَنَّهُ الْبِرُّ، وَالنَّصَارَى نَحْوَ الْمَشْرِقِ، وَادَّعَوْا أَنَّهُ الْبِرُّ، نَزَلَ رَدًّا عَلَيْهِمْ:

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾.

[١٧٧] ﴿لَيْسَ الْبِرَّ﴾ وهو كلُّ عملٍ خَيْرٍ يُفْضِي بِصَاحِبِهِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَصْلُهُ: التَّوَشُّعُ فِي فِعْلِ الْخَيْرِ. قَرَأَ حَمْزَةً، وَحَفْصٌ: (الْبِرُّ) بِنَصْبِ الرَّاءِ، وَالْبَاقُونَ: بِرَفْعِهَا، فَمَنْ قَرَأَ بِالرَّفْعِ، جَعَلَ الْبِرَّ اسْمَ لَيْسَ، وَخَبَرُهَا (أَنْ تُولُوا)، وَمَنْ قَرَأَ بِالنَّصْبِ، جَعَلَ (أَنْ تُولُوا) الْاسْمَ^(١).

﴿أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ المعنى: لَيْسَ الْبِرُّ صَلَاتُكُمْ إِلَى غَيْرِ الْقِبْلَةِ.

﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ أَي: وَإِنَّمَا الْبِرُّ. قَرَأَ نَافِعٌ، وَابْنُ عَامِرٍ بِتَخْفِيفِ النُّونِ^(٢)، وَرَفَعَ الرَّاءَ مُبْتَدَأً، خَبَرُهُ:

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٣٠)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٥)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٦٨).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٩)، و«تفسير البغوي» (١/١٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٩٢)، و«الكشف» =

﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ﴾ يعني : الكتب المنزلة .

﴿وَالنَّبِيِّنَ﴾ أجمع .

﴿وَعَاتَى﴾ أي : أعطى .

﴿أَلْمَالُ عَلَى حُبِّهِ﴾ أي : حبُّ المال في حال صحَّته ومحَبَّته .

﴿ذَوَى الْقُرْبَى﴾ أهل القرابة ، وقَدَّمهم ؛ لأنهم أحقُّ .

﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ هو المسافر ، سُمِّي به لملازمته

الطريق .

﴿وَالسَّائِلِينَ﴾ المستطعمين .

﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ المكاتبين .

﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَعَاتَى﴾ أي : أعطى ﴿الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفِقَ بَعْدَهُمْ﴾ فيما

بينهم وبين الله - عز وجل - ، وفيما بينهم وبين الناس .

﴿إِذَا عَاهَدُوا﴾ إذا وَعَدُوا^(١) أَنْجَزُوا ، وإذا حَلَفُوا أو نَذَرُوا أَوْفُوا ، وإذا

قالوا صَدَقُوا ، وإذا اتُّمِنُوا أَدُّوا .

﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ منصوبٌ على المدح ، والعربُ تنصبُ الكلام على المدح

والكرم ؛ كأنهم يريدون إفراء الممدوح والمذموم ، ولا يُتبعونه أولَ الكلام

وينصبونه .

= لمكي (٢٨١/١) ، و«الغيث» للصفاسي (ص : ١٤٦) ، و«تفسير البغوي»

(١٤١/١) ، و«التيسير» للداني (ص : ٧٩) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن

الجزري (٢٢٦/٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٣٧) .

(١) في «ن» : «توعدوا» .

﴿ فِي الْبَأْسَاءِ ﴾ الشدة والفقر .

﴿ وَالضَّرَّاءِ ﴾ المرض والزمانة .

﴿ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾ القتال والحرب .

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾ فيما عاهدوا ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ محارم الله .

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ
وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأِيبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ
ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ .

[١٧٨] ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ ﴾ فُرِضَ .

﴿ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ ﴾ المساواة .

﴿ فِي الْقَتْلِ ﴾ والقصاصُ: المماثلة في الجراح والديات، وأصله من
قَصَّ الأثر: إذا تبعه، وهو أن يفعل بالجاني مثل ما فعل، وسبب نزولها أنه
كان بين حَيَيْن في الجاهلية جراحات وديات لم تُستوفَ حتى جاء الإسلام،
فأقسم أحد الحيين ليقتل^(١) بالرجل الواحد الرجلين، فنزلت^(٢) .

﴿ الْحَرْبُ ﴾ مبتدأ، خبره تقديره: مأخوذ .

(١) في «ن»: «ليقتل» .

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٣٠)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص:

١٢٣)، و«الكشف» لمكي (١/٢٥٦)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٤٦)،

و«تفسير البغوي» (١/١٤١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٩)، و«إتحاف فضلاء

البشر» للدمياطي (ص: ١٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٣٨) .

﴿بِالْحُرِّ﴾ كذلك ﴿وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ اختلف الأئمة في حكم الآية، فمالك والشافعي وأحمد - رضي الله عنهم - لا يقتلون الحرَّ بالعبد، ولا المؤمن بالكافر، ويجعلون هذه الآية مفسَّرة للمبهم في قوله: ﴿الْنَفْسُ بِالْنَفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥]، ولأن تلك حكاية ما خوطب به اليهود في التوراة، وهذه خطاب للمسلمين، وما فرض عليهم فيها، واستثنى مالك فقال: إلا أن يقتل المسلم الكافر غيلةً، فيقتل به، وأبو حنيفة - رضي الله عنه - يقتل الحرَّ بالعبد، والمؤمن بالكافر، يجعل^(١) هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿الْنَفْسُ بِالْنَفْسِ﴾، وبدليل ما روي: «المُسْلِمُونَ تَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ»^(٢)، ولأنَّ التفاضل في الأنفس^(٣) غير معتبر؛ بدليل قتل الجماعة بالواحد بالاتفاق، واتفقوا على أنه يُقتل الذكر بالأنثى، وعكسه، والصغير الكبير، والصحيح بالأعمى، وبالزَّمن، وبناقص الأطراف، وبالمجنون.

ونقل الزمخشري في «كشافه» أنَّ مذهب مالك والشافعي لا يقتل الذكر بالأنثى؛ أخذاً بهذه الآية^(٤)، وهو وهم؛ فإن مذهبهما يُقتل الذكر بالأنثى، وعكسه، وقد صرح بذلك علماء المذهبين في كتبهم المبسوطات والمختصرات.

﴿فَمَنْ عَفَى لِمَنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ أي: ترك له، وصَفَحَ عنه من الواجب عليه،

(١) في «ن»: «ويجعل».

(٢) رواه أبو داود (٢٧٥١)، كتاب: الجهاد، باب: في السرية ترد على أهل العسكر، وابن ماجه (٢٦٨٥)، كتاب: الديات، باب: المسلمون تتكافأ دماؤهم، وغيرهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما -.

(٣) في «ت»: «النفس».

(٤) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٢٤٦/١).

وهو القصاصُ في قتل العمد، ورُضي منه بالدية، وأصلُ العفو: المحوُ والتجاوزُ، وقولُه: (مِنْ أَخِيهِ)؛ أي: من دم أخيهِ المقتول، وقولُه: (شيءٌ) دليلٌ على أن بعض الأولياء إذا عَفَا، سقطَ القودُ، وتَعَيَّنَتِ الدِّيَةُ؛ لأنَّ شيئاً من الدم قد بطلَ، وهو قولُ الثلاثة، وقال مالكٌ: إن عَفَا بعضُ مَنْ له الاستيفاءُ، فإن كانَ الجميعُ رجالاً، سقطَ القودُ، وإن كُنَّ نساءً، نظرَ الحاكمُ، فإن كانوا رجالاً ونساءً، لم يسقطَ إلا بهما، أو ببعضهما، وإلا فالقولُ قولُ المقتصِّ، ومهما سقطَ البعضُ، تعيَّنَ لباقي الورثة نصيبُهم من ديةِ عمدٍ.

﴿فَأَنْبَأَ﴾ أي: على الطالبِ للدياتِ الاتباعُ.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ فلا يأخذُ منه أكثرَ من الدية، ولا يطالبُه بعنفٍ.

﴿وَأَدَّاهُ إِلَيْهِ﴾ أي: على المطلوبِ منه أداءُ الديةِ إلى وليِّ الدمِ.

﴿بِإِحْسَنِ﴾ بلا مماطلةٍ ولا بَخْسٍ، وهذا تأديبٌ للقاتل، ولوليِّ الدمِ.

﴿ذَلِكَ﴾ أي: المذكورُ من العفوِ وأخذِ الديةِ.

﴿تَخْفِيفٌ مِّن رَّيِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ لأن القصاص كان حتماً على اليهود، وحُرِّمَ عليهم العفو والدية، وكانت الديةُ حتماً على النصارى، وحُرِّمَ عليهم القصاصُ، فَخَيَّرَتْ هذه الأمةُ بين الأمرين تخفيفاً ورحمةً.

﴿فَمَنِ اعْتَدَى﴾ أي تجاوزَ ما شرَّعَ، فقتلَ الجانيَ بعدَ العفوِ وقبولِ الدية، أو قتلَ غيرَ القاتلِ.

﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي: بعدَ أخذِ الديةِ.

﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة.

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْآلِ بَلِّ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٧٩).

[١٧٩] ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ ﴾ أي : بقاء؛ لأنه يزجر عن القتل .

﴿ يَتَأُولَى الْآلِ بَلِّ ﴾ العقول .

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ أي : تنتهون عن القتل مخافة القود . وفي معنى قوله

تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ ﴾ من الأمثال الدائرة على السِّنِّ الناس :
الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ .

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ .

[١٨٠] ﴿ كُتِبَ ﴾ أي : فُرِضَ .

﴿ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ أي : أسبابه من الأمراض .

﴿ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا ﴾ أي : مالا .

﴿ الْوَصِيَّةُ ﴾ والفاء مقدرة؛ أي : فالوصية رفع مبتدأ، خبره :

﴿ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ كانت فريضة في ابتداء الإسلام، ثم نُسخَت بآية

الميراث، وبقول النبي ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَلَا وَصِيَّةَ
لِوَارِثٍ»^(١) ﴿ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ أي : بالعدل، لا يزيد على الثلث، ولا يوصي
لغنيٍّ ويدعُ الفقيرَ .

(١) رواه أبو داود (٢٨٧٠)، كتاب : الوصايا، باب : ما جاء لا وصية لوارث، وقال :
حسن صحيح، وابن ماجه (٢٧١٣)، كتاب : الوصايا، باب : لا وصية لوارث،
وغيرهم عن أبي أمامة - رضي الله عنه - .

﴿حَقًّا﴾ نصبٌ على المصدر؛ أي: جعلَ الوصيةَ حقًّا.
﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ الله.

﴿فَمَنْ بَدَلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَأَنبَأَ إِثْمَهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٨١).

[١٨١] ﴿فَمَنْ﴾ شرطٌ مبتدأ.

﴿بَدَلَهُ﴾ غَيَّرَ الإيصَاءَ.

﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُ﴾ أي: قولَ الموصي، والجوابُ:

﴿فَأَنبَأَ إِثْمَهُ﴾ أي: حرجَ الإيصَاءِ المبدلِ.

﴿عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ والميتُ بريءٌ منه ثم تهددُ المبدلَ بقوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِمَا وَصَّى به الموصي.

﴿عَلِيمٌ﴾ بتبديلِ المبدلِ.

﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٨٢).

[١٨٢] ﴿فَمَنْ خَافَ﴾ أي: علم.

﴿مِنْ مُوصٍ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكرٍ عن عاصم، ويعقوب،
وخلف: (مُوصٍ) بفتح الواو وتشديد الصاد؛ لقوله تعالى: ﴿مَا وَصَّيْ بِهِ
نُوحًا﴾ [الشورى: ١٣]، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِسْرَافَ﴾ [الأحقاف: ١٥]، وقرأ الباقون: بسكون

الواو وتخفيف الصاد؛ لقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾^(١)
[النساء: ١١].

﴿جَنَفًا﴾ أي: عُدولاً عن الحق، وأصله: الميل.

﴿أَوْ إِثْمًا﴾ ظلماً.

﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين الموصى لهم.

﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ أي: على الحاضر أو وليّ أمور المسلمين أن يأمر
الموصى بالعدل بين الموصى لهم، أو يصلح بعد موته بين ورثته وبين
الموصى له، ويردّ الوصية إلى العدل والحق.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وعدّ للمصلح.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن
قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١٨٣).

[١٨٣] ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ﴾ أي: فُرِضَ.

﴿عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ وأصله في اللغة: الإمساك، وفي الشرع: إمساك
عن أشياء مخصوصة بنية في زمنٍ معيّن من شخصٍ مخصوص. ثم بيّن أن

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٣٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص:
١٢٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٦)، و«الكشف» لمكي (١/٢٨٢)،
و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٤٧)، و«تفسير البغوي» (١/١٤٩)، و«التيسير»
للداني (ص: ٧٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٦)،
و«إتحاف فضلاء البشر» للديمياطي (ص: ١٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية»
(١/١٤٠).

هذا الصيام؛ أعني: ثلاثين يوماً، كان مفروضاً على من تقدّمنا، ولم نُخصَّ به بقوله:

﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ من الأنبياء والأئم، وكان صيام مَنْ تقدّمنا من العتمة إلى الليلة القابلة، وكان النصارى قد يقع صيامهم في الحرّ الشديد، فيشقُّ عليهم، فجعلوه في الربيع، وزادوه عشرًا كفارة لما صنعوا، ثم مرض ملكهم فبرىء، فأتمّه خمسين.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ما لم يجزُ شرعاً.

﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [١٨٤].

[١٨٤] ﴿ أَيَّامًا ﴾ ظرفٌ لكتِبَ؛ كقولك^(١): نويتُ الخروجَ يومَ الجمعة.

﴿ مَعْدُودَاتٍ ﴾ مَوْقَاتٍ بعددٍ، وكان في ابتداء الإسلام صومُ ثلاثةِ أيامٍ من كلِّ شهرٍ واجباً، وصومُ عاشوراء، فنُسِخَ بصيام رمضان، وأولُ ما نُسِخَ بعدَ الهجرةِ أمرُ القبلةِ والصومِ، وفُرِضَ رمضانُ في السنة الثانية من الهجرة إجماعاً، فصام - عليه السلام - تسعَ رمضاناتٍ إجماعاً.

﴿ فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ ﴾ أي: راكب سفر.

(١) في «ت»: «كقوله».

﴿فَعِدَّةٌ﴾ مبتدأ، خبره محذوف، تقديره، ومعه: فأفطر، فعله صيام

عدد أيام فطره.

﴿مِنْ أَيَّامٍ﴾ نعتٌ لِعِدَّة.

﴿أُخَرٌ﴾ غير أيام مرضه وسفره.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ أي: على الذين يقدرّون على الصيام، وهم

مَنْ^(١) لا عذر له في الفطر، فعله إن أفطر:

﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ لأنهم كانوا قد خُيروا في ابتداء الإسلام بين أن

يصوموا وبين أن يفطروا ويفتدوا، فنسخ التخيير بقوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ

الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابنُ ذكوان عن ابنِ

عامر: (فِدْيَةُ طَعَامٍ) بالإضافة (مَسَاكِينَ) على الجمع بألف^(٢) بعد السين،

وافقه هشامٌ في جمع مساكين. وقرأ الباقون: (فِدْيَةٌ) منونة (طَعَامٌ) رفعٌ

(مِسْكِينٍ) على التوحيد، فمن جمع، نصب النون، ومن وحّد، خفضَ

النون، ونَوْنَهَا^(٣)، وهي ثابتة في حق مَنْ كان يطيق في حال الشباب، ثم

عجز لكبره، فله أن يفطر ويفتدي عند الثلاثة، وعند مالكٍ يفطر ولا فدية

(١) في «ن»: «ممن».

(٢) في «ن»: «بالألف».

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٣٦)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٣)، و«الكشف» لمكي (١/٢٨٢-٢٨٣)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٤٧)، و«تفسير البغوي» (١/١٥٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٤٢).

عليه، لكن تستحب. والفدية: الجزاء، وهو أن يُطعمَ عن كلِّ يومٍ أفطر مسكيناً مَدّاً مِنْ بُرٍّ، وهو رطلٌ وثُلثٌ بالعراقيّ عند الشافعيّ ومالكٍ وأحمد، وعند أبي حنيفة نصفُ صاعٍ بُراً، أو صاعٌ من غيره، وقدر الصاع عنده ثمانية أرطالٍ بالعراقيّ.

﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ أي: زاد على مسكينٍ واحدٍ، أو زاد على الواجبِ عليه.
﴿فَهُوَ﴾ أي: فالتطوُّعُ.

﴿خَيْرٌ لَهُ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (يَطَوَّعُ)^(١) أي: يَتَطَوَّعُ، ومحلُّ ﴿وَأَن تَصُومُوا﴾ رفعٌ مبتدأ، خبره:
﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: والصيامُ خيرٌ من الفدية.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك، والحاملُ والمرضُ إذا خافتا على ولديهما وأنفسهما، أفطرتا، وقضتا^(٢) بالاتفاق، ولا فدية عليهما عند أبي حنيفة، والمشهورُ عن مالكٍ وجوبُ الفدية على المرضِ دونَ الحاملِ، وعند الشافعيّ وأحمدٍ إن أفطرتا خوفاً على أنفسهما، فلا فدية، أو على الولدِ لزمتهما الفدية، وأما المريضُ والمسافرُ والحائضُ والنفساءُ، فعليهمُ القضاء دونَ الفدية بالاتفاق.

ثم بين الله تعالى أيامَ الصيام فقال:

-
- (١) انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٠)، و«الكشف» لمكي (١/٢٦٩-٢٧٠)، و«الغيث» للصفارسي (ص: ١٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدبياطي (ص: ١٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٤٣).
- (٢) في «ن»: «وقضيا».

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [١٨٥].

[١٨٥] ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ﴾ سُمِّيَ الشهرُ شهراً؛ لشهرته، وسُمِّيَ رمضان من الرَّمَضاء، وهي الحجارة المَحْمَّاة. قرأ أبو عمرو (شَهْرُ رَمَضَانَ) بإدغام الراء في الراء^(١)، ورفعُه مبتدأ، خبرُه:

﴿ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ جملةٌ واحدةٌ في ليلةِ القدرِ من اللُّوحِ المحفوظِ إلى بيتِ العِزَّةِ في سماءِ الدُّنيا، ثم نزلَ به جبريلُ - عليه السلام - نجوماً في نَيْفِ عشرينَ سنةً، وتقدَّم تفسيرُ معنى القرآن في الفصلِ الثامنِ أوَّلَ التفسيرِ. قرأ ابنُ كثيرٍ (القرآن) (وقرأنا) حيثُ وقعَ بفتحِ الراءِ غيرَ مهموز^(٢).

وعن أبي ذرٍّ - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «أُنْزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ فِي ثَلَاثِ لَيَالٍ مَّضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَتْ تَوْرَةُ مُوسَى فِي سِتِّ لَيَالٍ مَّضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ إِنْجِيلُ عِيسَى فِي ثَلَاثِ عَشْرَةِ مَضَيْنَ مِنْ

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٣٧)، و«إتحاف الفضلاء» للديمياطي (ص: ١٤٨)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٤٣).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/١٥٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديمياطي (ص: ١٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٤٤).

رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ زَبُورُ دَاوُدَ فِي ثَمَانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً^(١) مَضَتْ^(٢) مِنْ رَمَضَانَ،
وَأُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى مُحَمَّدٍ فِي الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ لَيْسَتْ بِقَيْنَ
بَعْدَهَا»^(٣).

﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ من الضلالة .

﴿وَبَيَّنْتَ﴾ دلالاتٍ واضحاتٍ .

﴿مِنْ الْهُدَى﴾ ذكر أولاً أنه هُدًى للناس ، ثم ذكر ثانياً أنه بيناتٌ من
الهدى ؛ ليؤذن أنه من جملة ما هَدَى الله تعالى به .

﴿وَالْفُرْقَانِ﴾ المفرِّقِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ .

﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ﴾ أي : كان^(٤) مقيماً في الحضر .

﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ وأعاد قوله :

﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ليعلم أن هذا
الحكم ثابتٌ في الناسخِ ثبوتهُ في المنسوخِ ، واختلفوا في المرض الذي يُبِيحُ
الفطرَ ، فقال أبو حنيفةٌ ومالكٌ : يُباحُ بمطلقِ المرضِ ، وقال الشافعيُّ
وأحمدٌ : يُباحُ إذا خافَ ضَرَرًا بزيادةِ مرضِهِ أو طولِهِ ، والسفرُ المبيحُ للفطرِ

(١) «ليلة» ساقطة من «ن» .

(٢) في «ن» : «مضين» .

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٠٧/٤) ، والطبراني في «المعجم الكبير»
(٧٥/٢٢) ، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٤٨) ، وابن عساكر في «تاريخ
دمشق» (٢٠٢/٦) ، عن واثلة بن الأسقع - رضي الله عنه - قال الهيثمي في
«مجمع الزوائد» (١٩٧/١) : فيه عمران بن داود القطان ، ضعفه يحيى ووثقه ابن
حبان ، وقال أحمد : أرجو أن يكون صالح الحديث ، وبقيّة رجاله ثقات .

(٤) «كان» ساقط من «ن» .

عند أبي حنيفة مسيرة ثلاثة أيام، وعند الثلاثة ستة عشر فرسخاً [وهي] ^(١) أربعة بُرْد، وهي يومان قاصدان، واختلفوا في أفضل الأمرين، فقال الثلاثة: الصوم أفضل، [وإن جهده الصوم كان الفطر أفضل، وقال الإمام أحمد: الفطر أفضل] ^(٢)؛ لقول النبي ﷺ: «لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ» ^(٣).

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ﴾ حيثُ أباحَ الفطرَ بالمرضِ والسفرِ، واليسرُ: ما تسهل.

﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [العُسْرُ: ضدُّ اليسر، تلخيصه: يريدُ أن يُيسَّرَ عليكم ولا يُعسَّرَ] ^(٤). قرأ أبو جعفر (اليُسْرَ والعُسْرَ) ونحوهما بضم السين حيثُ وقع، والباقون: بالسكون ^(٥).

﴿وَلِتُكْمِلُوا﴾ تقديرُهُ: يريدُ بكم اليسرَ، ويريدُ بكم لتكمِلُوا.

﴿أَلْعِدَّةُ﴾ بقضاءِ ما أفطرتُم في مرضِكُم وسفرِكُم. قرأ أبو بكر،

(١) لم ترد في جميع النسخ، والسياق يقتضيها.

(٢) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٣) رواه البخاري (١٨٤٤)، كتاب: الصوم، باب: قول النبي ﷺ لمن ظلل عليه واشتد الحر: «ليس من البر الصوم في السفر»، ومسلم (١١١٥)، كتاب: الصيام، باب: جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية، عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه -.

(٤) ما بين معكوفتين سقط من «ن».

(٥) انظر: «تفسير البغوي» (١/١٥٦)، و«الكشاف» للزمخشري (١/١١٤)، و«تفسير القرطبي» (١/٣٠١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٤٤).

ويعقوبُ: (وَلِتُكْمَلُوا) بتشديد الميم، والباقون: بالتخفيف، وهو الاختيار؛ لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(١) [المائدة: ٣].

﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ أي: تُعَظِّمُوهُ حَامِدِينَ.

﴿عَلَى مَا هَدَيْتُكُمْ﴾ أرشدكم إلى ما رَضِيَ به من صوم شهر رمضان.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ لله - عز وجل - على نعمه، والمراد بهذا التكبير: هو تكبيرُ ليلةِ الفطر، وهو مستحبٌ، واختلف الأئمةُ في مدَّته، فقال مالكٌ: يكبِّرُ في يومِ الفطرِ دون ليلته، وابتدأه من أولِ اليومِ إلى أن يخرجَ الإمامُ إلى الصلاة، وعندَ الشافعيِّ وأحمدَ من غروبِ الشمسِ ليلةَ الفطر، وانهاءه عندَ الشافعيِّ إلى أن يُحرِمَ الإمامُ بالصلاة، وعندَ أحمدَ إلى فراغِ الخطبة، وقال أبو حنيفة: يكبِّرُ للأضحى، ولا يكبِّرُ للفطر، وعند صاحبيه يُكَبِّرُ إذا توجَّهَ للصلاة، فإذا انتهى إلى المصلَّى، سقطَ عنه التكبيرُ، والتكبيرُ في الفطرِ مطلقٌ غيرُ مقيَّدِ بوقتٍ ولا مكانٍ، فيكبرُ في المساجد، والمنازل، والطرق، وغيرها، ولا يكبرُ عقبَ الصلواتِ المكتوبة، وأما صلاةُ العيدين، فهي^(٢) فرضٌ كفايةٌ عندَ أحمدَ وسُنَّةٌ عندَ الشافعيِّ ومالكٍ، وعندَ أبي حنيفةٍ واجبةٌ على الأعيان، وليستَ فرضاً، ويأتي الكلامُ على

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٣٩)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٣)، و«الكشف» لمكي (١/٢٨٣)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٤٨)، و«تفسير البغوي» (١/١٥٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٤٥).

(٢) في «ت»: «فهو».

التكبير للأضحى وصفة التكبير عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، وأما وقت صلاة العيد وصفتها وأحكامها، فقد اتفق الأئمة على أن أول وقتها إذا ارتفعت الشمس، وآخره إذا زالت الشمس^(١)، وسُمِّيَ عيداً؛ لاعتیاد الناس له كل حين، ومعاودتهم إياه، والسنة أن يُنادى لها: الصلاة جامعة، ويُشترط لها إذن الإمام، والمِصرُ عند أبي حنيفة، خلافاً للثلاثة، كما في الجمعة، ويشترط الاستيطان، وحضور أربعين عند الشافعي وأحمد، وعند أبي حنيفة ومحمد تنعقد بثلاثة سوى الإمام، وعند أبي يوسف اثنان سوى الإمام، وعند مالك ليس لهم حدٌ محصورٌ كما قال كلٌ منهم في الجمعة، وهي ركعتان يجهرُ فيهما بالاتفاق، وصفتها^(٢) عند أبي حنيفة أن يكبر تكبيرة الافتتاح، وثلاثاً بعدها، فإذا قام للثانية، بدأ بالقراءة، ثم يكبر ثلاثاً، وأخرى للركوع، فيوالي بين القراءتين في الركعتين، ويسكت بين كل تكبيرتين قدر ثلاث تسبيحات، ويرفع يديه في الزوائد، وعند مالك يكبر في الأولى بعد تكبيرة الإحرام ستاً، وفي الثانية بعد القيام خمساً، ويرفع يديه في الأولى خاصة، وليس عنده بين التكبيرتين قولٌ، ولا للسكوت بينهما حدٌ، وعند الشافعي يكبر في الأولى بعد الافتتاح سبْعاً، وفي الثانية قبل القراءة خمساً، وعند أحمد في الأولى بعد الافتتاح ستاً؛ كقول مالك، وفي الثانية بعد القيام خمساً؛ كقول الشافعي، واتفق الشافعي^(٣) وأحمد على رفع اليدين مع كل تكبيرة، وعلى

(١) «الشمس»: زيادة من «ن».

(٢) في «ن»: «وصفتها».

(٣) «واتفق الشافعي» ساقطة من «ن».

التكبير والتحميد والتسبيح بين كل تكبيرتين، فإذا فرغ من الصلاة، خطب خطبتين، وهما سنة بالاتفاق، يفتتحهما بالتكبير، يحثهم في الفطر على الصدقة، ويبين لهم ما يخرجون، وفي الأضحى على الأضحية، ويبين حكمها، والتكبيرات الزوائد سنة بالاتفاق.

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [١٨٦].

[١٨٦] ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ منهم بالعلم والإجابة. عن ابن عباس قال: قال يهود المدينة: يا محمد! كيف يسمع دعاءنا ربنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء خمس مئة عام، وأن غلظ كل سماء مثل ذلك؟ فنزلت هذه الآية، وفيه ضمائر تقديره: فقل لهم: إني قريب.

﴿ أُجِيبُ ﴾ أسمع للإجابة.

﴿ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي) بإثبات الياء فيهما وصلًا، بخلاف عن قالون. وقرأ يعقوب: بإثباتهما وصلًا ووقفًا، والباقون: بحذفهما في الحالين^(١).

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٨)، و«تفسير البغوي» (١/١٦٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٦٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للذمياط (ص: ١٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٤٦).

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا عَلَى الْأَرْضِ رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، أَوْ كَفَّ عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مِثْلَهَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمَ».

وروي أن أعرابياً قال: يا رسول الله! أقریب ربُّنا فنُنَاجِیه، أمْ بَعیدُ فنُنَادِیه؟ فنزل:

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ أي: فَلْيُجِيبُوا إِذَا دَعَوْتُهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ، وَالْإِجَابَةِ فِي اللُّغَةِ: الطَّاعَةُ، فَالْإِجَابَةُ مِنَ اللَّهِ: الْعَطَاءُ، وَمِنَ الْعَبْدِ: الطَّاعَةُ، وَحَقِيقَتُهُ: فليطيعوني.

﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ لكي يهتدوا، وَالرُّشْدُ ضِدُّ الْغَيِّ. قَرَأَ وَرَشٌ: (وَلْيُؤْمِنُوا بِي) بفتح الياء^(١).

وكان في ابتداء الإسلام يحرم^(٢) الأكل والشرب والجماع في رمضان بعد النوم وبعد صلاة عشاء الآخرة، ثم إنَّ عمرَ بنَ الخطاب - رضي الله عنه - واقعَ أهله بعد ما صَلَّى العشاء، فلمَّا اغتسل، أتى النبي ﷺ، واعتذر إليه، ثم قامَ رجالٌ فاعترفوا بمثله، فنزلَ في عمرَ وأصحابه:

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٣٠)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٤٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٤٦).

(٢) في «ن»: «تحريم».

﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْيَلِّ وَلَا تَبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

[١٨٧] ﴿أَحِلَّ﴾ أي: أُبِيحَ.

﴿لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ﴾ ظَرْفٌ لـ ﴿أَحِلَّ﴾.

﴿الرَّفَثُ﴾ الجماعُ ومقدّماته.

﴿إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: الرَّفَثُ: كلمةٌ جامعَةٌ لكلِّ ما يريدُ الرجلُ من النساءِ^(١).

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ﴾ أي: سترٌ من النارِ بالتعقُّفِ.

﴿وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ واللباسُ: اسمٌ لكلِّ ما يسترُ، فكأنَّ كلَّ واحدٍ منهما سترًا لصاحبه عمّا لا يحلُّ، وجاءَ في الحديث: «مَنْ تَزَوَّجَ، فَقَدْ أَحْرَزَ ثُلُثَي دِينِهِ»^(٢).

(١) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٢/١٥٤)، (مادة: رفث).

(٢) قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٤٧٦): رواه ابن الجوزي في «العلل» عن أنس مرفوعاً، وقال: لا يصح. وهو عند الطبراني في «الأوسط» (٧٦٤٧)، بلفظ: «فقد استكمل نصف الإيمان...»، وقال: لم يروه عن عصمة إلا زافر. ورواه البيهقي في «الشعب» (٥٤٨٦)، من حديث الخليل بن مرة، عن الرقاشي، ولفظه: «إذا تزوج العبد فقد كمل نصف دينه، فليتق الله في»

﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ﴾ تخونون.

﴿أَنفُسَكُمْ﴾ وتظلمونها بالمجاعة بعد العشاء.

﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾ تجاوزَ عنكم.

﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ مَحَا ذُنُوبَكُمْ.

﴿فَالْتَنَ﴾ ظَرَفُ لِقَوْلِ:

﴿بَشَرُوهُمْ﴾ جَامِعُوهُمْ، وَسُمِّيَتِ الْمَجَامِعَةُ مَبَاشِرَةً لِالتَّصَاقِ بِشَرَاتِيهِمَا.

﴿وَابْتَغُوا﴾ اطلبوا.

﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مِنَ الْوَلَدِ، وَكَانَ فِي ابْتِدَاءِ
الْإِسْلَامِ إِذَا نَامَ الْإِنْسَانُ أَوْ صَلَّى الْعِشَاءَ حَرَّمَ عَلَيْهِ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ فِي صِيَامِ
رَمَضَانَ، فَتَزَلَّ رَخِصَةً:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ لِيَالِي الصَّيَامِ.

﴿حَتَّى يَبَيِّنَ﴾ بَيَّنَّ الشَّيْءَ: ظَهَرَ.

﴿لَكُمْ﴾ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ ﴿هُوَ أَوَّلُ مَا يَبْدُو مِنْ بَيَاضِ النَّهَارِ كَالْخَيْطِ
الْمَمْدُودِ.

﴿مِنْ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ هُوَ مَا يَمْتَدُّ مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ مَعَ بَيَاضِ النَّهَارِ، وَشُبَّهَا
بِخَيْطَيْنِ أَبْيَضَ وَأَسْوَدَ لَامْتِدَادِهِمَا، وَالْمَرَادُ: الْفَجْرُ الثَّانِي.

= النصف الباقي»، ومن حديث زهير بن محمد، عن أنس مرفوعاً، بلفظ: «من
رزقه الله امرأةً سالحةً فقد أعانه على شطر دينه، فليثق الله في الشطر الباقي»،
وكذا هو عنده شيخه الحاكم في «مستدركه» (٢٦٨١)، وقال: إنه صحيح الإسناد
ولم يخرجاه، انتهى مختصراً.

﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ بيان للخيط الأبيض، واكتفى ببيان الخيط الأبيض عن بيان الأسود؛ لدلالته عليه، ولما أنزلت: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾، ولم ينزل من الفجر، كان رجالاً إذا أرادوا الصوم، ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود، ولا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾، فعلموا أنما يعني الليل والنهار^(١)، والفجر فجران: كاذب، وصادق، فالكاذب يطلع أولاً مستطيلاً يصعد إلى السماء، فبطلوعه لا يخرج الليل، ولا يحرم الطعام والشراب على الصائم، ثم يغيب فيطلع بعده الصادق، ينتشر سريعاً في الأفق، ولا ظلمة بعده، فبطلوعه يدخل النهار، ويحرم الطعام والشراب على الصائم.

﴿ثُمَّ آتُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَاهُنَا، وَأَذْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَاهُنَا، وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ»^(٢).

﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ﴾ المباشرة: الجماعة، نزلت فيمن كان يعتكف في المسجد، فإذا عرّضت له حاجة إلى امرأته، خرّج فجامعها، ثم اغتسل فرجع إلى المسجد.

(١) رواه البخاري (١٨١٨)، كتاب: الصوم، باب: قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا...﴾، ومسلم (١٠٩١)، كتاب: الصيام، باب: بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر...، عن سهل بن سعد - رضي الله عنه -.

(٢) رواه البخاري (١٨٥٣)، كتاب: الصوم، باب: متى يحل فطر الصائم، ومسلم (١١٠٠)، كتاب: الصيام، باب: بيان وقت انقضاء الصوم وخروج النهار، عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -.

رُوي عن يعقوب: الوقف على النون المشددة من جمع الإناث بالهاء^(١)
نحو: (هِنَّ) (وَمِنْهُنَّ) (وَلَا تَبَاشِرُوهُنَّ) وشبهه حيث وقع.

﴿وَأَنْتُمْ عَنْكِفُونَ﴾ مقيمون ناوون الاعتكاف.

﴿فِي الْمَسْجِدِ﴾ ولا يجوزُ الاعتكافُ في غير المساجد^(٢)، وهو سنةٌ بالاتفاق، وهو لزومُ مسجدٍ لطاعةِ الله تعالى على صفةٍ مخصوصةٍ من مسلمٍ عاقلٍ ولو مميزاً، طاهرٍ مما يوجبُ غسلًا، ولو ساعةً، ويجوزُ غيرَ صائمٍ عندَ الشافعيِّ وأحمدَ، خلافاً لأبي حنيفةً ومالكٍ - رضي الله عنهما - .
المعنى: الجماعةُ محرَّمٌ عليكم مدَّةَ اعتكافِكُمْ ليلاً ونهاراً، وهو مُفسِدٌ له بالاتفاق، وما دونُ الجماعةِ من المباشراتِ؛ كالقبلةِ واللمسِ بالشهوةِ، فمكروهٌ، ولا يفسدُ الاعتكافَ عندَ الشافعيِّ، وقال مالكٌ: يبطلُ اعتكافه، وعندَ أبي حنيفةً وأحمدَ: إن أنزلَ، بطلَ، وإلا فلا.

﴿تِلْكَ﴾ أي: الأحكامُ المذكورةُ وجميعُ المحرَّماتِ.

﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي: موانعه، وأصلُ الحدِّ في اللغة: المنعُ، ومنه قيلَ للبواب: حَدَّادٌ؛ لأنه يمنعُ الناسَ من الدخولِ. قرأ أبو عمرو (المَسَاجِدَ تِلْكَ) بإدغام الدال في التاء.

﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ أي: فلا تأتوها.

﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا.

(١) انظر: «إتحاف الفضلاء» للدمياطي (ص: ١٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٤٧/١).

(٢) في «ن»: «المسجد».

﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ لكي يتقوها فينجوا من

العذاب.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِيَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٨٨﴾.

[١٨٨] ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ﴾ أي: لا يأكل بعضكم من مال بعض.
﴿بِالْبَاطِلِ﴾ من غير الوجه الذي أباحه الله، وأصل الباطل: الشيء
الذاهب. نزلت في رجلين تخاصما إلى النبي ﷺ في أرض بينهما، فأراد
أحدهما أن يحلف على أرض أخيه^(١).

﴿وَتُدْلُوا بِهَا﴾ أي: لا تلقوا بالأموال الرشوة، وأصل الإدلاء: إرسال
الدلو وإلقائه في البئر، يقال: أدلى دلوهُ: إذا أرسله.
﴿إِلَى الْحُكَّامِ﴾ قضاة السوء بإقامة شهادة الزور.
﴿لِيَأْكُلُوا فَرِيقًا﴾ أي: طائفة.

﴿مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾ أي: الظلم.
﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنكم مُبْطِلون.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ
بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ
مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٨٩﴾.

(١) انظر: «صحيح مسلم» (حديث رقم: ١٣٩).

[١٨٩] ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾ نزلت في مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وثعلبة بن غنم الأنصاريين قالا: يا رسول الله! ما بال الهلال يبدو دقيقاً، ثم يزيد حتى يمتلىء نوراً، ثم يعود دقيقاً كما بدأ، ولا يكون على حالة؟ فأنزل الله الآية^(١)، والأهله: جمع هلال، سُمِّيَ بذلك؛ لرفع الناس أصواتهم عند رؤيته، وهو هلال، إلى الليلة الثالثة^(٢)، ثم يُقَمَّرُ.

﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ﴾ جمع ميقات؛ أي: معالم.

﴿لِلنَّاسِ﴾ يعلمون بها أوقات زراعتهم ومتاجرهم.

﴿وَالْحَجِّ﴾ أي: يعلمون أوقات الحج والعمرة والصيام والإفطار وغيرها، فلهذا خالف بينه وبين الشمس التي هي دائمة على حالة واحدة.

﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ كان المحرم جاهلية وإسلاماً لا يدخل بيتاً من بابه، بل يدخله من خلفه، فإن كان حائطاً، نقبه، أو يتخذ سُلماً يصعد منه حتى يُحِلَّ من إحرامه، ويرون ذلك براءً، إلا أن يكون من الخمس، وهم قريش وكنانة، فأنزل الله الآية، وسُميت قريش حُمساً؛ لشجاعتهم وتصلبهم في دينهم^(٣). قرأ ابن كثير، وقالون، وابن عامر وحمزة، والكسائي، وأبو بكر، وخلف (البيوت) و(بيوتا) و(بيوتكم)^(٤)

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٥/١)، عن ابن عباس - رضي الله عنهما -

بسند ضعيف، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٤٩٠/١).

(٢) «الثالثة» ساقطة من «ن».

(٣) انظر «تفسير الطبري» (١٨٨/٢)، و«تفسير البغوي» (١٦٧/١)، و«الدر المنثور»

للسيوطي (٤٩٢/١).

(٤) في «ن»: «بيوتهم».

وَشِبْهَهُ بِكَسْرِ الْبَاءِ حَيْثُ وَقَعَ، وَالْباقُونَ: بِالضَّمِّ عَلَى الْأَصْلِ^(١). الْمَعْنَى: لَيْسَ الْبِرُّ مَا تَفْعَلُونَهُ.

﴿وَلَكِنَّ الْإِلَهَ مَنْ أَتَقَى﴾ ذَلِكَ وَتَجَنَّبَهُ.

﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ حَالُ الْإِحْرَامِ.

﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ لَكِي تَظْفَرُوا بِالْهُدَى وَالْبِرِّ.

وَأَوَّلُ مَا نَزَلَ فِي أَمْرِ الْقِتَالِ:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿١٩٠﴾.

[١٩٠] ﴿وَقَاتِلُوا﴾ أَي: وَ^(٢) جَاهِدُوا.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أَي: طَاعَتِهِ.

﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ كَانَ فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْكَفِّ عَنِ قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ، ثُمَّ بَعْدَ الْهَجْرَةِ أَمْرَ بِقِتَالِ مَنْ قَاتَلَهُ مِنْهُمْ بِهَذِهِ الْآيَةِ.

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٨)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٣)، و«الكشف» لمكي (١/٢٨٤-٢٨٥)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٥٤)، و«تفسير البغوي» (١/١٦٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٤٨).

(٢) الواو زيادة من «ت».

﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ لا تبدؤوهم بالقتال، ثم نسخت بعد ذلك بقوله تعالى :
﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة : ٤] .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ﴾ أي : لا يرضى فعل .

﴿الْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين الحلال إلى الحرام .

﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَفْتَنُوهُمْ وَآخِرُجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ
وَلَا تُقْبِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَتِّلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَتَلُوكُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ
جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [١٩١] .

[١٩١] ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَفْتَنُوهُمْ﴾ أي : وجدتموهم، وتمكنتم منهم،
وأصل الثقافة : الحذق في إدراك الشيء وفعله .

﴿وَآخِرُجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ من مكة؛ لأنهم أخرجوا المسلمين أولاً
منها، ثم أخرج ﷺ ثانياً منها من لم يؤمن منهم يوم الفتح، وكانوا
يستعظمون القتل في الحرم، ويُعَيَّرُونَ به المسلمين، فنزل :
﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ أي : شركهم بالله .

﴿أَشَدُّ﴾ أي : أعظم .

﴿مِنَ الْقَتْلِ﴾ الذي يحلُّ بهم منكم في الحرم والإحرام .

﴿وَلَا تُقْبِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَتِّلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَتَلُوكُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ﴾ قرأ
حمزة، والكسائي، وخلف : (ولا تقتلوههم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم) بغير
ألف فيهن على معنى : ولا تقتلوا بعضهم، تقول العرب : قتلنا بني فلان،

وإنما قتلوا بعضهم. وقرأ الباقر: بالألف^(١)، من القتال^(٢). كان في ابتداء الإسلام لا يحلُّ بدايتهم بالقتال في البلد الحرام، ثم صار منسوخاً؛ بقوله تعالى: ﴿وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣].

﴿كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ يفعل بهم مثل ما فعلوا.

﴿فَإِنْ أَنْهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٩١).

[١٩٢] ﴿فَإِنْ أَنْتَهُوا﴾ عن الشرك والقتال.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لما سلف من ذنوبهم.

﴿رَحِيمٌ﴾ بعباده.

﴿وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١٩٣).

[١٩٣] ﴿وَقَتْلُوهُمْ﴾ أي: المشركين.

﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: شرك، يعني: حتى يُسلموا.

(١) في «ن»: «عن».

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٤٣)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٩)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٤٩)، و«الكشف» لمكي (١/٢٨٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٥٤)، و«تفسير البغوي» (١/١٦٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٤٩-١٥٠).

﴿وَيَكُونُ الدِّينُ﴾ أي : العبادة .

﴿لِلَّهِ﴾ وحده ، فلا يُعبد سواه ، فلا يُقبل من غير الكتابي إلا الإسلام أو القتل .

﴿فَإِنْ أَتَتْهُمَا﴾ عن الشرك .

﴿فَلَا عُدْوَانَ﴾ لا ظلم .

﴿إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ المعنى : لا تظلموا إلا الظالمين غير المنتهين ، وسمي جزاء الظالمين ظلماً ؛ لزدواج الكلام ؛ كقوله : ﴿فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ فَأَعْدُوا عَلَيْهِ﴾ [البقرة : ١٩٤] تلخيصه : من آمن سلم ، ويسمى الكافر ظالماً ؛ لوضعه العبادة في غير محلها .

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ فَأَعْدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ .

[١٩٤] ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾ أي : المحرم .

﴿بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ أي : مقابل به وبما فيه من قتالٍ وحجٍّ وغيرهما . سبب نزولها : أن رسول الله ﷺ خرج معتمراً في ذي القعدة سنة ست ، فصده المشركون عن البيت بالحديبية ، فصالح أهل مكة على أن يرجع عامه ذلك ، ثم رجع فقصى عمرته في ذي القعدة أيضاً سنة سبع من الهجرة ، فنزلت^(١) . تلخيصه : هذا الشهر بذلك الشهر .

(١) انظر : «أسباب النزول» للواحدي (ص : ٢٨) ، و«تفسير الطبري» (١٩٧/٢) ، و«تفسير البغوي» (١/ ١٧٠) ، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٤٩٧) .

﴿وَالْحُرْمَتُ﴾ جمع حُرْمَةٍ.

﴿فَصَاصٌ﴾ مساواة. المعنى: من هتك حرمة، اقتص منه بمثلها، والهتك: خرق الستر عما وراءه.

﴿فَمِنْ أَعْدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ وقاتلوه.

﴿بِمِثْلِ مَا أَعْدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ أي: جازوه بعقوبة مماثلة عقوبته، قال الله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

﴿وَأَنْفَقُوا لِلَّهِ﴾ إذا انتصرتكم ممن ظلمكم، فلا تظلموهم بأخذ أكثر من حَقِّكم.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ فيصلح شأنهم.

﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [١٩٥].

[١٩٥] ﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: الجهاد. سبب نزولها البخل وترك الإنفاق في سبيل الله حين قال ناس: لو أنفقنا أموالنا، بقينا بلا أموال^(١).

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ أصل الإلقاء: طرح الشيء حيث تراه، وعبر عن الأنفس بالأيدي. المعنى: لا تطرحوا أنفسكم.

﴿إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ أي: الهلاك بترك الإنفاق في سبيل الله، والعرب لا تقول: ألقى بيده إلا في الشر.

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٩)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٢٠٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٧١)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٤٩٩).

﴿وَأَحْسِنُوا﴾ بِاللَّهِ الظَّنَّ ، وَفِي الْإِنْفَاقِ مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا تَقْتِيرٍ .
 ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ فِيمَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ .

﴿وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ^(١٩٦) .

[١٩٦] ﴿وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ وَاتِمَامُهُمَا أَنْ يُؤْتَى بِهِمَا تَامِينَ بِمَنَاسِكَهِمَا ^(١) وَسُنَنِهِمَا ، وَاتَّفَقَ الْأُئِمَّةُ عَلَى وَجوبِ الْحَجِّ عَلَى مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، وَاخْتَلَفُوا فِي الْعُمْرَةِ ، فَقَالَ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ: هِيَ وَاجِبَةٌ؛ لِأَنَّهَا قَرِينَةُ الْحَجِّ فِي كِتَابِ اللَّهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ ، وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَمَالِكٌ: هِيَ سُنَّةٌ ، وَتَأْوَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ مَعْنَاهُ: أَتِمُّوْهَا إِذَا دَخَلْتُمْ فِيهَا ، أَمَّا ابْتِدَاءُ الشَّرْعِ ^(٢) فِيهَا ، فَتَطَوُّعٌ .

وَاتَّفَقَ الْأُئِمَّةُ عَلَى جَوَازِ أَدَاءِ الْحَجِّ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ: الْإِفْرَادَ ، وَالتَّمَتُّعَ ، وَالْقِرَانَ .

فَصُورَةُ التَّمَتُّعِ: أَنْ يَعْتَمَرَ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ ، ثُمَّ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ أَعْمَالِ

(١) فِي «ن»: «مَنَاسِكَهِمَا» .

(٢) فِي «ن»: «الشَّرْع» .

الْعُمْرَةُ يُحْرَمُ بِالْحَجِّ مِنْ مَكَّةَ، فَيَحُجُّ فِي ذَلِكَ الْعَامِ، وَهُوَ الْأَفْضَلُ عِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ.

وصورة الأفراد: أن يحجَّ، ثم بعد الفراغ منه يعتمر من خارج مَكَّةَ من أدنى الحِلِّ، وهو الأفضل عند مالك والشافعي.

وصورة القران: أن يحرم بالحج والعمرة معاً، أو يحرم بالعمرة ثم يُدخل عليها الحج قبل أن يطوف، فيندرج أفعال العمرة في أفعال الحج، وهو الأفضل عند أبي حنيفة.

ويأتي الكلام على وجوب الحج وشيء من أحكامه في سورة الحج عند تفسير قوله تعالى ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧].

﴿فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ﴾ أصل الإحصار: المنع، والمانع المبيح للمحرم التحلل ما كان بعدو عند الشافعي وأحمد ومالك، وعند أبي حنيفة كل ما صدَّ عن الوصول إلى البيت؛ كعدو، ومريض، وذهاب نفقة وراحلة، وتقديره: إن صُددتم عن الوصول إلى البيت.

﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ أي: فعليه ما تيسر.

﴿مِنْ الْهَدْيِ﴾ جمع هَدْيَةٍ، والهدي: ما يُهدى إلى الحرم من نَعَمٍ وغيرها تقرباً إلى الله تعالى، والمراد هنا: النَعَم، فأيسرُه شاة، وأوسطه بقرة، وأعلاه بدنة، فيتحلل المحرم بذبح الهدي وحلق الرأس حيث أُخْصِرَ عند الشافعي وأحمد، وعند مالك أن المحصر بعدو لا يجب عليه هدي، ويتحلل بدونه، وقال أبو حنيفة: يبعث بهديه إلى الحرم، ويُقيم على إحرامه، ويواعد مَنْ يذبحه عنه، ثم يُحِلُّ. تلخيصه: فإن مُنِعْتُمْ عن البيت مُحْرَمِينَ، فعليكم إذا أردتم التحلل ما تسهّل من الهدي.

﴿وَلَا تَحْلِفُوا رُءُوسَكُمْ﴾ في حال الإحرام، فالحلق والتقصير مشروع في الحج بالاتفاق، فعند الشافعي هو ركن على الأصح، وعند الثلاثة واجب.

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ منحره الذي يُذبح فيه، فيذبحه حيث يحل، وتقدم قريباً ذكر اختلاف الأئمة في محله.

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ في جسده.

﴿أَوْ بِهِ أَذَىٰ مِّن رَّأْسِهِ﴾ من هَوَامٍّ أو صُدَاعٍ صراع^(١) أو جراحة^(٢). المعنى: يثبت على إحرامه من غير حلق حتى يذبح هديه، إلا أن يضطر إلى الحلق، فإن فعل ذلك^(٣) للضرورة ﴿فَفِدْيَةٌ﴾ أي: فعليه فدية، نزلت في كعب بن عُجرة حين رآه رسول الله ﷺ وهوامُّه تسقط على وجهه، فقال: «أَيُّؤْذِيكَ هَوَامُّكَ؟»، فأمره رسول الله ﷺ بالحلق والفدية، وهو بالحديبية^(٤).

﴿مِّن صِّيَامٍ﴾ أي: صيام ثلاثة أيام بالاتفاق.

﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ يُطعمها لستة مساكين، لكل مسكين نصف صاع من طعام عند الثلاثة، وعند أحمد مُدٌّ بَرٌّ، أو نصف صاع تمرٍ أو شعير.

﴿أَوْ سُكٍّ﴾ جمع نسيكة، وهي ذبيحة شاة بالاتفاق، واتفقوا على أنه مخير بين الصيام والذبح والتصدق؛ لأن (أو) للتخيير.

(١) «صراع» زيادة من «ن».

(٢) «جراحة» ساقطة من «ن».

(٣) «ذلك» زيادة من «ن».

(٤) رواه البخاري (٣٩٢٧)، كتاب: المغازي، باب: غزوة الحديبية، ومسلم (١٢٠١)، كتاب: الحج، باب: جواز حلق الرأس للمحرم.

واختلفوا في الدماء المتعلقة بالإحرام بمن تختص تفرقتها؟ فقال أبو حنيفة: لا يجوز الذبح إلا بالحرم، ولا يختص تفرقه بأهله، وقال مالك: ليس شيء منها مخصوصاً، وجائز أن يفعلها حيث شاء بمكة وغيرها، والاختيار أن يأتي بالكفارة حيث وجبت عليه، فإن أتى بها في غيره، أجزأت عنه، وقال الشافعي: الدم الواجب بفعل حرام أو ترك واجب لا يختص بزمان، ويختص ذبحه بالحرم، ويجب صرف لحمه إلى مساكينه؛ إلا دم الإحصار فحيث أحصر، وقال أحمد: كل هدي أو إطعام فهو لمساكين الحرم، إلا فدية الأذى والإحصار، فحيث وجدا، وله تفرقتها في الحرم أيضاً، أما الصوم فيجزى بكل مكان بالاتفاق.

﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ من خوفكم، وبرئتم من مرضكم.

﴿فَنَ تَمَنَّ﴾ ومعنى التمتع ﴿بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾ في قول ابن عباس وعطاء وجماعة: هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة بما كان محظوراً عليه في الإحرام إلى وقت إحرامه بالحج، وقيل: هو الاستمتاع والانتفاع بالتقرب بها إلى الله تعالى قبل الانتفاع بالتقرب إلى الله تعالى بالحج^(١)، ﴿فَنَ﴾ شرط محله رفع ابتداء، وجوابه:

﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ أي: عليه دم، شاة يذبحها، لأنه ترفق بأداء النُسكين في سفرة واحدة، وكذا القارن بشرط ألا يكون^(٢) من حاضري المسجد الحرام بالاتفاق، ويلزم دم التمتع بطلوع الفجر يوم النحر عند أبي حنيفة وأحمد، وعند مالك والشافعي بإحرام الحج، وإذا وجب، جاز

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/١٧٩).

(٢) في «ن»: «أن يكون».

إراقته، ولم يتوقَّتْ بوقتٍ عند الشافعيّ، والأفضلُ عنده إراقته يومَ النحر، وهو مذهبُ الثلاثة.

ولوجوب الدم على المتمتع عند أحمدَ سبعةُ شروط: أحدهما: ألاَّ يكونَ من حاضري المسجد الحرام، والثاني: أن يعتَمِرَ في أشهر الحجّ، والعبرة بالشهر الذي أحرم فيه، لا بالذي حلَّ فيه، الثالث: أن يحجَّ من عامه، الرابع: ألاَّ يسافر بين العمرة والحج مسافةً قصرٍ فأكثر، الخامس: أن يحلَّ من العمرة قبلَ إحرامه بالحجّ، السادس: أن يحرمَ من الميقات أو من مسافةٍ قصرٍ فأكثر من مكة، السابع: أن ينوي التمتع في ابتداء العمرة، أو أثنائها، ولا يُعتبر وقوعُ نسكين عن واحدٍ، فلو اعتمر لنفسه، وحجَّ عن غيره، أو عكسه، أو فعل ذلك عن اثنين، كان عليه دُمُ المتعة.

وعند الشافعيّ أربعةُ شروط: الثلاثة الأولى، والرابع: ألاَّ يعود إلى ميقاتٍ بلده لإحرام الحجّ.

وعند مالكٍ خمسةُ شروط: ألاَّ يكونَ من حاضري المسجد الحرام، الثاني: أن يخرجَ من العمرة ولو آخرها في أشهر الحج، ولو أحرمَ قبلها؛ كما لو أحرمَ في رمضان، وأكملَ سعيه بدخولِ شوال، الثالث: ألاَّ يعود إلى أُفقه أو مثله؛ بخلاف لو عاد مثل^(١) المصريّ إلى نحو المدينة، الرابع: أن يكونا عن واحد؛ بأن تكونَ العمرة والحجَّ عن نفسه، أو عمَّن استنابه، أما لو كان أحدهما عن نفسه، والآخر عن غيره، سقط الهدى، الخامس: أن يكونا في عامٍ.

(١) «مثل» ساقطة من «ن».

وعند أبي حنيفة أربعة: أن يحرم من الميقات، الثاني: أن يفعل أفعال العمرة أو أكثرها في أشهر الحج، فلو طاف أقلَّ أشواطِ العمرة قبلَ أشهر الحج، وأتمها فيها، وحجَّ، كان متمتعاً، وعكسه لا، لأن للأكثر حكم الكلِّ، الثالث: أن يحجَّ من عامه، الرابع: ألاَّ يرجع إلى وطنه، فلو خرج من الحرم، ولم يجاوز الميقات، أو خرج من الميقات، ولم يرجع إلى وطنه، فهو متمتع، وخالفه أصحابه في الثاني^(١)، فقالوا: إذا خرج من الميقات، بطلَ التمتع.

﴿فَن لَّمْ يَحْذِ الْهَدْيِ﴾

﴿فَصِيَامُ﴾ أي: فعلية صيام.

﴿ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾ أي: في وقته وأشهره، فيصوم يوماً قبلَ التروية، ويومَ التروية، ويومَ عرفة، وهذا هو الأفضل عند أبي حنيفة وأحمد، وعند مالكٍ والشافعيِّ يُستحبُّ أن يصومَ الثلاثة قبلَ يوم عرفة؛ لأن صومه يُضعفه عن الدعاء، فإن صامه، أجزأه، ويجوزُ الصومُ قبله بعد الإحرام بالعمرة عند أبي حنيفة وأحمد، وعند مالكٍ والشافعيِّ بعد الإحرام بالحج، ولا يجوزُ صومُ هذه الثلاثة في أيام التشريق عند أبي حنيفة والشافعيِّ، وقال مالكٌ وأحمد: يجوز؛ لأن نهيه - عليه السلام - عن صيام أيام منى معناه التطوع، وهذا واجب.

﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى أهليكم وبلدكم، فلو صامها قبلَ الرجوع، لم يجزُ في الأظهر من مذهبِ الشافعيِّ، وقالَ الثلاثة: يجوزُ صومُها قبلَ

(١) في «ت»: «الباقى».

الرجوع، لكن لا يصحّ عندهم صومها في أيام التشريق، ويجوزُ صيامها بعد الفراغ من أعمال الحجّ إذا توطنَ بمكةً بالاتفاق.

﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ في الثواب والأجر، أو ذكرها على وجه التأكيد، وهذا لأنّ العرب ما كانوا يهتدون إلى الحساب، فكانوا يحتاجون إلى فضلٍ شرح وزيادة بيان، وكلُّ واحدٍ من صومِ الثلاثة والسبعة لا يجبُ فيه التتابع بالاتفاق، وإذا فات صومُ الثلاثة أيام حتى أتى يومُ النحر، فعند أبي حنيفة لم يجزه إلا الدم، ولا يجوزُ أن يصومَ الثلاثة ولا السبعة بعدها.

وعند مالكٍ والشافعيّ إذا فات صومُها في الحج لزمه قضاؤها ولا دم عليه، وعند أحمد إن لم يصمها في أيام منى صام بعد ذلك عشرة أيام وعليه دم مطلقاً، ويلزمه التفريق من الثلاثة والسبعة عند الشافعي، وعند أحمد لا يلزمه، وعند مالك إن شاء وصل الثلاثة بالسبعة، وإن شاء فرقها منها.

﴿ذَلِكَ﴾ أي: هذا الحكم الواجب من الهدى أو الصيام عند مالك والشافعي وأحمد.

﴿لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وذلك عند أبي حنيفة وأصحابه، إشارة إلى التمتع، فلا متعة ولا قران عندهم لحاضري المسجد الحرام، فمن تمتع وقرن منهم فعليه دم وهو دم جنابة لا يأكل منه، واختلفوا في حاضري المسجد الحرام؛ فعند أحمد: هم أهل مكة، ومن كان من آخر الحرم دون مسافة القصر، وعند الشافعي: من كان وطنه من الحرم أقل من مسافة القصر، وعند أبي حنيفة: أهل المواقيت فما دونها، وعند مالك: أهل مكة فقط.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أداء الأوامر.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ على ارتكاب المناهي.

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى ۚ وَاتَّقُوا إِلَى الْأَلْبَابِ ۖ ﴾ [١٩٧].

[١٩٧] ﴿ الْحَجُّ ﴾ مبتدأ، خبره:

﴿ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ ﴾ أي: وقته أشهر وهو شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة عند أبي حنيفة وأحمد، وعند الشافعي: وتسعة من ذي الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النحر، وعند مالك: وجميع ذي الحجة، فمن قال: عشر، عبّر به عن الليالي، ومن قال: تسعة، عبّر به عن الأيام، فإن آخر أيامه يوم عرفة وهو التاسع، وإن من قال: أشهر بلفظ الجمع وهي شهران وبعض الثالث على قول الأئمة الثلاثة لأنها وقت والعرب تسمي الوقت تاماً بقليله وكثيره، فتقول: زرتك العام، وإنما زاره في بعضه، فالميقات: زماني ومكاني، فالزماني للحج وهو ما تقدم أنفاً، وأما العمرة: فتصح في جميع السنة بالاتفاق فلو أحرم بالحج قبل أشهر صح، وانعقد عند الثلاثة، وقال الشافعي ينعقد عمرة مجزية عن عمرة الإسلام، وأما المكاني: فميقات أهل المدينة من ذي الحليفة، وهو اسم لجميع الوادي وهو من المدينة على نحو ستة أميال وبينه وبين مكة نحو عشرة أيام، وميقات أهل الشام ومصر والمغرب الجحفة، واسمها في الأصل: مهيعة، وسميت جحفة لأن السيل جحف أهلها؛ أي: استأصلهم، وهي قرية بينها وبين مكة نحو أربعة أيام، وميقات أهل نجد اليمن ونجد الحجاز والطائف قُربُه بإسكان الراء، ويُسمى قرن المنازل، وقرن الثعالب، وهو جبل مشرف على عرفات، وميقات أهل اليمن يللمم، وميقات أهل المشرق كخراسان

والعراق ذات عرق، وهذه الثلاثة بين كل واحد منها وبين مكة ليلتان وهذه المواقيت يجب الإحرام على من مر بها أو حاذها براً أو بحراً إذا كان قاصداً مكة مريداً للنسك من حج أو عمرة بالاتفاق، فإن لم يرد نسكاً لم يلزمه الإحرام عند الشافعي، كله يستحب. وعند الثلاثة لا يجوز دخول مكة بغير إحرام، واستثنى أبو حنيفة مَنْ منزله في الميقات أو داخله، وأباح القائلون بوجود الإحرام الدخول لمن شأنه التردد؛ كخطاب ونحوه، ويباح لقتال مباح وخوف من عدو عند الشافعي وأحمد، فإن لم يحرم من وجب عليه الإحرام فقد أساء ولا شيء عليه؛ لأن دخول محل الفرض لا يوجب الدخول في الفرض، ولا قضاء عليه لفواته، كما لا تقضى تحية المسجد إذا جلس قبل أن يصلّيها، ولا فدية عليه، وهذا قول الأئمة الثلاثة خلافاً لأبي حنيفة في قوله يجب أن يأتي بحجة أو عمرة، فإن أتى بحجة الإسلام أو عمرة أجزأه عن عمرة الدخول، وَمَنْ منزله دون الميقات فميقاته من موضعه بالاتفاق، وميقات أهل مكة للحج عند الشافعي نفس مكة فقط، وعند أبي حنيفة من حيث شأؤوا من الحرم، وعند مالك وأحمد من مكة، ويصح من الحل، وميقاتهم للعمرة من الحل كالتنعيم وغيره بالاتفاق، فلو أحرم من الحرم صح وعليه دم بالاتفاق، فلو خرج إلى الحل قبل طوافه سقط الدم عنه^(١) عند الثلاثة، وعند أبي حنيفة: إن خرج محرماً ملبياً سقط الدم، وعند صاحبيه: يسقط بعدده إلى الميقات، لبي أو لم يلب، وإن رجع بعد طوافه لم يسقط الدم بالاتفاق، وعند مالك: يعيد طوافه وسعيه لكونهما وقعا بغير شرطهما، وإن حلق أعادهما أيضاً وأهدى لكونه حلق في إحرامه.

(١) «عنه» زيادة من «ن».

﴿فَمَنْ قَرَضَ﴾ أي: أوجب على نفسه.

﴿فِيهِ الْحَجَّ﴾ بالإحرام والتلبية.

﴿فَلَا رَفَثٌ﴾ أي: لا جماع فيه.

﴿وَلَا فُسُوقٌ﴾ كل أنواع المعاصي فسوق.

﴿وَلَا جِدَالَ﴾ لا خصام.

﴿فِي الْحَجِّ﴾ بأن يقول بعضهم: الحج اليوم، ويقول بعضهم: الحج غداً. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب ﴿فَلَا رَفَثٌ وَلَا فُسُوقٌ﴾ بالرفع والتنوين فيهما ﴿وَلَا جِدَالَ﴾ بالنصب من غير تنوين. وقرأ أبو جعفر الثلاثة بالرفع والتنوين. وقرأ الباكون بالنصب من غير تنوين في الثلاثة، فالقراءة بالرفع والتنوين إخبار بمعنى النهي؛ أي: لا ترفثوا ولا تفسقوا، وبالنصب من غير تنوين نفي، تلخيصه: لا تفعلوا ما نهيتم عنه.

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ أي: برٍّ وطاعة.

﴿يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ أي: لا يخفى عليه.

﴿وَتَكْزَوْدُوا﴾ ما تبذلون به وقيقكم عن السؤال وغيره. نزلت فيمن كان يحج بلا زاد ويقل على الناس.

﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ أي: اجعلوا زاد الحج الطعام، وزاد الآخرة التقوى.

﴿وَأَتَّقُوا لِئَلَّا تَلَبَّ﴾ يا ذوي العقول، فمن من لم يتقه فليس بذلي لب، قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر (واتقوني) بإثبات الياء حالة الوصل، وأثبتها يعقوب وصلاً ووقفاً، وحذفها الباكون فيهما.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾ ﴿١٩٨﴾ .

[١٩٨] ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ أي: إثم، وأصله من الجنوح، الميل عن القصد.

﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾ أي: تقصدوا.

﴿فَضْلًا﴾ أي: رزقاً وتفضلاً، وهو الربح في التجارة.

﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ في مواسم الحج. نزلت لما تأثم المسلمون من التجارة أيام الحج.

﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ﴾ دفعتم، أصل الإفاضة الدفع بكثرة، من أفاض الرجل ماءه.

﴿مِّنْ عَرَفَاتٍ﴾ جمع عرفة، جمع بما حولها، وإن كانت بقعة واحدة، وهي اسم علم للموقف، سميت به لأنها وصفت لإبراهيم عليه السلام، فلما رآها عرفها. وقيل: إن آدم - عليه السلام - لما أهبط وقع بالهند وحواء بجدة، فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات يوم عرفة، وتعارفا، فسمي اليوم عرفة، والموضع عرفات، وقيل غير ذلك.

﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالدعاء والتهليل والتلبية.

﴿عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ أي: بالقرب منه، وهو ما بين جبلي مزدلفة من مأزمي عرفة إلى محسر، وجميع المزدلفة موقف إلا المحسر،

وقيل: هو جبل قزح، وسمي مشعراً، من الإشعار، الإعلام لأنه من معالم الحج، وأصل الحرام: المنع فلا يفعل فيه ما نهى عنه، والإفاضة من عرفات بعد غروب الشمس، ومن المزدلفة قبل طلوعها يوم النحر، وسمي المزدلفة جمعاً؛ لأنه يجمع فيه بين صلاتي العشاء، والمزدلفة لازدلاف الناس إليها؛ أي: دنوهم منها.

﴿وَأَذْكُرُوهُ﴾ بالتوحيد ذكراً حسناً.

﴿كَمَا هَدَيْتُكُمْ﴾ لدينه ومناسك حجه.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: قبل الهدى.

﴿لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ الجاهلين بعبادته وذكره.

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ [١٩٩] غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿﴾.

[١٩٩] ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ كانت قريش وحلفاؤها وهم الحمس يقفون بالمزدلفة ترفعاً على الناس لئلا يساووهم في الموقف والناس بعرفات، فنهوا عن ذلك بقوله ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ والمراد بالناس: جميع الناس إلا الحمس.

﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ [١٩٩] غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿﴾ يغفر ذنب المستغفر وكان رسول الله ﷺ من الحمس، ولكنه يقف مذكراً بعرفة هداية من الله.

﴿فَإِذَا قُضِيَتْهُ مَنَاسِكُكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ﴾ (٢٠٠).

[٢٠٠] ﴿فَإِذَا قُضِيَتْهُ مَنَاسِكُكُمْ﴾ جمع منسك، أي: إذا فرغتم من عباداتكم، وذبحتم ذبائحكم بعد رمي جمرة العقبة، قرأ أبو عمرو ﴿مناسككم﴾ بإدغام الكاف الأولى في الثانية، ولم يدغم من المثلين في كلمة إلا موضعين لا غير، أحدهما هذا، والثاني في المدثر ﴿ما سلككم﴾ وأظهر ما عدهما نحو ﴿جباهم﴾ و﴿وجوههم﴾ و﴿بشركم﴾ و﴿أتعاجوننا﴾ و﴿أتعداني﴾ وشبهه.

﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالتكبير والثناء عليه.

﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ لأن العرب كانت إذا فرغت من حجها وقفت مفاخر آبائها.

﴿أَوْ أَشَدَّ﴾ أي: وأكثر.

﴿ذِكْرًا﴾ ثم أوماً إلى اختلاف أغراض الخلق بقوله تعالى:

﴿فَمِنَ النَّاسِ﴾ يعني المشركين.

﴿مَن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا﴾ كانوا لا يسألون الله في الحج إلا الدنيا، يقولون: اللهم أعطنا غنماً وإبلًا وبقراً وعبداً وغير ذلك.

﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ﴾ نصيب خير.

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ ﴿٢٠١﴾ .

[٢٠١] ﴿ وَمِنْهُمْ ﴾ يعني المؤمنين .

﴿ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ العلم والعبادة ، قرأ أبو عمرو
﴿ يقول ربنا ﴾ وشبهه حيث وقع بإدغام اللام في الراء .

﴿ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ الجنة . وعن علي رضي الله عنه : « الحسنه في
الدنيا المرأة الصالحة ، وفي الآخرة الحوراء » .

﴿ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ كل ما يبعد عن الله ؛ لأنه سبب العذاب ، وقيل :
امرأة السوء . وتلخيصه : أكثروا ذكر الله ، وسلوه سعادتك في داريه .

﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۖ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ ﴿٢٠٢﴾ .

[٢٠٢] ﴿ أُولَٰئِكَ ﴾ أي المؤمنين .

﴿ لَهُمْ نَصِيبٌ ﴾ حظ .

﴿ مِّمَّا كَسَبُوا ﴾ دعوا ، ويسمى الدعاء كسباً ؛ لأنه عمل ، والعمل يوصف
بالكسب ، المعنى : لهم جزء من جنس عملهم .

﴿ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ إذا حاسب لا يحتاج إلى عقد يد ولا وعي صدر
ولا نظر وفكر ، بل أسرع من لمح البصر سبحانه وتعالى .

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [٢٠٣].

[٢٠٣] ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالتكبير عقب الصلوات، وعند رمي الجمرات يكبر مع كل حصاة.

﴿فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ هي أيام التشريق وهي ثلاثة أيام بعد يوم النحر، سميت معدودات لقلتهن كقوله: ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يوسف: ٢٠].

والتشريق: التكبير، وهو في الأضحى^(١) مطلق كما تقدّم في الفطر، ومقيّد عقب الصلوات، فعند أبي حنيفة وأحمد يكبر دُبْرَ كُلِّ فريضة صَلاَهَا في جماعة، وعند مالك يكبر عقب الفرائض، ولو منفرداً، وعند الشافعي عقب كُلِّ صلاة، فريضة كانت أو نافلة، منفرداً صَلاَهَا أو في جماعة. وهذا التكبير مسنون عند الأئمة الثلاثة، واجب عند أبي حنيفة.

واختلفوا في ابتدائه وانتهائه، فقال أبو حنيفة: يبتدئ عقب صلاة الفجر يوم عرفة إلى أن يكبر لصلاة العصر يوم النحر، ثم يقطع.

وقال مالك: يبتدئ عقب صلاة الظهر من يوم النحر، ويختم بعد الصبح من آخر أيام التشريق.

ولا فرق عندهما بين المحرم وغيره.

وقال الشافعي: يكبر الحاج من ظهر النحر، ويختم بصبح أيام التشريق، وأما غير الحاج، ففيه خلاف، والذي عليه العمل عند المحققين

(١) في «ن»: «في الأضحى وهو».

من الشافعية أنه يكبرُ من صبحِ عرفةَ إلى العصرِ من آخرِ أيام التشريق .

وقال أحمد: ابتداءؤه للمُحِلِّ من صلاةِ الفجرِ يومَ عرفةَ، وللمُحَرَّمِ من صلاةِ الظهرِ يومَ النحر؛ لأنه كان مشغولاً قبلَ ذلك بالتلبية، وانتهاءؤه عقبَ صلاةِ العصرِ من آخرِ أيام التشريق مطلقاً.

وتقدم اختلافُهم في التكبير للفرط عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ١٨٥] .

وأما صفةُ التكبيرِ، فعندَ الشافعيِّ: الله أكبرُ ثلاثاً نَسَقاً في الأول، ثم يَهْلُلُ، ويشفَعُهُ، ثم يقول: والله^(١) الحمد.

وعند أبي حنيفةَ وأحمد: يشفعُ التكبير في أوله وآخره، وصفتهُ: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر والله الحمد.

وعن مالك كالْمَذهِبَيْنِ، وكلاهما جائز عنده، والله أعلم.

﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ﴾ أي: فمن عَجَلَ وطلبَ الخروجَ من مِنًى.

﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ نفرَ في اليوم الثاني من أيام التشريق، فترك المبيتَ بمنًى في الليلة الثالثة، وهذا النَّفَرُ الأول.

﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بتعجيله؛ لأنه مرخص له في ذلك.

﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾ حتى نفر في اليوم الثالث، وهو أفضل، وهذا النَّفَرُ الثاني.

﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بتركِ الترخُّصِ. تلخيصُه: هم مخيرون بينَ نفرين، وإن كان المتأخِّرُ أفضلَ.

(١) «والله» ساقطة من «ن» .

﴿لَمَنِ اتَّقَى﴾ المناهي، أي: جواز التخيير، ونفي الإثم لمن اتقى شيئاً نهاه الله عنه.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ للجزاء، وأصل الحشر: الجمعُ وضُمُّ المتفرِّق.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (٢٠٤).

[٢٠٤] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ﴾ يروِّقُ ويعظمُ في قلبك.

﴿قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: يسُرُّكَ ما يقوله في معنى الدنيا؛ لأن دعواه مَحَبَّتَكَ إنما هو لطلب حظٍّ من الدنيا. قرأ أبو عمرو: (يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ) بإدغام الكاف في القاف. نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي، وكان حلو الكلام، يلقي النبي ﷺ ويحلف له أنه يحبُّه، ويظهر الإسلام، وكان منافقاً^(١).

﴿وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ أي: يقول: الله شاهدٌ على ما في قلبي من مَحَبَّتِكَ، ومن الإسلام.

﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ أي: هو شديد الجدال والعداوة للمسلمين.

﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾
﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ (٢٠٥).

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٣)، و«تفسير الطبري» (٢/٣١٢)، و«تفسير البغوي» (١/١٩١)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/٥٧١).

[٢٠٥] ﴿وَإِذَا قَوْلَىٰٓ أَدْبَرَ عَنْكَ .

﴿سَكَىٰ فِي الْأَرْضِ﴾ بِعَمَلِ الْمَعَاصِي .

﴿لَيُفْسِدَ فِيهَا﴾ بِقَطْعِ الرَّحِمِ وَسَفْكِ دِمَائِ الْمُسْلِمِينَ .

﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ﴾ الزَّرْعَ .

﴿وَالنَّسْلَ﴾ وَلَدَ آدَمَ وَالْحَيَوَانَ .

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ﴾ أَي : لَا يَرْضَى .

﴿الْفَسَادَ﴾ فَاحْذَرُوا غَضَبَهُ عَلَيْهِ .

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ
الْمِهَادُ﴾ ﴿٢٠٦﴾ .

[٢٠٦] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ أَي : خَفِ اللَّهَ .

﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ﴾ حَمَلَتْهُ النَّخْوَةُ وَالتَّكْبُرُ عَلَى الْعَمَلِ .

﴿بِالْإِثْمِ﴾ أَي : الظُّلْمِ .

﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾ أَي : كَافِيهِ جَزَاءُ .

﴿وَلَيْسَ الْمِهَادُ﴾ الْفِرَاشُ .

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ
بِالْعَبَادِ﴾ ﴿٢٠٧﴾ .

[٢٠٧] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ أَي : يَبِيعُهَا .

﴿أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ أي: طلبَ رضوانِ الله. قرأ الكسائي: (مَرْضَاةٍ) بالإمالة، ووقف بالهاء حيث وقع^(١). سبب نزولها أن المشركين كانوا^(٢) أسروا حُبَيْبَ بْنَ عَدِيٍّ الأنصاريَّ وصلبوه بالتَّعْنِيمِ، فلما بلغ^(٣) النبي ﷺ هذا الخبرُ، قال لأصحابه: «أَيُّكُمْ يُنْزِلُ حُبَيْبًا عَنْ^(٤) خَشْبَتِهِ وَلَهُ الْجَنَّةُ؟» فقال الزبيرُ بْنُ العَوَّامِ: أنا وأخي المقدادُ بْنُ الأسودِ، فخرجا يمشيان بالليل، وَيَكْمُنَانِ بالنهار، حتى أتيا التَّعْنِيمَ ليلاً، وأنزلاه، وقَدِمَا على رسولِ الله ﷺ وجبريلُ عندهُ، فقال: يا محمدُ! إن الملائكةَ لَتَبَاهِي بهذينِ مِنْ أَصْحَابِكَ، فنزل فيهما: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ حينَ شَرَّيَا أَنْفُسَهُمَا لِإِنْزَالِ حُبَيْبٍ مِنْ خَشْبَتِهِ، وقيلَ غيرُ ذلك، والقصةُ فيها طولٌ واختلافٌ بين المفسرين^(٥).

﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعَبَادِ﴾ أَنْ كَلَّفَهُمُ الْجِهَادَ لِحَصُولِ الثَّوَابِ لَهُمْ.

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٤-٩٥)، و«الغيث» للصفافسي (ص: ١٦٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدُمياطي (ص: ١٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٧٥).

(٢) «كانوا» ساقطة من «ن».

(٣) «بلغ» ساقطة من «ت».

(٤) في «ن»: «من».

(٥) انظر: «تفسير البغوي» (١/١٩٥)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/٥٢٧).

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٢٠٨).

[٢٠٨] ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾ أصله: الاستسلام والانقياد، والمراد: الإسلام، ويقال للصالح: سلم. قرأ نافع، وابن كثير، والكسائي، وأبو جعفر: (السلم) بفتح السين، والباقون: بكسرهما^(١).

﴿كَآفَّةً﴾ أي: جميعاً، وأصلها من الكف: الجمع. نزلت في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه، وذلك أنهم كانوا يُعَظِّمُونَ السَّبْتَ، ويكرهون لحوم الإبل بعدما أسلموا، وقالوا: يا رسول الله! إن التوراة كتابُ الله، فدعنا فلنقيم بها صلاتنا بالليل، فأنزل الله تعالى الآية^(٢).

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي: آثاره فيما زَيَّنَ لكم من تحريم السبت ولحوم الإبل وغيره.

﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ظاهر العداوة.

-
- (١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٥)، و«الكشف» لمكي (١/٢٨٧)، و«الغيث» للصفارسي (ص: ١٥٦)، و«تفسير البغوي» (١/١٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٥/٢٢٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدبياطي (ص: ١٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٥٨).
- (٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٣)، و«تفسير البغوي» (١/١٩٧)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/٥٢٩).

﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ تَكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

[٢٠٩] ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾ أي: ملئتم عن الإسلام مجتمعين.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ تَكُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ أي: الدلالات على أن ما دعيتم إليه حق.

﴿فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ أي: غالب قادر على الانتقام.

﴿حَكِيمٌ﴾ لا ينتقم إلا بالحق.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

[٢١٠] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون، النظر والانتظار: الإمهال.

المعنى: ما ينتظر تاركو الدخول في الإسلام.

﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ﴾ جمع ظُلة، وهي ما أظَلَّ.

﴿مِنَ الْغَمَامِ﴾ وهو السحاب الأبيض الرقيق سُمِّيَ غماماً؛ لأنه يَغْمُ؛

أي: يَسْتُر.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ قرأ أبو جعفر: ﴿والملائكة﴾ بالخفض عطفاً على

الغمام، تقديره: مع الملائكة، وقرأ الباقون: بالرفع على معنى: إلا أن يأتيهم الله والملائكة في ظُلَلٍ من الغمام^(١)، والأولى في هذه الآية وفي

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٥١)، و«تفسير الطبري» (٤/٢٦١)، =

ما شاكلها أن يؤمن الإنسان بها، ويُمِرّها كما جاءت بلا كيف، ويكلّ علمها إلى الله سبحانه، وهو مذهبُ أئمة السلف وعلماء السنة، قال سفيان بن عُيينة: كلُّ ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه، فتفسيره قراءته، والسكوت عنه، ليس لأحد أن يفسره إلا الله ورسوله^(١).

﴿وَفُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي: فُرِغَ من حسابهم، ووجب العذاب، وذلك فصلُ الله^(٢) القضاء بالحق بين عباده يوم القيامة.

﴿وَالِىَ اللَّهُ تَرْجِعُ الْأُمُورُ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزة، والكسائي، وخلف، ويعقوب: (تَرْجِعُ) بفتح التاء وكسر الجيم، وقرأ الباقون: بضمّ التاء وفتح^(٣) الجيم^(٤).

﴿سَلَّ بَنَى إِسْرَءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَهُمْ مِّنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

= و«تفسير البغوي» (١/١٩٧-١٩٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٥٩-١٦٠).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/١٩٨).

(٢) «الله» لفظ الجلالة لم يرد في «ت».

(٣) في «ن»: «ورفع».

(٤) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٥)، و«الكشف» لمكي (١/٢٨٩)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٥٧)، و«تفسير البغوي» (١/١٩٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٦١).

[٢١١] ﴿سَلِّ بَنَى إِسْرَءِيلَ﴾ أي: يا محمد! سلِّ يهود المدينة.

﴿كَمْ أَتَيْنَهُمْ﴾ أعطينا آباءهم وأسلافهم.

﴿مِنْ ءَايَمٍ بَيِّنَةٍ﴾ دلالة واضحة على نبوة موسى - عليه السلام -، وقيل:

معناه: الدلالات التي في التوراة والإنجيل على نبوة محمد ﷺ.

﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ﴾ يُنَكِّرْ وَيَغَيِّرْ.

﴿نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ أي: الدلائل على نبوة محمد ﷺ.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾ أي: بعد ما عرفها وصحَّت عنده.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ فيعاقبه^(١) أشدَّ عقوبة.

﴿زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢).

[٢١٢] ﴿زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ نزلت في مشركي العرب:

أبي جهل وأصحابه، كانوا يتنعمون بما بُسِطَ لهم في الدنيا من المال، ويكذبون بالمعاد، والمزِينُ الله تعالى بأن خلق الأشياء العجيبة، فنظروا إليها فأعجبته، ففَتَنُوا بها^(٢).

﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: يستهزئون بالفقراء من المؤمنين؛

كعبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر، وصُهيب، وخُبَيْب، وبلال، وغيرهم.

(١) في «ن»: «يعاقبون».

(٢) «بها» ساقطة من «ن».

﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ لأن هؤلاء الفقراء في أعلى عليين في الجنة، وهؤلاء الكفار في أسفل السافلين في النار.

﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ رزقاً واسعاً من غير تقدير.

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ تَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٢١٣﴾.

[٢١٣] ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ متفقين على دين واحد وهو الإسلام، من آدم إلى نوح، ثم اختلفوا.

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ﴾ وجملتهم مئة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي، والمرسلون منهم ثلاث مئة وثلاثة عشر، والمذكورون في القرآن باسم العلم ستة وعشرون نبياً، وهم: محمد، وآدم، وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وذو الكفل، وشعيب، وموسى، وهارون، وداود، وسليمان، وعزير، ويونس، وزكريا، ويحيى، وإلياس، واليسع، وعيسى - صلوات الله عليهم أجمعين -، وأشار إلى أشموئيل بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، وأشار إلى أرميا بقوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وأشار إلى يوشع في سورة الكهف بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْلِهِ﴾ [الكهف: ٦٠]، وأشار إلى إخوة يوسف بقوله: ﴿لَقَدْ

كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ﴿يوسف: ٧﴾، ويأتي ذكرُ أسمائهم عند تفسير الآية،
والأسباطُ ذُكروا إجمالاً، وهم من ذرية أولادِ يعقوبَ الاثني عشرَ، وكانَ
فيهم أنبياءُ، وفي لقمانَ وذو القرنينِ خلافُ كالخضرِ.

﴿مُبَشِّرِينَ﴾ بالثوابِ للمؤمن.

﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ بالعقابِ للعاصي.

﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ المرادُ: الجنسُ، لا أنه مع كلِّ نبيِّ كتابٌ؛ لأنَّ
منهم من لم يكن له كتابٌ، وإنما أخذ بكتبٍ مَنْ قبله.

﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: الصدق.

﴿لِيُحْكَمَ﴾ قرأ أبو جعفر: (لِيُحْكَمَ) بضم الياء وفتح الكاف؛ لأنَّ
الكتابَ لا يحكمُ في الحقيقة إنما يُحْكَمُ به، وقرأ الباقون: بفتح الياء وضم
الكاف؛ أي: لِيُحْكَمَ الكتابُ؛ كقوله تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُطِيقُ عَلَيْكُمْ
بِالْحَقِّ﴾^(١) [الجاثية: ٢٩].

﴿بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي: في دينِ الإسلام.

﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أي: في الحقِّ.

﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ أي: أعطوا الكتابَ المنزلَ.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ على صدقِ الكتبِ.

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٥٤)، و«تفسير البغوي» (١/٢٠٠)،
و«تفسير القرطبي» (٣/٣٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
(٢/٢٢٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٦)، و«معجم القراءات
القرآنية» (١/١٦٣).

﴿بَعِيًّا﴾ حَسَدًا.

﴿بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين المختلفين؛ بأن كَذَّبَ بعضٌ^(١) بعضاً، وكنتموا صفةً محمدٍ ﷺ على حُطَامِ الدنيا ورياستِها.

﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اُخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ وقوله: ﴿مِنَ الْحَقِّ﴾ بيانٌ للمختلف فيه. تلخيصُهُ: فهدى الله المؤمنين إلى الحق [المختلف فيه من الحق]^(٢).

﴿بِإِذْنِهِ﴾ بعلمه وإرادته. قيل في هذه الآية: اختلفوا في القبلة، فمنهم من يصلي إلى المشرق، ومنهم من يصلي إلى المغرب، ومنهم من يصلي إلى بيت المقدس، فهدانا الله للكعبة، واختلفوا في الصيام، فهدانا الله لشهر رمضان، واختلفوا في الأيام، فأخذت اليهود السبت، والنصارى الأحد، فهدانا الله للجمعة، واختلفوا في إبراهيم، فقالت اليهود: كان يهودياً، وقالت النصارى: كان نصرانياً، فهدانا الله للحق من ذلك، واختلفوا في عيسى، فجعله اليهود لغيرتهم ولدَ زنى، وجعله النصارى إلهاً، فهدانا الله للحق فيه^(٣).

﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ لا يَضِلُّ سَالِكُهُ. واختلافُ القراء في الهمزتين من قوله: (يشاء إلى) كما تقدّم في قوله: ﴿لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١١٥].

(١) في «ت»: «بعضهم».

(٢) ما بين معكوفتين ساقطة من «ت».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٢٠١).

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ^ط مَسْتَهْمُ الْبِئْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [٢١٤] .

[٢١٤] ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾ نزلت في غزوة الخندق لما أصابَ المسلمين الجهد؛ تطيباً لقلوبهم، وقيل: في حرب أحد^(١). تلخيصه: أظننتم أنكم تدخلون الجنة من غير مَشَقَّةٍ . ﴿ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ ﴾ و(لما) فيه معنى التوقُّع . المعنى: إن إتيانَ ذلك متوقَّعٌ منتظرٌ .

﴿ مَثَلُ ﴾ أي: شبهة .

﴿ الَّذِينَ خَلَوْا ﴾ أي: مضوا .

﴿ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ من النبيين والمؤمنين .

﴿ مَسْتَهْمُ ﴾ أصابَتْهُمْ .

﴿ الْبِئْسَاءِ ﴾ الفقر .

﴿ وَالضَّرَاءِ ﴾ المرض .

﴿ وَزُلْزَلُوا ﴾ أزعجوا بأنواع البلاء .

﴿ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾ المعنى: إن الأهوال اشتدَّت عليهم إلى غايةٍ قال فيها الرسولُ والمؤمنون استبطاءً للنصر لا شكاً:

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٤)، و«تفسير البغوي» (٢٠١/١)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/٥٣٢)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥٨٤/١).

﴿مَتَى نَصَرَ اللَّهُ﴾ الذي وَعَدَنَاهُ؟ قال الله تعالى :

﴿أَلَا إِنَّ نَصَرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ غيرُ متأخِّر . قرأ نافعُ : (حَتَّى يَقُولُ) بالرفع على أنه في معنى الحال ، نحو : شربتِ الإبلُ حتى يجيءُ البعيرُ يجزُّ بطنه ، فهي حالٌ ماضيةٌ مُحْكِيَّةٌ ، وقرأ الباقر : بالنصب بإضمارِ (أَنْ) ، وجعلِ الفعلِ مستقبلاً ؛ أي : إلى أن يقول^(١) .

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّهِ وَاللَّذِينَ وَأَلْقَابِهِمْ﴾^(٢١٥) .

[٢١٥] ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ نزلت في عمرو بن الجموح ، وكان شيخاً ذا مال ، فقال : يا رسول الله ! بماذا نتصدق ، وعلى من ننفق ؟ فأنزلها الله تعالى^(٢) ، و(ما) استفهامٌ . المعنى : أي شيء الذي يُنفقونه ؟ .

﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ وقوله :

﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ بيانٌ للمنفق ، ثم بيَّن مَصْرَفَ النفقة بقوله :

-
- (١) انظر : «إعراب القرآن» للنحاس (٢٥٥/١) ، و«الحجة» لأبي زرعة (ص : ١٣١) ، و«السبعة» لابن مجاهد (ص : ١٨١) ، و«الحجة» لابن خالويه (ص : ٩٦-٩٥) ، و«الكشف» لمكي (٢٨٩-٢٩١/١) ، و«الغيث» للصفارسي (ص : ١٥٧) ، و«تفسير البغوي» (٢٠٢/١) ، و«التيسير» للداني (ص : ٨٠) ، و«النشر» في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٢٧/٢) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ١٥٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١٦٥/١) .
- (٢) انظر : «أسباب النزول» للواحدي (ص : ٣٤) ، و«تفسير البغوي» (٢٠٢/١) ، و«العجاب» لابن حجر (٥٣٤/١) .

﴿ فَلِلَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ تلخيصه : ما أنفقتُم من حلالٍ ، فهو خيرٌ كُلُّهُ إذا كان على هؤلاء المذكورين .
﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ يجازيكم به ، ثم نُسخت بفرض الزكاة .

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢١٦) .

[٢١٦] ﴿ كُتِبَ ﴾ فُرِضَ .

﴿ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ ﴾ أي : الجهادُ ، وهو قتالُ الكفار ، وهو فرض كفاية إذا قامَ به من يكفي ، سقطَ عن الباقيين الفرض ؛ كصلاة الجنائز ، وردَّ السلام بالاتفاق .

﴿ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ ﴾ أي : شاقٌّ عليكم .

﴿ وَعَسَى ﴾ من أفعال المقاربة فيه طَمَعٌ .

﴿ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ لأن في الغزو إحدى الحسنين : إما الظفرُ والغنيمةُ ، وإما الشهادةُ والجنةُ .

﴿ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا ﴾ يعني : القعود عن الغزو .

﴿ وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴾ لما فيه من فوات الغنيمة والأجر .

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ﴾ مصالحكم .

﴿ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ذلك .

روي أن النبي ﷺ بعث عبد الله بن جحش، وهو ابن عمه النبي ﷺ في آخر جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين في سرية على رأس سبعة عشر شهراً من مقدمه المدينة؛ ليرصدوا عيراً لقريش فيها عمرو بن الحضرمي وثلاثة معه، وهم الحكم بن كيسان، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، ونوفل بن عبد الله المخزوميان، فقتلوا عمرو بن الحضرمي، فكان أول قتل من المشركين، واستأسروا الحكم وعثمان، فكانا أول من أسر في الإسلام، وأفلت نوفل، فأعجزهم، وكانت الوقعة ببطن نخلة بين مكة والطائف، وجاء عبد الله وأصحابه النبي ﷺ بالغير والأسيرين، وقالوا: يا رسول الله! قتلنا ابن الحضرمي، ثم أمسينا فرأينا هلال رجب، فما ندري أفي رجب أصبناه أم في جمادى؟ قال ابن عباس: كانوا يحسبون تلك الليلة من جمادى، وكانت من رجب، فوقف رسول الله ﷺ العير والأسيرين، وامتنع عن أخذها، فعظم ذلك على أهل السرية، وسقط في أيديهم، وقال المشركون: قد استحل محمد الشهر الحرام، فنزل:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمْتُ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾.

[٢١٧] ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ ^(١) يعني: رجبا، سُئِيَ بذلك

لتحريم القتال فيه .

﴿قِتَالٍ فِيهِ قُلٌّ﴾ يا محمد .

﴿قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ عظيم، تمَّ الكلامُ هاهنا، ثم ابتدأه فقال :

﴿وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي : وصدُّكم المسلمين عن الإسلام .

﴿وَكُفْرُ بِهِ﴾ أي : بالله .

﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي : مكة، عطفُ على سبيل الله .

﴿وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ﴾ أي : أهل المسجد .

﴿مِنْهُ﴾ وهم النبي ﷺ والمؤمنون .

﴿أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أعظمُ وزراً من القتال في الشهر الحرام .

﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ أي : الشرك .

﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ أي : من قتل ابن الحضرمي في الشهر الحرام، فلما

نزلت أخذ رسول الله ﷺ العيرَ، فعزلَ منه الخمسَ، وقسمَ الباقيَ بينَ

أصحابِ السرية، وكانت أولَ غنيمةٍ في الإسلام، وبعثَ أهلُ مكة في فداءِ

أسيرهم، فقال : بل نَقْفُهُمْ حتى يَقْدَمَ سعدٌ وعُتْبَةُ، فإن لم يقدمَا، قتلناهما

بهما، فلما قدما، فاداهم، فأما الحكمُ بنُ كيسان، فأسلمَ وأقامَ مع

النبي ﷺ بالمدينة، فقتل يومَ بئرِ معونةَ شهيداً، وأما عثمانُ بنُ عبد الله،

فرجع إلى مكة، فماتَ بها كافراً، وأما نوفلٌ، فضربَ بطنَ فرسه يومَ

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢/٣٤٨)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٥)،

و«تفسير البغوي» (١/٢٠٣ - ٢٠٤).

الأحزاب ليدخل الخندق، فوقع في الخندق مع فرسه، فتحطما جميعاً، وقتله الله، فطلب المشركون جيفته بالثمن، فقال رسول الله ﷺ: «خُدُوهُ؛ فَإِنَّهُ خَبِيثٌ خَبِيثٌ خَبِيثٌ الدِّيَّةُ»^(١)، قال الله تعالى:

﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ أي: الكفار.

﴿يُقْبِلُونَكُمْ﴾ أيها المؤمنون.

﴿حَتَّى﴾ أي: كي.

﴿يَرُدُّوكُمْ﴾ أي: يصرفوكم.

﴿عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوا﴾ قدروا، ثم تهددهم بقوله:

﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ﴾ أي: يرجع.

﴿مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ إلى دينهم.

﴿فَيَمُتْ﴾ عطف على ﴿يَرْتَدِدْ﴾.

﴿وَهُوَ كَافِرٌ﴾ أي: مرتد أو (من) رفع ابتداء، خبره:

﴿فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ أي: بطلت حسناتهم.

﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ لأن عباداتهم لم تصح في الدنيا، فلم يجازوا عليها في الآخرة.

﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ في هذا دليل للشافعي

(١) انظر: «مسند الإمام أحمد» (٢٤٨/١)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٤٩٦/٦)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٥ - ٣٦)، و«تفسير البغوي» (١/٢٠٤ - ٢٠٥)، و«العجاب» لابن حجر (١/٥٣٧).

وأحمد أن الردّة لا تحبطُ العمل حتى يموتَ مرتدّاً، وأبو حنيفة ومالكٌ يبطّلاه بالردّة، وإن رجع مسلماً.

واختلفوا في حكم المرتدّ، وهو الذي يكفرُ بعد إسلامه - والعياذ بالله -، فقال أبو حنيفة: يجبُ قتله في الحال، ولكن يُستحبُّ أن يُحبس ثلاثة أيام، ويُعرض عليه الإسلام، وتُكشفُ شُبُهَتُهُ، فإن أسلم، وإلا قُتل، ويُكره القتلُ قبلَ العرض.

وقال مالكٌ وأحمدُ: يجب أن يُستتابَ ثلاثاً، فإن تاب، وإلا قُتل. وقال الشافعيُّ: تجبُ استتابته في الحال، فإن أصرَّ، قُتل، وإن أسلم، صَحَّ وترك.

واختلفوا في المرأة إذا ارتدّت، فقال أبو حنيفة: تُحبس وتُخرج في كل أيام، ويُعرض عليها الإسلام، وتُضربُ حتى تسلّم، ولا تُقتل. وعند الثلاثة: حكمها كالرجل في الاستتابة والقتل.

ولما أنزلت الآية، قال أصحابُ السرية: يا رسول الله! أنوِّجِرْ على فعلنا هذا؟ فأنزل الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [٢١٨].

[٢١٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ لأنهم فارقوا أهلهم ومنازلهم.

﴿وَجَاهَدُوا﴾ فجعلها جهاداً، جمع بين هذه الخصالِ ترغيباً، وإن كان الثوابُ حاصلًا بكلِّ واحدةٍ منها.

﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي : طاعة الله .

﴿ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ﴾ أخبر أنهم على رجاء الرحمة ، و(رَحِمَتْ) رسمت بالتاء في سبعة مواضع ، وقفَ عليها بالهاء ابنُ كثيرٍ ، وأبو عمرو ، ويعقوبُ ، والكسائيُّ .

﴿ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ يغفرُ الخطأ ، ويُجْزِلُ الثوابَ والأجرَ .

وكانت الخمرُ حلالاً إجماعاً ، وكان المسلمون يشربونها ، فجاء معاذُ بنُ جبلٍ وعمرُ بنُ الخطابُ بجماعة ، فقالوا : يا رسول الله ! أَفَتَنَا فِي الخمرِ ، فإنها مَذْهَبَةٌ للعقل ، مَسْلَبَةٌ للمال ، ورُوي أنه سُئل عن الخمرِ والميسرِ معاً فنزلت^(١) :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢١٩) .

[٢١٩] ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ ﴾ وهو المُسْكِرُ ؛ لأنه يَخْمُرُ العقلُ ؛ أي : يسترُهُ .

﴿ وَالْمَيْسِرِ ﴾ القِمَارُ ؛ لأنه يأخذ مال غيره بسهولة ويُسر ؛ أي : يسألونك عن جوازِ تناولهما واستعمالهما ؛ لأن السؤال لم يكن عن أعيانهما .

(١) في «ن» : « فنزل » . وانظر : « أسباب النزول » للواحدي (ص : ٣٦) ، و« تفسير البغوي » (٢٠٦/١) ، و« الدر المنثور » للسيوطي (٦٠٥/١) .

﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ أي: وزر. قرأ حمزة والكسائي: (إِثْمٌ كَثِيرٌ) بالثاء المثناة، والباقون: بالباء^(١)، فتركها قوم لقوله: ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، وشربها قوم لقوله:

﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ بلذّة الشرب والفرح، وإصابة المال من غير كد ولا تعب.

ثم دعا عبد الرحمن بن عوف جماعةً، فَسَكِرُوا، فَأَمَّهْمَ بعضهم في المغرب، فقرأ: قل يا أيها الكافرون. أعبُد ما تعبدون، بحذف (لا) فنزل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ [النساء: ٤٣]، فتركوها في حال السكر.

ثم دعا عتبان بن مالك جماعةً، فشربوا الخمر، فَأَنشَدَ سعدُ بن أبي وقاصٍ قصيدةً فيها هجاءُ الأنصار، فضربَ بعضُ الأنصار رأسَ سعدٍ بِلَحْيِهِ جمل، فشجّه مُوضِحَةً، فشكا إلى النبي ﷺ، فقال عمر: اللهم بين لنا في الخمر بيانَ شفاء، فنزل: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ في المائدة إلى ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ [المائدة: ٩١]، فقال عمر: انتهينا، فَحَرِّمَتِ الخمرُ، وأُريقت^(٢).

والخمر ما غلَى واشتدَّ وقذِفَ بِالزَّبْدِ من غير طبخِ النار، من عصير

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٦٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٣٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٢)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٩١-٢٩٢)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٦١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢١٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٦٨/١).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٢٠٦-٢٠٧).

العنب والرُّطَب، ونقيع الزَّبِيبِ والتمر، وغيرها، يُحَدُّ شاربُهُ، وَيُفَسَّقُ، وَيَكْفُرُ مُسْتَحِلُّهَا باتِّفَاقِ الأئمة الثلاثة، وقال أبو حنيفة: إنما يكفرُ باستِحلال ما اتخذ من عصيرِ العنب فقط، ولا يُحَدُّ عنده بشربِ غيره حتى يسكرَ. وقد رُ الحَدُّ للحرِّ أربعون جلدَةً عندَ الشافعيِّ، وثمانون عندَ الثلاثة، ويتنصَّفُ^(١) بالرقِّ باتِّفَاقِهِمْ.

والميسرُ: قال ابنُ عباسٍ: كان الرجلُ في الجاهلية يَخاطِرُ الرجلَ على أهله وماله، فأَيُّهُما قمرَ صاحبه، ذهبَ بأهله وماله، فأنزل اللهُ الآيةَ^(٢). وكان أصلُ الميسر أن أهلَ الثروة من العرب يشترونَ جَزُوراً، وَيُجَزِّئونها عشرةَ أجزاء، ثم يقتسمون^(٣) عليها بعشرةِ قِداحٍ يقالُ لها: الأزلَامُ لسبعةٍ منها أنصباء، وثلاثةٌ لا أنصباءَ لها، فمن خرجَ سهمُهُ من السبعة، أخذَ نصيبَهُ، ومن خرجَ سهمُهُ من الثلاثة، لا يأخذ شيئاً، ويغرُمُ ثمنَ الجزورِ كُلَّهُ، ثم يدفعون ذلكَ الجزورَ إلى الفقراء، ولا يأكلون منه شيئاً، وكانوا يفتخرون بذلك، ويدثُّون مَنْ لم يفعلهُ.

﴿وَأْتُمَّهُمَا﴾ بعدَ التحريم.

﴿أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ قبلهُ.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ أي: في الصدقة، وذلك أن رسولَ اللهِ ﷺ حَثَّهُمْ على الصدقة، فقالوا: ماذا ننفقُ؟

﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾ هو ما فضلَ عن الحاجة. قرأ أبو عمرو: (العَفْوُ) بالرفع،

(١) في «ت»: «ويتنصف».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/٣٥٨).

(٣) في «ن»: «يقتسمون».

معناه: الذي تنفقون هو العفو. وقرأ الباقون: بالنصب؛ أي: قل أنفقوا العفو^(١)، ثم نسخ بآية الزكاة، ثم خاطب النبي ﷺ والمراد: الأمة، فقال: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَاطَبُوا عَنْهَا فَأَعُوذُ بِاللَّهِ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

[٢٢٠] ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ المعنى: هكذا يبين الله لكم الآيات في أمر الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون في أمرهما، فتسعون فيما هو صلاح حكم فيهما، ولا وقف على (تفكرون) لئلا يفصل بين العامل ومعموله.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي﴾ لما نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ [النساء: ١٠]، فتركوهم، واجتنبوا مؤاكلتهم، فاشتد ذلك عليهم، فسألوا رسول الله ﷺ، فنزل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾ أي: الإصلاح لأموالهم من غير أجر، ولا أخذ عوض خيراً وأعظم أجراً.

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٦٠)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٢)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٩٢-٢٩٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢١٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ١٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٦٩).

﴿وَإِنْ تَخَاطَبُوهُمْ﴾ أي: تَخَلَطُوا أموالكم إلى أموالهم، وتشاركوهم فيها.

﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ أي: فهم إخوانكم في الدين؛ لأن الأخ يصيب من مال أخيه، ويعين بعضهم بعضاً.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ﴾ لأموالهم.

﴿مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ لها.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ إعانتكم.

﴿لَأَعْنَتَكُمْ﴾ أي: لضيّق عليكم، والعنت: المشقة. قرأ البزّي (لأعنتكم) بتسهيل الهمزة، بخلاف عنه، والباقون: بتحقيقها^(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ أمرٌ بعزة، سهل على العباد أو صعب.

﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعِهِ.

﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى تُؤْمِنَ وَلَا أُمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا أُعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَا أُعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [٢٢١].

[٢٢١] ﴿وَلَا تَنكِحُوا﴾ أي: لا تنزوّجوا.

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦١)، و«الكشاف» للزمخشري (١/١٣٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلماتي (ص: ١٥٧).

﴿الْمُشْرِكَةِ حَتَّى يُؤْمِنَ﴾ والمراد: الوثنيات: بدليل قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥]، وقوله ﷺ: «نتزوج نساء أهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا»^(١)، فلا يجوز لمسلم نكاح الوثنيات، ولا المجوسيات، ولا غيرهن من أنواع المشركات اللاتي لا كتاب لهن بالاتفاق، وسبب نزولها: أن أبا مرثد سأل النبي ﷺ عن تزويج عناق، وكانت مشركة، فنزلت^(٢):

﴿وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ بجمالها ومالها. نزلت في خنساء: وليدة سوداء كانت لحذيفة بن اليمان، قال حذيفة: يا خنساء! قد ذكرت في الملاء على سوادك ودهامتك، فأعتقها وتزوجها^(٣)، والمراد: كل امرأة مؤمنة، حرة كانت أو أمة.

﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: لا تزوجوهم.

﴿حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ فلا يجوز تزويج مسلمة بكافر إجماعاً.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٧٨/٢)، وقال: هذا الخبر وإن كان في إسناده ما فيه، فالقول به لإجماع الجميع على صحة القول به.

(٢) رواه أبو داود (٢٠٥١)، كتاب: النكاح، باب: في قوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ والنسائي (٣٢٢٨)، كتاب: النكاح، باب: تزويج الزانية، والترمذي (٣١٧٧)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة النور، وقال: حسن غريب، وغيرهم عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال ابن حجر في «تخريج أحاديث الكشاف» (١٣٦/١): فظهر أن هذا الحديث ليس في هذه الآية التي في البقرة، وإنما هو في الآية التي في النور، لكن ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٧) في هذه الآية التي في البقرة عن ابن عباس - رضي الله عنهما -.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٢١٣/١).

﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ لَأَنَّ الْخُلُقَ كُلَّهُم عِبِيدُ اللَّهِ
وإماؤه، و(لو) هنا بمعنى (إن).

﴿أُولَئِكَ﴾ يعني: المشركين.

﴿يَدْعُونَ إِلَى﴾ أعمالِ أهل.

﴿النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا﴾ على لسانِ رسوله^(١).

﴿إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ﴾ أي: إلى أعمالِها.

﴿بِإِذْنِهِ﴾ بإرادته.

﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ﴾ أوامره ونواهيّه.

﴿لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يَتَعَذُّونَ.

وكانت اليهود إذا حاضت منهم المرأة، لم يؤاكلوها، ولم يشاربوها،
ولم يجالسوها، فسئِلَ رسولُ الله ﷺ عن ذلك، فأَنزل الله تعالى:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ
وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [٢٢٢].

[٢٢٢] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾^(٢) هو مصدرُ حاضت تحيضُ حيضاً

(١) في «ت»: «رسوله».

(٢) رواه مسلم (٣٠٢)، كتاب: الحيض، باب: الاضطجاع مع الحائض في لحاف
واحد، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه -.

وَمَحِيضاً، وأصله: الانفجارُ والسيلانُ. والمعنى: يسألونك عن الوطء في زَمَنِ المحيضِ.

﴿قُلْ هُوَ أَذَى﴾ أي: مستقذرٌ يؤذي مَنْ يقرُّبه مُجامِعاً.

﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ فاتركوا مجامعتَهُنَّ أَيَّامَ حِيضِهِنَّ.

﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ﴾ مجامِعِينَ، فيحرم وَطْءُ الحائضِ، ويعصي فاعله بالاتفاق، أما الملامسةُ والمضاجعةُ معها، فجائزٌ بالاتفاق. واختلف الأئمةُ في وجوبِ الكفارةِ على مَنْ وَطِئَ الحائضَ، فذهب أكثرُهم أنه لا كفارةُ عليه، منهم: مالكٌ، والشافعيُّ، وأبو حنيفةٌ، قالوا: يستغفرُ اللهَ ويتوبُ إليه، ويُستحبُّ عندَ الشافعيِّ أن يتصدَّقَ بدينارٍ إن جامعَ في إقبالِ الدمِ، أو بنصفِ دينارٍ إن جامعَ في إدباره، وذهب قومٌ إلى وجوبِ الكفارةِ عليه، منهم: الإمامُ أحمدٌ - رضي الله عنه -، فيجب عندهُ على مَنْ جامعَ - ولو بحائِلٍ - قبلَ انقطاعِ الحيضِ في الفرجِ دينارٌ أو نصفُه على التَّخْيِيرِ، ويجزىءُ إلى مسكينٍ واحدٍ؛ كندَرٍ مطلقٍ، وتسقطُ بالعجز، وكذا هي إن طأوعتهُ - ولو كانَ ناسياً أو مُكرهاً أو جاهِلَ الحيضِ أو التحريمِ، أوهما -، واللهُ أعلم.

﴿حَتَّى يَظْهَرَ﴾ أي: ينقطعَ الدَّمُ. وقرأ حمزةٌ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ، وخلفٌ: (يَظْهَرُنَّ) بفتح الطاء والهاء وتشديدهما، يعني: يغتسلُنَّ^(١).

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٢)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٦)، و«الغيث» للصفارسي (ص: ١٦١)، و«تفسير البغوي» (٢١٦/١)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في =

﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ أي: اغتسلن.

﴿فَأَتُوهُنَّ﴾ أي: جامعوهن.

﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ والمراد: الفرج.

قال ابن عباس: طَوُّوهُنَّ في الفَرْجِ، ولا تَعْدُوهُ إلى غيره^(١)؛ أي: اتَّقُوا الأدبار.

ولا يجوز وطء الحائض حتى ينقطع دمها وتغتسل عند الشافعي ومالك وأحمد، وعند أبي حنيفة يجوز وطؤها إذا انقطع دمها نهاية حيضها، وإن لم تغتسل.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ من الذنوب، ولا يعودون إليها.

﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ من الشرك، وبالماء من الأحداث والنجاسات.

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٢٢٣] ﴿نِسَاؤُكُمْ﴾ مبتدأ، خبره:

﴿حَرْثٌ لَكُمْ﴾ أي: مَزْرَعٌ وَمَنْبَتٌ للولد بمنزلة الأرض للنبات؛ تشبيهاً لما يلقي في أرحامهن من النطف بالبذر.
﴿فَأَتُوا حَرْثَكُمْ﴾ نساءكم.

= القراءات العشر لابن الجزري (٢/٢٢٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٧١).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/٣٨٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١/٣٠٩).

﴿ أَتَى شَيْئٌ ﴾ مُقْبَلَاتٍ وَمُذْبِرَاتٍ . المعنى : جَامِعُوهُنَّ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ شِئْتُمْ فِي الْمَأْتَى ، وكانت اليهودُ تقولُ في الذي يَأْتِي امرأته^(١) من دُبْرِهَا فِي قُبْلِهَا : إِنْ الْوَلَدَ يَكُونُ أَحْوَلَ ، فنزلت : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَتَى شَيْئٌ ﴾ وَلَا يَجُوزُ إِتْيَانُ الْمَرْأَةِ فِي دُبْرِهَا بِالْإِتْفَاقِ ، وَعَنْ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : إِنَّهُ نُقِلَ عَنْكَ أَنَّكَ أَبَحَّتَهُ ، فَقَالَ : كَذَبُوا عَلَيَّ ، كَذَبُوا عَلَيَّ^(٢) .

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَلْعُونٌ مَنْ أَتَى امْرَأَةً فِي دُبْرِهَا»^(٣) .

وعن أبي هريرة أيضاً عن النبي ﷺ قَالَ : «مَنْ أَتَى حَائِضًا ، أَوْ امْرَأَةً فِي دُبْرِهَا ، أَوْ كَاهِنًا فَصَدَقَهُ بِمَا يَقُولُ ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ^(٤) رَوَاهُ كُلُّهُمْ الْأَثَرُ . قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو ، وَأَبُو جَعْفَرٍ ، وَوَرِشٌ : (شِئْتُمْ) بِغَيْرِ هَمْزٍ ، وَالْبَاقُونَ : بِالْهَمْزِ^(٥) .

﴿ وَقَدِمُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ التَّسْمِيَةُ عِنْدَ الْجَمَاعِ .

وعن رسولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ أَهْلَهُ فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا

(١) فِي «ت» : «المرأة» .

(٢) رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (٨/٤٠٥) .

(٣) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٢١٦٢) ، كِتَابُ : النِّكَاحِ ، بَابُ : فِي جَامِعِ النِّكَاحِ ، وَالنِّسَائِيُّ فِي «السَّنَنِ الْكُبْرَى» (٩٠١٥) ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٢/٤٤٤) ، وَانْظُرْ : «التَّلْخِصَ الْحَبِيرَ» لِابْنِ حَجَرٍ (٣/١٨٠) .

(٤) رَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي «السَّنَنِ الْكُبْرَى» (٩٠١٧) ، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٣٥) ، كِتَابُ : الطَّهَارَةِ ، بَابُ : مَا جَاءَ فِي كِرَاهِيَةِ إِتْيَانِ الْحَائِضِ ، وَابْنُ مَاجَهٍ (٦٣٩) ، كِتَابُ : الطَّهَارَةِ ، بَابُ : النَّهْيُ عَنْ إِتْيَانِ الْحَائِضِ ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٢/٤٠٨) .

(٥) انْظُرْ : «الْغَيْثُ» لِلصَّفَاقْسِيِّ (ص : ١٦٢) ، وَ«مَعْجَمُ الْقِرَاءَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ» (١/١٧٢) ، حَيْثُ ذَكَرَ الْقِرَاءَةَ عَنْ أَبِي عَمْرٍو فَقَطْ .

الشَّيْطَانُ، وَجَنَّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا؛ فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ، لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ»^(١).

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ على كلِّ حالٍ .

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوَةٌ﴾ صائرونَ إليه ، فاستعِدُّوا له .

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يا محمدُ .

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢٢٤) .

[٢٢٤] ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ جمعُ يمينٍ . نزلت فيمن حلفَ ألاَّ يفعلَ شيئاً، وكانَ حثُّهُ أولى، والعُرْضَةُ أصلُها: الشدَّةُ والقوَّةُ. معنى الآية: لا تجعلوا الحلفَ باللهِ سبباً مانعاً لكم من البرِّ والتقوى، يُدعى أحدكم إلى صلةٍ رحمٍ أو برٍّ فيقول: حلفتُ باللهِ ألاَّ أفعله، فيعتلُّ بيمينه في تركِ البرِّ.

﴿أَنْ تَبَرُّوا﴾ أي: ألاَّ تبرؤا؛ كقوله: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦]؛ أي: لئلاَّ تضلوا.

﴿وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا﴾ أي: لا تجعلوا الحلفَ باللهِ شيئاً مانعاً لكم من البرِّ والتقوى والإصلاح ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾ .

قال ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا،

(١) رواه البخاري (١٤١)، كتاب: الوضوء، باب: التسمية على كل حال وعند الوقاع، ومسلم (١٤٣٤)، كتاب: النكاح، باب: ما يستحب أن يقوله عند الجماع، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - .

فَلْيَكْفُرْ عَنْ يَمِينِهِ، وَلْيَفْعَلِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ»^(١).
﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ بَنِيَاتِكُمْ.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾^(٢).

[٢٢٥] ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ﴾ أي: لا^(٢) يعاقبكم.

﴿اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ اللغو: كلُّ مطروح من الكلام لا يُعتدُّ به، وأصله: الباطل، واللغو في اليمين: ما سبق إليه اللسان من غير قصد اليمين؛ نحو: لا والله، وبلى والله عند الشافعي وأحمد، وعند أبي حنيفة ومالك هو أن يحلف على شيء يرى أنه صادق، ثم يظهر خلاف ذلك، ولا كفارة فيه ولا إثم بالاتفاق، وقوله:

﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ حالٌ من اللغو؛ أي: باللغو كائناً في أيمانكم.

﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ﴾ أي: يعاقبكم.

﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ أي: نَوَتْ.

﴿قُلُوبُكُمْ﴾ وفهتُم به. قرأ ورش، وأبو جعفر: (يُؤَاخِذُكُمْ) بفتح الواو بغير همز^(٣).

(١) رواه مسلم (١٦٥٠)، كتاب: الأيمان، باب: ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير، ويكفر عن يمينه، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(٢) «لا» ساقطة من «ن».

(٣) انظر: «الغيث» للصفارسي (ص: ١٦٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي =

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ لَا يَعْجَلُ بِالمُؤَاخَذَةِ.

وتنعتقد اليمين بالله وبأسمائه وصفاته بالاتفاق، وعند الثلاثة تنعقد إذا حلف بكلام الله، أو بالمصحف، أو بالقرآن، خلافاً لأبي حنيفة، وتنعقد عند الإمام أحمد بالنبي ﷺ خاصة؛ خلافاً للثلاثة، فإذا حلف على أمر مستقبل، فحِثَّ، فعليه كفارة بالاتفاق، وإن حلف على أمر ماضٍ أنه كان، ولم يكن، أو بالعكس، عالماً كان أو جاهلاً، فحِثَّ، فهي^(١) اليمين الغموس؛ لغمسه في الإثم، فتجب الكفارة عند الشافعي، ولا تجب عند الثلاثة؛ لأنه إن كان عالماً، فهي كبيرة، ولا كفارة في الكبائر، وإن كان جاهلاً، فهي يمين اللغو.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ حَلَفَ بِيَمِينٍ كَاذِبَةٍ، نَازَعَ اللَّهُ فِيهَا حَوْلَهُ وَقُوَّتَهُ، عَجَلَ اللَّهُ لَهُ الْعُقُوبَةَ قَبْلَ ثَلَاثِ»، وصفة اليمين أن يقول: تَقَلَّدْتُ الْحَوْلَ وَالْقُوَّةَ دُونَ حَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ، إِلَى حَوْلِي وَقُوَّتِي إِنْ لَمْ يَكُنْ مَا قُلْتُهُ حَقًّا. ونقل أن بعض الناس حلف بهذه اليمين، وكان كاذباً، فهلك في يومه، ذكر ذلك في «شرح المقامات» للشريشي^(٢) بأبسط من هذا.

= (ص: ١٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٧٢).

(١) في «ن»: «فهو».

(٢) هو أحمد بن عبد المؤمن بن موسى أبو العباس الشريشي الأندلسي المالكي النحوي، المتوفى سنة (٦١٩هـ)، له ثلاثة شروح على «مقامات الحريري» أصغر وأكبر وأوسط. انظر: «هدية العارفين» للبغدادي (١/٤٧).

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [٢٢٦].

[٢٢٦] ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ﴾ يُقْسِمُونَ.

﴿مِن نِّسَائِهِمْ﴾ المعنى : يَبْعُدُونَ من نساءهم مؤلّين.

﴿تَرَبُّصُ﴾ أي : انتظار.

﴿أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ تلخيصه : استقرّ للمؤلّين ترَبُّصُ أربعة أشهر. والإيلاء من المرأة عند مالك والشافعي وأحمد: أن يحلف ألا يقربها أكثر من أربعة أشهر، فإذا مضت، وقف، فإذا أن يجامع، أو يطلق، فإن امتنع، طلق عليه القاضي، وإن عجز عن الجماع، فاء بلسانه، فيقول: إذا قَدَرْتُ جَامَعْتُ، وعند^(١) أبي حنيفة: هو أن يحلف ألا يقربها أربعة أشهر فصاعداً، أو ألا يقربها مطلقاً، وعليه كفارة إن وطئها قبل المدة، فإن انقضت الأربعة أشهر^(٢)، وقعت تطليقةً بائنة عند أبي حنيفة.

ومدة الإيلاء في الحرّ والعبد سواء عند الشافعي وأحمد، وعند أبي حنيفة ومالك يتنصّف^(٣) بالرقّ، فأبو حنيفة يعتبر رِقّ المرأة، ومالك يعتبر رِقّ الزوج؛ كما قال في الطلاق، ويأتي ذكره قريباً.

﴿فَإِنْ فَاءُوا﴾ رَجَعُوا عن اليمين.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين.

﴿رَّحِيمٌ﴾ لهم.

(١) في «ت»: «وعن».

(٢) «أشهر» زيادة من «ن».

(٣) في «ن»: «تنصّف».

﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٢٧﴾ .

[٢٢٧] ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ أي: أوقعوه، وأصل العزم والعزيمة: عقد القلب على إمضاء شيء يريد فعله، والطلاق: هو حل قيد النكاح أو بعضه بوقوع ما يملكه من عدد الطلقات، أو بعضها، وأصله من الإطلاق.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقولهم.

﴿عَلِيمٌ﴾ بنياتهم.

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٢٢٨﴾ .

[٢٢٨] ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ﴾ أي: المخلّيات من حبال أزواجهن بعد الدخول بهن.

﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ ينتظرن، وهذا خبرٌ معناه: أمر؛ أي: لِيَتَرَبَّصْنَ.

﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ فلا يَتَزَوَّجْنَ.

﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ جمع قرء - بفتح القاف، وقد يضم -، ومعناه في اللغة: الوقت المعتاد تردده، وهو الحيض عند أبي حنيفة وأحمد، والطهر عند مالك والشافعي، وفائدة الخلاف أن المعتدة إذا شرعت في الحيضة الثالثة، انقضت عدتها عند من يجعله الطهر، ويحسب بقية الطهر الذي وقع فيه الطلاق قرءاً، وعند من يجعله الحيض لا تنقضي عدتها حتى تطهر من

الحِيضَةُ الثَّالِثَةُ، وَزَادَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَتَّى تَغْتَسِلَ، أَوْ يَمْضِيَ وَقْتُ صَلَاةٍ.

﴿وَلَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ يَكْتُمَنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَزْوَاجِهِنَّ﴾ من الحيض والحبل، وهو أن يريد الرجل مراجعتها، فتقول: قد حضت الثالثة، أو تنكر الحبل ليبطل حق الزوج من الرجعة والولد، وربما أسقطت الولد خوفاً ألا تعود.

﴿إِنْ كُنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ لأن المؤمن يخاف هذا الفعل.

﴿وَيُعَوِّلُهُنَّ﴾ جمع بعول، وهو الزوج، سُمِّيَ بذلك لقيامه بأمر الزوجة، وأصل البعل: السيد والمالك، والبعل النكاح.

﴿أَحَقُّ بِرَيْعِهِنَّ﴾ أولى برجعتهن.

﴿فِي ذَلِكَ﴾ في العدة.

﴿إِنْ أَرَادُوا﴾ أي: الزوج والزوجة والولي بالرجعة.

﴿إِصْلَاحًا﴾ بينهما وحسن عشرة.

﴿وَلَهُنَّ﴾ على الرجال.

﴿مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾ للرجال من الحقوق.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بما عُرِفَ شَرْعاً. قَالَ ﷺ: «إِنَّ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ»^(١).

﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ بالمهر وإنفاق المال. قرأ يعقوب: (عليهن) بضم الهاء حيث وقع^(٢).

(١) رواه الترمذي (١١٦٢)، كتاب: الرضاع، باب: ما جاء في حق المرأة على زوجها، وقال: حسن صحيح، وابن حبان في «صحيحه» (٤١٧٦)، وغيرهما عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(٢) انظر: (ص: ٢٣) من هذا الجزء.

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ قال ﷺ: «لَوْ أَمَرْتُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ، لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»^(١).

﴿الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢٢٩).

[٢٢٩] ﴿الطَّلُقُ﴾ تقديره: عَدَدُ الطَّلَاقِ الذي يملك الزوج بعده الرَّجْعَةَ.

﴿مَرَّتَانٍ﴾ كَانَ النَّاسُ فِي الْإِبْتِدَاءِ يُطَلِّقُونَ مِنْ غَيْرِ حَضَرٍ وَلَا عَدَدٍ، وَكَانَ الرَّجُلُ يُطَلِّقُ امْرَأَتَهُ، فَإِذَا قَارَبَتْ انْقِضَاءَ عِدَّتِهَا، رَاجَعَهَا، ثُمَّ طَلَّقَهَا كَذَلِكَ، ثُمَّ رَاجَعَهَا، يَقْصِدُ بِذَلِكَ مُضَارَّتَهَا، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ، وَقَوْلُهُ مَرَّتَانٍ؛ أَيُّ: مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَلَمْ يُرِدِ الْجَمْعَ بَيْنَهُمَا، فَإِنْ رَاجَعَهَا بَعْدَ الثَّانِيَةِ.

﴿فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ﴾ شرعاً؛ أَيُّ: يُمَسِّكُهَا بِمَا عُرِفَ مِنَ الْحَقُوقِ، وَلَا يَرَاغِبُهَا بِقَصْدِ تَطْوِيلِ الْعِدَّةِ مُضَارَّةً لَهَا.

﴿أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَنٍ﴾ أَصْلُ التَّسْرِيحِ: الْإِرْسَالُ؛ كَالطَّلَاقِ مِنَ الْإِطْلَاقِ. الْمَعْنَى: يَتْرُكُهَا، وَلَا يَقْصِدُهَا بِسُوءٍ.

(١) رواه الترمذي (١١٥٩)، كتاب: الرضاع، باب: ما جاء في حق الزوج على المرأة، وقال: حسن غريب، وفي الباب: عن عائشة، وابن عباس، وابن أبي أوفى، وأنس، وابن عمر، ومعاذ، وغيرهم - رضي الله عنهم -.

وصريح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية عند مالك والشافعي ثلاثة: الطلاق، والفراق، والسراح، وعند أبي حنيفة وأحمد هو لفظ الطلاق.

واختلف الأئمة فيما إذا كان أحد الزوجين رقيقاً، فقال مالك والشافعي وأحمد: يعتبر عدد الطلاق بالزوج، فيملك الحر على زوجته الأمة ثلاث طلاقات، والعبد لا يملك على زوجته الحرّة إلا طلقتين، وقال أبو حنيفة: الاعتبار بالمرأة، فيملك العبد على زوجته الحرّة ثلاث طلاقات، ولا يملك الحر على زوجته الأمة إلا طلقتين.

﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ أيها الأزواج.

﴿أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهور.

﴿شَيْئًا﴾ ثم استثنى الخلع، فقال:

﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ تقديره: إلا أن يخافا ترك حدود الله المعروفة شرعاً من حُسن الصحبة. قرأ أبو جعفر، وحمزة، ويعقوب: (يُخَافَا) بضم الياء؛ أي: يُعْلَمَ ذلك منهما؛ يعني: يعلم المسلمون والقاضي ذلك من الزوجين؛ بدليل قوله:

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ فجعل الخوف لغير الزوجين، ولم يقل: فإن خافا. وقرأ الباقر: بفتح الياء^(١)؛ أي: يعلم الزوجان من أنفسهما.

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٦٥)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٧)، و«الكشف» لمكي (١/٢٩٤-٢٩٥)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٦٤)، و«تفسير البغوي» (١/٢٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في =

﴿أَلَا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ نزلت في جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول وزوجها ثابت بن قيس بن شماس، وكان يحبها، وهي تُبغضه، وكان قد أعطاها حديقة، فافتدت بها نفسها منه، وهو أول خُلْع في الإسلام^(١).

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ أي: على الزوج فيما أخذ، ولا على الزوجة.

﴿فِيمَا أَفْذَتْ بِهِ﴾ نفسها من المال؛ لأنها ممنوعة من إتلاف المال بغير حق، وهذه الآية دليل جواز الخُلْع بسؤال الزوجة على مالٍ تفتدي به نفسها.

واختلف الأئمة في الخلع، فقال الثلاثة: هو تطليقة بائنة، وقال أحمد: هو فسخ عِصْمَةٍ إذا وقع بلفظ خُلْع، أو فسخ، أو مفاداة لا يُنقص عدد الطلاق، وهو قول ابن عباس، وعبد الله بن عمر، واحتج ابن عباس بقوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾ ثم قال: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا أَفْذَتْ بِهِ﴾ ثم قال: ﴿إِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ فذكر تطليقتين والخلع وتطليقة بعدها، ولم يك للخلع حكم يُعتدُّ به، فلو كان الخلع طلاقاً، لكان الطلاق أربعاً، ولأنها فُرْقَةٌ خَلَّتْ عن صريح الطلاق ونيتِه، فكانت فسخاً كسائر الفسوخ، ومن قال: هو طلقة، جعل الطلقة الثالثة: ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ﴾.

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي: هذه أوامره ونواهيه.

= القراءات العشر لابن الجزري (٢/٢٢٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديماطي (ص: ١٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٧٤).

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢/٤٦٢)، و«تفسير البغوي» (١/٢٢٨)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/٦٧٠).

﴿فَلَا تَعْتَدُوَهَا﴾ لَا تَتَجَاوَزُوهَا.

﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾ يَتَجَاوَزُهَا.

﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ٢٣٠.

[٢٣٠] ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ الطَّلَاقُ الثَّالِثَةُ.

﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ﴾ أَي: بَعْدَ الطَّلَاقِ الثَّالِثَةِ.

﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ غَيْرَ مَطْلُوقِهَا، فَيَجَامِعُهَا. وَالنِّكَاحُ شَرْعًا: يَتَنَاوَلُ الْعَقْدَ وَالْوَطْءَ جَمِيعًا، فَهُوَ حَقِيقَةٌ فِيهِمَا عِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ هُوَ حَقِيقَةٌ فِي الْوَطْءِ، مَجَازٌ فِي الْعَقْدِ، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ بِالْعَكْسِ، وَهُوَ فِي اللَّغَةِ الضَّمُّ وَالْجَمْعُ، فَعَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حَقِيقَةٌ فِي الْعَقْدِ، فَهُوَ ضَمٌّ وَجَمْعٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْإِيجَابِ وَالْقَبُولِ؛ فَإِنَّ الْقَبُولَ يُضَمُّ وَيُجْمَعُ إِلَى الْإِيجَابِ، وَعَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حَقِيقَةٌ فِي الْوَطْءِ، فَهُوَ ضَمٌّ وَجَمْعٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى جَمْعِ أَحَدِ الْفَرَجَيْنِ إِلَى الْآخَرِ وَضَمُّهُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ الزَّوْجَيْنِ حَالَةَ الْوَطْءِ يَجْتَمِعَانِ، وَيَنْضَمُّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا^(١) إِلَى صَاحِبِهِ حَتَّى يَصِيرَا كَالشَّخْصِ الْوَاحِدِ، وَالْحَقِيقَةُ: اللَّفْظُ الْمُسْتَعْمَلُ فِيمَا وُضِعَ لَهُ، وَالْمَجَازُ: اللَّفْظُ

(١) «منهما» زيادة من «ن».

المستعمل في غير ما وُضع له على وجهٍ يصحُّ، والحقيقة لا تستلزم
المجاز، والمجاز يستلزمها بالاتفاق.

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: جاءت امرأة رفاعَةَ إلى
رسولِ الله ﷺ، فقالت: كنتُ عندَ رفاعَةَ، فطلَّقني فَبَتَّ طلاقِي، فتزوَّجْتُ
بعده عبدَ الرحمنِ بنَ الزَّبيرِ، وإنما معه مثلُ هُدْبَةِ الثوبِ، فتبسَّم
رسولُ الله ﷺ، وقال: «تُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى رِفاعَةَ؟ لا، حَتَّى تَذُوقِي
عُسَيْلَتَهُ، وَيَذُوقَ عُسَيْلَتِكَ»^(١).

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ أي: الزوج الثاني.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ أي: على الزوج الأول والزوجة بعد انقضاء العِدَّةِ.

﴿أَنْ يَرْجَعَا﴾ أي: يرجع كلُّ واحدٍ منهما إلى صاحبه بنكاحٍ جديدٍ.

﴿إِنْ ظَنَّا﴾ أي: رجوا.

﴿أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ الواجبة في حقِّ الزوجية، وقال مجاهد: إن علما
أن نكاحهما على غير دلسة، وهي التحليل.

واختلف الأئمة في الرجل إذا تزوج امرأة طَلَّقَتْ ثلاثاً لِيُحِلَّهَا للزوج
الأول، فقال مالكٌ وأحمد: النكاحُ باطلٌ، ولا تحلُّ للأول، وقال
أبو حنيفةً والشافعي: النكاحُ صحيحٌ، ويحصلُ به التحليلُ إذا لم يُشترطْ في
النكاح مع الثاني أن يفارقها، غير أنه يُكره إذا كان في عزمِهما ذلك.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ما أمرهم به.

(١) رواه البخاري (٥٠١١)، كتاب: الطلاق، باب: إذا طلقها ثلاثاً ثم تزوجت بعد
العدة زوجاً غيره فلم يمسه، ومسلم (١٤٣٣)، كتاب: النكاح، باب: لا تحل
المطلقة ثلاثاً لمطلقها حتى تنكح زوجاً غيره.

﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّنَعْدُوْهُنَّ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾ .

[٢٣١] ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي: قَرُبْنَ من انقضاء العدة. نزلت في ثابت بن يسار الأنصاري، طلق امرأته، فلَمَّا دَنَتْ عِدَّتُهَا، راجعها، ثم طلقها مضارة^(١).

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ راجعوهنَّ.

﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير طلبٍ ضِرارٍ بالمراجعة.

﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ﴾ أي: اتركوهنَّ.

﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ حتى تنقضي عدتهنَّ، فيَكُنَّ أَمْلَكَ بِأَنْفُسِهِنَّ.

﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ أي: لا تقصِدوا بالرجعة المضارة.

﴿لِنَعْدُوْهُنَّ﴾ لتظلموهنَّ بتطويل الحبس.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ قرأ: الليث عن الكسائي (يفعل ذلك) بإدغام الدال في اللام حيث وقع.

﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ بتعريضه إلى عذاب الله. قرأ أبو عمرو، وورش، وحمزة، والكسائي، وخلف: (فَقَدْ ظَلَمَ) حيث وقع بإدغام الدال في الظاء، والباقون بالإظهار^(٢).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/٤٩٣).

(٢) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ١٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٧٦).

﴿وَلَا تَنَخِّدُوا أَيَّتَ اللَّهِ هُزُوا﴾ بَأَن يَطْلُقَ وَيَقُولَ: كُنْتُ لَاعِبًا، وَيَعْتَقَ وَيَنْكَحَ وَيَقُولَ: كُنْتُ لَاعِبًا، قَالَ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ، وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ: الطَّلَاقُ وَالنِّكَاحُ وَالْعِتَاقُ»^(١).

﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بِالْإِيمَانِ (نِعْمَت) رُسِمَتْ بِالتَّاءِ فِي أَحَدِ عَشَرَ مَوْضِعًا، وَقَفَ عَلَيْهَا بِالْهَاءِ ابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَالْكَسَائِيُّ، وَيَعْقُوبُ.

﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ أَي: الْقُرْآنِ.

﴿وَالْحِكْمَةِ﴾ يَعْنِي: السُّنَّةَ.

﴿يُعْظَمُ بِهِ﴾ بِالنَّازِلِ عَلَيْكُمْ.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ تَأْكِيدٌ وَتَهْدِيدٌ.

ثُمَّ خَاطَبَ الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلِيَاءَ فَقَالَ:

﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيَنْ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضَوْا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢٣٢).

[٢٣٢] ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيَنْ أَجْلَهُنَّ﴾ أَي: انْقَضَتْ عِدَّتُهُنَّ. نَزَلَتْ فِي

جَمِيلَةَ بِنْتِ يَسَارٍ أُخْتِ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارِ الْمَزْنِيِّ، كَانَتْ تَحْتَ أَبِي الْبَرَّاحِ

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٢١٩٤)، كِتَابُ: الطَّلَاقِ، بَابُ: فِي الطَّلَاقِ عَلَى الْهَزْلِ، وَالتَّرْمِذِيُّ (١١٨٤)، كِتَابُ: الطَّلَاقِ وَاللَّعَانِ، بَابُ: مَا جَاءَ فِي الْجِدِّ وَالْهَزْلِ فِي الطَّلَاقِ، وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ، وَابْنُ مَاجَهَ (٢٠٣٩)، كِتَابُ: الطَّلَاقِ، بَابُ: مَنْ طَلَّقَ أَوْ نَكَحَ أَوْ رَاجَعَ لَاعِبًا، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -.

عاصم بن عديّ بن عجلان، فطلّقها، فلما انقضت عدّتها، جاء يخطبها، فقال له أخوها: رَوِّجْتُكَ وَفَرَشْتُكَ وَأَكْرَمْتُكَ، فطلّقْتَها، ثم جئت تخطبها! لا والله لا تعودُ إليك أبداً، وكان رجلاً لا بأسَ به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل الله تعالى:

﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ ^(١) أصلُ العَضْلِ: المنعُ والشدّةُ. المعنى: لا تمنعوهن من ﴿أَنْ يَكُونَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ الذين يرغبنَ فيهم، ويصلحون لهنَّ.

﴿إِذَا تَرَضَوْا﴾ أي: الخطابُ والنساء.

﴿بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ بعقدٍ حلالٍ ومهرٍ جائز.

﴿ذَلِكَ﴾ أي: النهي.

﴿يُعْظِدهُ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أيها الجمع.

﴿أَرْزَى﴾ أي: خير.

﴿لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ لقلوبكم من الرّيبة.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما في قلبِ أحدهما من حبِّ الآخر.

﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك، فلما نزلت الآية، قال أخوها: الآن أفعلُ

يا رسول الله.

(١) رواه البخاري (٤٢٥٥)، كتاب: التفسير، باب: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ فِيهِنَّ بَيِّنَةٌ﴾.

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا ءَاتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَالْتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [٢٣٣]

[٢٣٣] ﴿ وَالْوَالِدَاتُ ﴾ أي: المطلقات اللاتي لهنَّ أولاد من أزواجهن.

﴿ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ ﴾ خبرٌ، ومعناه: أُمُرُ استحبابٍ.

واختلف الأئمة هل تجبر الأمُّ على إرضاع ولدها؟ فقال أبو حنيفة وأحمد: لا تجبر، إلا أن يضطرَّ إليها، ويُخشى عليه.

وقال مالك: تجبر إن كانت تحت الأب، أو رجعية، إلا أن تكون عليّة القدر، فلا تجبر إلا ألا يقبل ثدي غيرها، أو يكون الأب معسراً، أو ميتاً، وليس للولد مالٌ.

وقال الشافعي: يجب عليها إرضاعه اللبأ، ثم بعده إن لم يوجد إلا هي، أو أجنبية، وجب إرضاعه، فإن وُجدتا، لم تجبر الأمُّ.

واختلفوا فيما إذا طلبت الأمُّ أجره مثلها في إرضاع ولدها، فقال أبو حنيفة: لها ذلك بشرط ألا تكون في عصمة الأب، ولا عدته، فإن وجد متبرعة، أو من ترضع بدون أجره المثل، كان للأب أن يسترضع غير الأم، بشرط أن تكون المرضعة عند الأم؛ لأن الحضنة لها.

وقال مالك: لها طلبُ أجرِ المثلِ بعدَ البيئونة، ولو في العدة، فإن وُجد من يُرضعُه بدونِ أجرِ المثل، فإن كان ذلكَ عندَ الأم، فتُخَيَّرُ بينَ إرضاعِه بذلك، أو تسليمِه للظَّئِر، وليس لها طلبُ أجرِ المثل، فإن لم يكن عندها، فليس له ذلك، ولو كانتِ المرضعةُ متبرعةً، وعليه أن يرضعَه عندَ أمِّه، ولا يخرجُه من حَضانتها؛ كقولِ أبي حنيفة.

وقال الشافعيُّ: لها أخذُ الأجرِ في العصمةِ والبيئونة، فإن وجدَ متبرعة، أو من يرضى بدونِ أجرِ المثل، فله انتزاعُ الولدِ منها.

وقال أحمد: هي أحقُّ بأجرِ مثلها، ولو وجدَ متبرعةً، سواءً كانت في حبالِ الزوجية، أو مطلقةً.

﴿حَوَّلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ يعني: أربعة وعشرين شهراً، ثم جاء بالتخفيف فقال:

﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ﴾ أي: يكمل.

﴿الرَّضَاعَةُ﴾ أي: هذا منتهى الرضاع، وليس فيما دون ذلك حَدٌّ محدود، وإنما هو على مقدار إصلاحِ الصبيِّ أو ما يعيشُ به.

﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ أي: الأب.

﴿رِزْقُهُنَّ﴾ طعامُهُن.

﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ لباسُهُن.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: قدر اليُسرة.

﴿لَا تُكَلَّفُ﴾ لا تُحْمَلُ.

﴿نَفْسٌ إِلَّا أَوْسَعَهَا﴾ أي: طاقتها.

﴿لَا تُضَارَّ وَلَدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ فينزَعُ منها بعدَ رضاها بإرضاعه. قرأ: ابن

كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (تَضَارُّ) برفع الراء نَسَقًا على قوله: ﴿لَا تُكَلِّفُ﴾، وأصله: تَضَارَرُ، فأدغمتِ الراء في الراء. قرأ نافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف، وابن عامر: بنصبِ الراء، وقالوا: لما أدغمتِ الراء في الراء، حركت إلى أخفِّ الحركات، وهو النصب، وأبو جعفر: بإسكانِ الراء^(١).

﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ يُولَدُ لَهُ﴾ بأن تلقى الولد إلى أبيه بعدما أَلْفَهَا تَضَارُّهُ بذلك.

﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾ أي: وارثِ الصبيِّ عندَ فقدِ أبيه.

﴿مِثْلُ ذَلِكَ﴾ أي: مثلُ الذي كان على أبيه في حياته.

واختلف الأئمة في وجوبِ النفقة على القريب، فعند مالكٍ والشافعي: لا نفقة للصبيِّ إلا على الوالدين فقط، وعند أبي حنيفة تجبُ إلا على مَنْ ليس بذِي رَحِمٍ محرمٍ؛ كابن العمِّ، وعند أحمد تجبُ على كلِّ وارثٍ على قدر ميراثه.

﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ الوالدانِ.

﴿فَصَالًا﴾ فطاماً للصغير قبلَ الحولين، فليكن.

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٦٨)، و«الحجة» لأبي زرة (ص: ١٣٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٧)، و«الكشف» لمكي (١/٢٩٦)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٦٦)، و«تفسير البغوي» (١/٢٣٥)، و«الكشاف» للزمخشري (١/١٤١)، و«تفسير القرطبي» (٣/١٦٧-١٦٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٧-٢٢٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ١٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٧٨-١٧٩).

﴿عَنْ تَرَاضٍ﴾ اتفاقٍ .

﴿مِنْهُمَا وَتَشَاوَرِ﴾ بأن يستخرجَ الوالدانِ رأيَ العلماءِ أَنَّ الفطامَ لا يضرُّه،
واعتبرَ اتفاقهما، لِمَا لِلأبِ مِنَ الولايةِ، وللأُمِّ مِنَ الشفقةِ .

﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ أي: لا حَرَجَ .

﴿عَلَيْهِمَا﴾ في الفطامِ قبلَ الحولينِ . قرأَ يعقوبُ: (عَلَيْهُمَا) بضمٍّ
الهاء (١) .

﴿وَأِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرَضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ أي: لأولادكم مرضعَ غيرَ أمهاتهم إذا
أبت أمهاتهم أن يُرَضِعَنَّهُمْ، أو تعذَّرَ لعلَّةٍ بهنَّ؛ كانقطاعِ لبنٍ، أو أردنَ
النكاحَ .

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾ إلى أمهاتهم .

﴿مَاءَ الْيَتِيمِ﴾ ما سَمَّيْتُمْ لَهُنَّ بقدرِ ما أرضعن . قرأَ ابنُ كثيرٍ: (مَا أَتَيْتُمْ)
بقصر الألف، ومعناه: ما فعلتم، والباقون بالمد (٢) .

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: سلمتم الأجرةَ إلى المراضعِ بطيبِ نفسٍ وسرور .

﴿وَأَقْبُوا اللَّهَ وَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَمْعَلُونَ بِصِيرٍ﴾ حَثٌّ وتهديدٌ .

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٨)، و«معجم القراءات
القرآنية» (١/ ١٧٩):

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٣)،
و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٩٦-٢٩٧)،
و«الغيث» للصفافسي (ص: ١٦٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٣٦)، و«التيسير»
للداني (ص: ٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٨)،
و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية»
(١/ ١٨٠) .

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢٣٤).

[٢٣٤] ﴿وَالَّذِينَ﴾ قائم مقام المبتدأ المحذوف؛ أي: وأزواج الذين^(١).

﴿يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾ أي: يتوفى آجالهم، والتوفي: أخذ الشيء وافياً.

﴿وَيَذَرُونَ﴾ أي: يتركون.

﴿أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ﴾ أي: يعتدّدن^(٢).

﴿بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ أي: ليال باتفاق؛ لأن التاريخ بالليلة؛ لأنها أول الشهر، واليوم تبع، فإن كانت حاملاً، فانقضت عدتها بوضع الحمل بالاتفاق.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي: انقضت عدتهن.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الأولياء.

﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ من اختيار الأزواج، والترئين.

﴿بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فيجازيكم عليه.

ويجب الإحداذ على المعتدّة من الوفاة باجتنب الطيب و^(٣) الزينة

(١) «أي وأزواج الذين» ساقطة من «ن».

(٢) في «ن»: «يعتدون».

(٣) «الطيب و» ساقطة من «ن».

والادّهان بالمطيبِ بالاتفاق، وجَوَزَ أبو حنيفةً ومالكٌ وأحمدُ الاكتحالَ
بالأسودِ للضرورة، وعند الشافعي تكتحلُ به^(١) ليلاً، وتمسّحه نهاراً
للضرورة، وأما المطلقة، فإن كان طلاقُها رجعيّاً، فلا إحدادَ عليها
بالاتفاق، وإن كان بائناً، فقال أبو حنيفة: يجبُ عليها الإحدادُ، وقال مالكٌ
وأحمد: لا يجبُ عليها، وعند الشافعي يُستحبُّ، وعنه قولٌ يجبُ.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي
أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا
قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
حَلِيمٌ﴾ (٢٣٥).

[٢٣٥] ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ أي:
المعتدات، والتعريضُ: التلويحُ بالشيء، وهو ما يلوح؛ أي: يبين منه
المرادُ من غيرِ تصريح، فالتعريضُ بالخطبةِ مباحٌ في العدةِ من الوفاةِ
والطلاقِ البائنِ بالاتفاق، نحو قوله: إني في مثلكِ لراغبٌ، ولا تفوتيني
بنفسكِ، وتجيئه: ما يُرَغَّبُ عنك، وإن قُضي شيءٌ كان، ونحوهما،
ولا يجوز التعريضُ للرجعية، ولا التصريحُ للبائن قبل انقضاء العدةِ
بالاتفاق، والخطبةُ: التماسُ النكاح، فإذا خطبَ الرجلُ امرأةً، وأُجيب،
حرّمَ على غيره أن يخطبَ على خطبته بالاتفاق، فلو خالفَ وفعل، صحَّ

(١) «به» ساقطة من «ن».

النكاح، ولزَمَ عِنْدَ الثَّلَاثَةِ، وَقَالَ مَالِكٌ: يُفْسَخُ قَبْلَ الدُّخُولِ لَا بَعْدَهُ.

﴿أَوْ أَكَنَنْتُمْ﴾ أَي: أَضْمَرْتُمْ. قَرَأَ عَاصِمٌ، وَحَمْزَةٌ، وَالْكَسَائِيُّ، وَخَلْفٌ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَرَوَّحٌ عَنْ يَعْقُوبَ (النِّسَاءِ أَوْ أَكَنَنْتُمْ) وَشَبَّهَ حَيْثُ وَقَعَ بِتَحْقِيقِ الهمْزَيْنِ وَالْبَاقُونَ بِتَحْقِيقِ الْأُولَى وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ وَهِيَ أَنْ تَبْدَلَ يَاءٌ^(١).

﴿فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ فِي قُلُوبِكُمْ. تَلْخِصُهُ: لَا تَبِعَةَ عَلَيْكُمْ فِي التَّلْوِيحِ بِالنِّكَاحِ.

﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ وَلَكُمْ مِيلٌ إِلَيْهِنَّ، فَادْكُرُوهُنَّ. ﴿وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ وَالسِّرُّ: الْجِمَاعُ؛ أَي: لَا تَصِفُوا أَنْفُسَكُمْ لَهُنَّ بِكَثْرَةِ الْجِمَاعِ، وَإِنَّمَا قِيلَ لِلْجِمَاعِ: السِّرُّ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ فِي خُفْيَةٍ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ.

﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ وَهُوَ التَّعْرِيزُ بِالْخِطْبَةِ.

﴿وَلَا تَعْرِزُوا﴾ أَي: تَتَوَّأُوا.

﴿عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ فِي الْعِدَّةِ.

﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ بِانْقِضَائِهَا، وَسُمِّيَتِ الْعِدَّةُ كِتَابًا؛ لِأَنَّهَا فَرْضٌ فِي الْكِتَابِ، فَعَقْدُ النِّكَاحِ فِي الْعِدَّةِ لَغَيْرِ الْمَطْلُوقِ دُونَ الثَّلَاثِ بَاطِلٌ بِالِاتِّفَاقِ.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ فَخَافُوهُ عِقَابَهُ.

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ١٦٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٨-١٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٨١).

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ﴾ يغفرُ.

﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعجلُ بالعقوبة.

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢٣٦).

[٢٣٦] ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ أي: تُجامعوهنَّ. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (تَمَّاشُوهُنَّ) بالألفِ في الموضعين على المفاعلة، لأن بدن كل واحد يلاقي بدن^(١) صاحبه كما قال تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَآسَّا﴾ [المجادلة: ٣]، وقرأ الباكون: (تَمَّشُوهُنَّ)؛ لأن الغشيان يكون من فعل الرجل؛ لقوله تعالى حكايةً عن مريم: ﴿وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾^(٢) [مريم: ٢٠].

﴿أَوْ تَفْرِضُوا﴾ أي: تَسَمُّوا.

﴿لَهُنَّ فَرِيضَةٌ﴾ مَهْرًا. نزلت في رجلٍ من الأنصار تزوج امرأةً من بني حنيفة، ولم يُسم لها مهراً، ثم طلقها قبل أن يمسهَا، فنزلت هذه الآية، فقال

(١) «بدن» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٣-١٨٤)، و«الكشف» لمكي (١/٢٩٧-٢٩٨)، و«الغيث» للصفارسي (ص: ١٦٦)، و«تفسير البغوي» (١/٢٤١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٨٢).

لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَتَّعَهَا، وَلَوْ بَقَلْنُسُوتَكَ»^(١) وَنَفَى الْجُنَاحَ عَنِ الْمَطْلَقِ؛
لَأَنَّ الطَّلَاقَ مَكْرُوهٌ، وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «أَبْغَضُ الْحَلَالِ إِلَى اللَّهِ
الطَّلَاقُ»^(٢). تَلْخِيصُهُ: لَا تَبَعَةَ عَلَيْكُمْ إِنْ أَرَدْتُمْ الطَّلَاقَ قَبْلَ الدَّخُولِ
وَالْمَسِيرِ، فَطَلَّقُوهُنَّ.

﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ أَصْلُ الْمَتْعَةِ وَالْمَتَاعِ: الْبَلَاغُ؛ أَي: أَعْطَوْهُنَّ مَا يَتَبَلَّغْنَ
وَيَتَنَفَعْنَ بِهِ.

﴿عَلَى الْتَوْسِيعِ﴾ أَي: ذِي السَّعَةِ مِنْكُمْ.

﴿قَدَرُهُ﴾ أَي: بِقَدَرِ^(٣) وَسِعِهِ.

﴿وَعَلَى الْمُقْتَرِ﴾ الضَّيِّقِ الْحَالِ.

﴿قَدَرُهُ﴾ بِقَدَرِ ضَيْقِهِ. قَرَأَ حَمْزَةً، وَالْكَسَائِيُّ، وَخَلَفْتُ، وَابْنُ ذَكْوَانَ،
وَأَبُو جَعْفَرٍ (قَدَرُهُ) بَفَتْحِ الدَّالِ فِيهِمَا، وَالْبَاقُونَ: بِسُكُونِهَا، وَهَذَا لُغَتَانِ^(٤).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٢٤١)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر
(٥٩٦/١).

(٢) رواه أبو داود (٢١٧٨)، كتاب: الطلاق، باب: في كراهية الطلاق، وابن ماجه
(٢٠١٨)، كتاب: الطلاق، باب: حدثنا سويد بن سعيد، عن ابن عمر -
رضي الله عنهما -.

(٣) في «ن»: «قدر».

(٤) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٤)،
و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٩٨-٢٩٩)،
و«الغيث» للصفارسي (ص: ١٦٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٤١)، و«التيسير»
للداني (ص: ٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٤/ ٢٢٨)،
و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية»
(١٨٢/١).

﴿مَتَّعًا﴾ نَصَبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ .

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ أَي : بِمَا أَمَرَكَمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ غَيْرِ ظَلَمٍ .

﴿حَقًّا﴾ مَصْدَرٌ حَقٌّ .

﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ إِلَى الْمُطَلَّقاتِ بِالْمَتَّعِ ، فَمَنْ تَزَوَّجَ امْرَأَةً ، وَلَمْ يَفْرَضْ لَهَا مَهْرًا ، ثُمَّ طَلَّقَهَا قَبْلَ الْمَسِيْسِ ، فَلَهَا الْمَتْعَةُ بِالِاتِّفَاقِ ، وَإِنْ طَلَّقَهَا قَبْلَ الْمَسِيْسِ ، وَقَدْ فَرَضَ لَهَا ، فَلَهَا نِصْفُ الْمَفْرُوضِ ، وَلَا مَتْعَةٌ لَهَا بِالِاتِّفَاقِ .

وَاخْتَلَفَ الْأُئِمَّةُ فِي الْمُطَلَّقةِ بَعْدَ الدُّخُولِ ، فَقَالَ الشَّافِعِيُّ : تَسْتَحِقُّ الْمَتْعَةَ ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَالْمُطَلَّقاتِ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة : ٢٤١] ؛ لِأَنَّ اسْتِحْقَاقَهَا الْمَهْرَ بِمُقَابَلَةٍ مَا أَتَلَفَ عَلَيْهَا مِنْ مَنْفَعَةِ الْبُضْعِ ، فَلَهَا الْمَتْعَةُ عَلَى وَحْشَةِ الْفِرَاقِ .

وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَمَالِكٌ وَأَحْمَدُ : لَا مَتْعَةَ لَهَا ، وَاخْتَلَفُوا فِي قَدْرِ الْمَتْعَةِ ، فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : مَبْلَغُهَا إِذَا اخْتَلَفَ الزَّوْجَانِ قَدْرُ نِصْفِ مَهْرِ مِثْلِهَا لَا يَجَاوِزُ ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ : يُسْتَحَبُّ أَلَّا تَقْصَرَ عَنْ ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا ، فَإِنْ تَنَازَعَا ، قَدَّرَهَا ^(١) الْقَاضِي بِنَظَرِهِ مَعْتَبِرًا حَالَهُمَا ، وَقَالَ أَحْمَدُ : أَعْلَاهَا خَادِمٌ ، وَأَدْنَاهَا كَسُوَةٌ تَجْزِئُهَا الصَّلَاةُ فِيهَا ، وَقَالَ مَالِكٌ : لَيْسَ لَهَا حَدٌّ مُحْصُورٌ ، وَإِنَّمَا يُعْطِيهَا شَيْئًا يَجْرِي مَجْرَى الْهَبَةِ بِحَسَبِ مَا يَحْسُنُ عَلَى قَدْرِ حَالِهِ مِنْ يُسْرٍ وَعُسْرٍ .

﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوَا أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا

(١) فِي «ن» وَ«ت» : «قَدْرُهُ» ، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ «ظ» .

أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

﴿٢٣٧﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ ﴿٢٣٧﴾ أَي: قَبْلَ الدَّخُولِ.

﴿٢٣٧﴾ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴿٢٣٧﴾ أَي: سَمِيتُمْ لَهُنَّ مَهْرًا.

﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ أَي: فَيَجِبُ عَلَيْكُمْ نَصْفُهُ، وَالْمَرَادُ بِالْمَسِّ: الْجِمَاعُ، وَإِنْ مَاتَ أَحَدُهُمَا قَبْلَ الْمَسِّ، اسْتَقَرَّ الْمَهْرُ كَامِلًا بِالِاتِّفَاقِ، وَاخْتَلَفُوا فِيهَا إِذَا خَلَا الرَّجُلُ بِامْرَأَتِهِ، ثُمَّ طَلَقَهَا قَبْلَ الْمَسِّ، فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَأَحْمَدُ: لَهَا كِمَالُ الْمَهْرِ، وَعَلَيْهَا الْعِدَّةُ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: لَهَا نِصْفُ الصَّدَاقِ، وَلَا عِدَّةَ عَلَيْهَا، وَقَالَ مَالِكٌ: عَلَيْهَا الْعِدَّةُ، وَلَهَا نِصْفُ الْمَهْرِ، فَإِنْ طَالَ مَقَامُهَا مَعَهُ، وَقَدْ تَلَذَّذَ بِهَا وَابْتَذَلَهَا، فَلَهَا جَمِيعُ الْمَهْرِ^(١)، وَقَدْ حَذَّاهُ ابْنُ الْقَاسِمِ بِالْعَامِ.

﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُوَا﴾ أَي: الزَّوْجَاتُ، وَأَصْلُ الْعَفْوِ: التَّرْكُ؛ أَي: إِلَّا أَنْ تَرَكَ الْمَرْأَةُ نَصِيْبَهَا، فَيَعُودُ جَمِيعُ الصَّدَاقِ إِلَى الزَّوْجِ.

﴿أَوْ يَعْفُوا الَّذِي يَبْدِيهِ عَقْدَةُ الْكِحَاخِ﴾ وَهُوَ الْوَلِيُّ عِنْدَ مَالِكٍ، فَيَجُوزُ عَفْوُهُ إِنْ كَانَتْ بَكَرًا، أَوْ غَيْرَ جَائِزَةٍ الْأَمْرَ، وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَحْمَدَ، وَالشَّافِعِيِّ فِي الْجَدِيدِ: هُوَ الزَّوْجُ، وَقَالُوا - أَعْنِي الثَّلَاثَةُ -: لَا يَجُوزُ لَوَلِيِّهَا تَرْكُ شَيْءٍ مِنْ صَدَاقِهَا، بَكَرًا كَانَتْ أَوْ ثِيْبًا، كَمَا لَا يَجُوزُ لَهُ ذَلِكَ قَبْلَ الطَّلَاقِ، بِالِاتِّفَاقِ، وَكَمَا لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَهَبَ شَيْئًا مِنْ مَالِهَا. الْمَعْنَى: تَعْفُو الْمَرْأَةُ بِتَرْكِ نَصِيْبِهَا لِلزَّوْجِ، وَيَعْفُو الزَّوْجُ بِصَرْفِ جَمِيعِ الصَّدَاقِ إِلَيْهَا.

(١) «المهر» ساقطة من «ت».

﴿وَأَنْ تَعْفُوا﴾ محلُّه رفعٌ بالابتداء؛ أي: والعفو.

﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ أي: العفو أقربُ من أجلِ التقوى، والخطابُ للرجال والنساء، معناه: ويعفو بعضكم عن بعض أقربُ للتقوى.

﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي: لا تنسوا تفضُّلَ بعضكم على بعض بإعطاء الرجل جميعَ الصداق، وتركِ المرأةِ نصيبها منه.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ خبرٌ في ضمنه الوعدُ للمحسن، والحرمانُ لغيره.

﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [٢٣٨].

[٢٣٨] ﴿حَفِظُوا﴾ داوموا.

﴿عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ أي: المكتوبات بمواقيتها وحدودها.

﴿وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ وخُصَّت بالذكر تفضيلاً، وهي العصر عند أبي حنيفة وأحمد؛ لما رُوي عن النبي ﷺ أنه قال يومَ الخندق: «شَغَلُونَا عَنْ صَلَاةِ الْوُسْطَى صَلَاةِ الْعَصْرِ، مَلَأَ اللَّهُ أَجْوَاهَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا»^(١)؛ ولأنها بينَ صلاتي نهارٍ وصلاتي ليلٍ، وقد خَصَّها النبي ﷺ بالتغليظ.

وعند مالكٍ والشافعي هي صلاةُ الفجر؛ لأنَّ الله تعالى قال: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ

(١) رواه البخاري (٢٧٧٣)، كتاب: الجهاد والسير، باب: الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، ومسلم (٦٢٧)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: الدليل لمن قال: الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، عن علي - رضي الله عنه - .

قَلْبَيْنِ ﴿ والقنوت: طول القيام، وصلاة الصبح مخصوصة بطول القيام،
وبالقنوت؛ ولأنها بين صلاتي جمع، وهي لا تقصر ولا تجمع إلى غيرها.
﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ ﴾ في صلاتكم.

﴿ قَلْبَيْنِ ﴾ طائعين خاضعين، والقنوت في صلاة الصبح عند مالك قبل
الركوع سرّاً، وعند الشافعي بعده جهراً، وسيأتي ذكر مذهب أبي حنيفة
وأحمد في القنوت في صلاة الوتر في سورة الفجر - إن شاء الله تعالى - .
وأصل القنوت: الطاعة، روي عن زيد بن أرقم أنه قال: «كُنَّا نَتَكَلَّمُ فِي
الصَّلَاةِ إِلَى أَنْ نَزَلَ: ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَلْبَيْنِ ﴾، فَأَمَرْنَا بِالسُّكُوتِ، وَنُهِينَا عَنِ
الكلام»^(١).

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا
عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾^(٢٣٩).

[٢٣٩] ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ ﴾ من عدو وغيره.

﴿ فَرِجَالًا ﴾ أي: فصلُّوا رجلاً، جمع راجل.

﴿ أَوْ رُكْبَانًا ﴾ على دوابكم، جمع راكب. المعنى: إن لم تتمكنكم
الصلاة قانتين، فصلُّوا رجالةً ورُكباناً، وهذا في حال القتال والمُسايفة^(٢) -

(١) رواه البخاري (١١٤٢)، كتاب: العمل في الصلاة، باب: ما ينهى من الكلام في
الصلاة، ومسلم (٥٣٩)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحريم
الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة.

(٢) في «ن»: «المسابقة».

أي: الضرب بالسيف^(١) - يصلي حيث كان وجهه إلى القبلة وغيرها، يومئذ بالركوع والسجود على قدر الطاقة، ويجعل السجود أخفض من الركوع، وبذلك قال مالك والشافعي وأحمد، وقال أبو حنيفة: لا يصلي ماشياً ولا مسائفاً إذا لم يمكن الوقوف، ولا ينقص عدد الركعات عندهم بالخوف، وسيأتي في سورة النساء بيان أقسام صلاة الخوف، وصفتها عقب تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٠١].

﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ أي: زال الخوف.

﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ أي: صلوا الصلوات الخمس، واشكروه على الأمن وأداء الصلاة.

﴿كَمَا عَلَّمَكُم﴾ من صلاة الخوف وغيرها.

﴿مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ ذكره.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

[٢٤٠] ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾ يا معشر الرجال.

﴿وَيَذَرُونَ﴾ يتركون.

﴿أَزْوَاجًا﴾ أي: زوجات.

﴿وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ قرأ أبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، وحفص:

(١) «أي: الضرب بالسيف» زيادة من «ظ».

(وَصِيَّةٌ) بالنصب؛ أي: يوصون وصيةً، والباقون: بالرفع؛ أي: فعلیهم وصية^(١).

﴿مَتَّعًا﴾ نصبٌ على المصدر؛ أي: مَتَّعُوهُنَّ متاعاً.

﴿إِلَى الْحَوْلِ﴾ أي: يوصي لها بنفقةٍ حولٍ كاملٍ، وهي مدَّةُ العِدَّةِ في ابتداء الإسلام.

﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ فإن خرجت من منزل زوجها، سقطت نفقتها، ثم نُسخَ الحولُ بأربعة أشهرٍ وعشرٍ، والنفقةُ بالميراث.

﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ من قِبَلِ أَنْفُسِهِنَّ.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُنَّ﴾ يا أولياء الميت.

﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ من مَعْرُوفٍ يعني: التزوينَ والنكاحَ، ولرفع^(٢) الجناح عن الرجالِ وجهان: أحدهما: لا جناحَ عليكم في قطع النفقةِ عنهنَّ إذا خرجنَّ قبلَ انقضاءِ الحولِ، والآخَرُ: لا جناحَ عليكم في تركِ منعِهِنَّ من الخروجِ؛ لأنَّ مقامَها في بيتِ زوجها حولاً غيرُ واجبٍ عليها، خيَّرَها الله تعالى بينَ أن تقيمَ حولاً، ولها النفقةُ والسُّكنى، وبينَ أن تخرجَ إلى أن تُسختَ بأربعة أشهرٍ وعشرٍ.

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٧٤)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٨)، و«الغيث» للصفارسي (ص: ١٦٧)، و«تفسير البغوي» (١/٢٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ١٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٨٦).

(٢) في «ن»: «لرفع».

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ راعي مصالحهم.

﴿وَالْمُطَلَقَاتِ مَتَعُ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٢٤١﴾.

[٢٤١] ﴿وَالْمُطَلَقَاتِ مَتَعُ بِالْمَعْرُوفِ﴾ لما نزل ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ﴾ إلى ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ قال رجلٌ من المسلمين: إن أحسنتُ فعلتُ، وإن لم أَرُدْ لم أفعل، فنزلت هذه الآية^(١)، وجعل الله المتعة لهنَّ بلام التملك، ثم أكد ذلك بقوله:

﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ للشرك، وتقدم ذكرُ الخلاف في الآية المتقدمة.

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٢٤٢﴾.

[٢٤٢] ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تفهمونها.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿٢٤٣﴾.

خرج جماعة من قريتهم داوردان قبل واسط خوف الطاعون، فنزلوا وادياً أفيح؛ أي: أوسع، فلما استقروا فيه، ماتوا جميعاً، وبقوا موتى ثمانية أيام، فسأل حزقيل النبي فيهم ربّه، فأحياهم فعاشوا بعد ذلك دهرأ

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٥٨٤/٢)، عن ابن زيد.

لا يلبسون ثوباً إلا عادَ رميماً كالكفن، قال ابنُ عباس: «فإنها لتوجدُ اليومَ في ذلك السَّبَطِ من اليهودِ تلكَ الريحُ»^(١) فنزل تعجباً من حالهم: [٢٤٣] ﴿الْمَرَّتْ﴾ أي: تعلم؛ لأنها من رؤية القلب، وكذا كلُّ ما لم يعاينَ.

﴿إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ جمعُ ألفٍ، أي: جماعاتٌ كثيرةٌ، واختلف في مبلغ عددهم، فورد فيه أقوال كثيرة، أولاها: قولُ من قال: كانوا زيادةً على عشرة آلاف.

﴿حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ﴾ على لسان ملكٍ:

﴿مُوتُوا﴾، فماتوا، ثم عطف على قوله: ماتوا المقدرة قوله:

﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ ليعلموا أن لا فرارَ من القدر، وهذا تبكيثُ^(٢) لمن يفرُّ من قضاءِ الله المحتوم.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ كافةً في الدنيا، وخاصةً على المؤمنين في الآخرة.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ على ذلك، أما الكفار، فلم يشكروا، وأما المؤمنون، فلم يبلغوا غايةَ شكره، ثم عطف ما بعد على محذوف مخاطباً للذين أحيوا، وتقديره: لا تحذروا الموت.

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٨٧).

(٢) في «ن»: «تنكيث».

﴿ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢٤٤).

[٢٤٤] ﴿ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ في طاعته أعداءه.

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ بالضمائر. أمرهم أن يجاهدوا، هذا قولُ

أكثر المفسرين، وقيل: هو خطابٌ لهذه الأمة، والله أعلم.

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً

وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢٤٥).

[٢٤٥] ﴿ مَنْ ﴾ استفهامٌ ابتداء.

﴿ ذَا ﴾ خبره.

﴿ الَّذِي ﴾ صفةُ الخبر، وصِلَةُ الذي.

﴿ يُقْرِضُ اللَّهَ ﴾ ينفقُ في طاعته.

﴿ قَرْضًا ﴾ أي: إقراضاً.

﴿ حَسَنًا ﴾ حلالاً، وأصلُ القرضِ لغةً: القطعُ؛ لأنه يقطعُ له من ماله

شيئاً يعطيه ليرجعَ إليه مثله.

﴿ فَيُضْعِفُهُ لَهُ ﴾ قرأ عاصم: (فَيُضَاعِفُهُ) بنصبِ الفاء، وقرأ ابنُ عامرٍ،

ويعقوب: (فَيُضْعِفُهُ) بالتشديد ونصبِ الفاء، وقرأ ابنُ كثيرٍ وأبو جعفر:

(فَيُضْعِفُهُ) بالتشديد وضمِ الفاء، والباقون: (فَيُضَاعِفُهُ لَهُ) بالالف مخففاً

وضمَّ الفاء، وهما لغتان، فالقراءةُ بنصبِ الفاءِ على جوابِ الاستفهام،

وبالضمِّ نسقاً على قوله. (يُقْرِضُ) ^(١)، ودليلُ التشديد قوله:

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٧٦)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: =

﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ لَأَنَّ التَّشْدِيدَ لِلتَّكْثِيرِ، وَهَذَا التَّضْعِيفُ لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُ إِلَّا اللَّهُ، وَأَصْلُ التَّضْعِيفِ: أَنْ يُزَادَ عَلَى الشَّيْءِ مِثْلُهُ أَوْ أَمْثَالُهُ. تَلْخِيصُهُ: مَنْ الْمَعْطَى عِبَادَ اللَّهِ مِنْ حَلَالٍ مَالِهِ بِطَيْبِ نَفْسٍ وَغَيْرِ مِنَّةٍ؟ فَإِنَّ اللَّهَ يُثِيبُهُ عَلَى ذَلِكَ أَفْضَلَ ثَوَابٍ.

﴿وَاللَّهُ يَقْضِي﴾ بِإِمْسَاكِ الرِّزْقِ.

﴿وَيَبْطِئُ﴾ بِتَوْسِيعِهِ عَلَى خَلْقِهِ. قَرَأَ خَلْفَ لِنَفْسِهِ، وَعَنْ حَمْزَةَ، وَالدَّوْرِيِّ عَنْ أَبِي عَمْرٍو، وَهَشَامٍ عَنْ عَامِرٍ، وَرُوَيْسٍ عَنْ يَعْقُوبَ: (وَيَبْطِئُ) بِالْسِينِ؛ لِأَنَّهَا الْأَصْلُ. وَقَرَأَ نَافِعٌ، وَأَبُو جَعْفَرٍ، وَالْكَسَائِيُّ، وَالبَزْزِيُّ عَنْ ابْنِ كَثِيرٍ، وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ، وَرُوْحٌ عَنْ يَعْقُوبَ: بِالصَّادِ إِبْدَالًا مِنْ السِّينِ^(١)، وَاخْتَلَفَ عَنْ قَبْلِ، وَالسُّوسِيِّ، وَابْنِ ذَكْوَانَ، وَحَفْصٍ، وَخَلَادٍ، وَرَسَمَهَا بِالصَّادِ.

﴿وَالْيَوْمَ﴾ أَيُّ: إِلَى اللَّهِ.

﴿تُرْجَعُونَ﴾ فَيَجَازِيكُمْ.

= (١٣٨-١٣٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٤-١٨٥)، و«الكشف» لمكي (١/٣٠٠-٣٠١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٣٨)، و«تفسير البغوي» (١/٢٥٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٨-٢٩١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٨٨-١٨٩).

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٧٦)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٦)، و«الكشف» لمكي (١/٢٠٣-٢٠٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٨)، و«تفسير البغوي» (١/٢٥٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٨-٢٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٨٩).

﴿الَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَّهُمْ
أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُنْقِذَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَهُ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ
عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ
أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا
مَنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

[٢٤٦] ﴿الَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ الملاء من القوم: وجوهمهم
وأشرافهم، وأصل الملاء: الجماعة من الناس.
﴿مِنْ بَعْدِ﴾ موت.

﴿مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَّهُمْ﴾ هو أشموئيل، ومعناه بالعبرانية إسماعيل،
مولده بقرية يقال لها: شيلوا، ويقال: إنها المشهورة يومئذ بالسيلة من
أعمال نابلس، بعثه الله نبياً لما صار له أربعون سنة، فدبر بني إسرائيل،
ولبثوا أربعين سنة بأحسن حال، وكان قوامُ أمر^(١) بني إسرائيل بالاجتماع
على الملوك، وكان ملوكهم يطيعون أنبياءهم، فظهر لهم عدوٌ عظيم، وهم
قوم جالوت، وهم العماليقة، كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر
وفلسطين، فظهروا على بني إسرائيل، وغلبوا على كثير من أرضهم، وسبوا
منهم، وأسروا، فقالوا لنبينهم أشموئيل:

﴿أَبْعَثْ﴾ أي: آثر وأرسل.

﴿لَنَا مَلِكًا﴾ أي: معنا سلطاناً يتقدّمنا.

﴿نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فلما قالوا له ذلك.

(١) «أمر» ساقطة من «ت».

﴿قَالَ﴾ لهم:

﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ استفهامٌ شكٌّ، يقول: لعلكم. قرأ نافع: (عَسَيْتُمْ) بكسر السين؛ كخشيتم، والباقون: بالفتح كرميتم، وهي اللغة الفصيحة^(١).

﴿إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ مع ذلك الملك.

﴿أَلَّا﴾ تقوموا بما تقولون، ولا ﴿تُقَاتِلُوا﴾ معه. تلخيصه: أنتم جنباء عن القتال، فكيف تقاتلون؟ فثم استفهموا منكرين، و:

﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ المعنى: أي عذر لنا في ترك الجهاد.

﴿وَقَدْ أَخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَانَا﴾ المعنى: أخرج بعضنا؛ لأن الفائلين كانوا في ديارهم.

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن الجهاد، وضيّعوا أمر الله.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ وهم الذين عبروا النهر مع طالوت، واقتصروا على الغرّة، وكانوا ثلاث مئة رجلٍ وثلاثة عشر رجلاً كأهل بدر، ثم تهدّدهم فقال:

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ بترك الجهاد.

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٢٧)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٧)، و«الكشف» لمكي (١/٣٠٣)، و«الغيث» للصفافسي (ص: ١٦٨)، و«تفسير البغوي» (١/٢٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٩٠).

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٢٤٧].

[٢٤٧] ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ وكان طالوت اسمه بالعبرانية شاول بن قيس من سبط بنيامين، ولم يكن من أعيانهم، قيل: كان راعياً، وقيل: سقاءً، وقيل: دَبَّاعاً، فلما عَرَّفَهُمْ نَبِيُّهُمْ أن طالوت ملكهم.

﴿ قَالُوا ﴾ منكرين:

﴿ أَنَّى ﴾ أي: كيف.

﴿ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا ﴾ وليس من بيت الملك؛ لأن الملك كان في سبط يهوذا بن يعقوب، والنبوة في سبط لاوي بن يعقوب.

﴿ وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ﴾ لأنه فقيرٌ.

﴿ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً ﴾ أي: كثرةً.

﴿ مِنَ الْمَالِ ﴾ تلخيصه: بعيدٌ تملكه علينا؛ لعدم استحقاقه للملك لوجود مستحقه، وفقره، فثم ﴿ قَالَ ﴾ نبيُّهم راداً عليهم:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ ﴾ اختارَهُ.

﴿ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ ﴾ نَفْلَهُ.

﴿بَسْطَةً﴾ سَعَةً .

﴿فِي الْعِلْمِ﴾ بالحرب .

﴿وَالْجِسْمِ﴾ بالطول، قيل: سُمِّيَ طالوتَ لطوله، وكان أعلمَ بني إسرائيلَ بالحرب، وأطولَ من كلِّ إنسانٍ برأسه ومنكبه، وكان أجملَ رجلٍ في بني إسرائيل .

﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكُهُم مِّنْ يَّشَاءُ﴾ لأنه مختصٌّ بالملك .

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ ذو السعة .

﴿عَلِيمٌ﴾ بما يصنع .

ثم قالوا لنبيهم: فما آية ملكه؟ فأجابهم:

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٤٨﴾ .

[٢٤٨] ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ وهو صندوق التوراة، ومن قصته أن الله أنزل تابوتاً على آدم من خشب الشَّمشَارِ نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين، فكان عند آدم، ثم عند شيث، ثم توارثه أولادُ آدم إلى أن بلغ إبراهيم، ثم كان عند إسماعيل، ثم عند يعقوب، ثم كان في بني إسرائيل إلى أن وصل إلى موسى، فكان موسى

يضعُ فيه التوراة، ومتاعاً من متاعه إلى أن مات، ثم تداوله أنبياءُ بني إسرائيل، وكان كما ذكر^(١) الله تعالى:

﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أي: طمأنينة وحكمة؛ لأنهم كانوا يسكنون إليه أينما كان، وإذا حضروا القتال، قَدَّمُوهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ يَسْتَنْصِرُونَ به، وقيل: كان فيه شيءٌ كرأس الهرة إذا سمعوا صوته أيقنوا بالنصر، وإذا اختلفوا في شيء، تكلم وحكم بينهم.

﴿ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ ﴾ أي: موسى وهارون نفسيهما، وكان فيه لوحان من التوراة، ورضاض المنكسر من ألواحها، وعصا موسى ونعلاه، وعمامة هارون، وخاتم سليمان، وقفيز من المن الذي أنزل على بني إسرائيل.

﴿ تَحْمِلُهَا الْمَلَائِكَةُ ﴾ قال ابن عباس: «جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض، وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت، فأقروا بملكه، قال ابن عباس: التابوت وعصا موسى في بحيرة طبرية يخرجان قبل يوم القيامة^(٢)».

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴾ لعبرة.

﴿ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ فلما رأوا التابوت، أيقنوا بالنصر، فتسارعوا إلى الجهاد، فقال طالوت: لا أبتغي إلا الشاب النشيط الفارع^(٣)، فاجتمع له ثمانون ألفاً من شرطه.

(١) في «ت»: «ذكره».

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٦٠٩/٢).

(٣) في «ن» و«ت»: «الفارع».

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۖ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلْكُوا اللَّهَ كَمِ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٌ ۖ عَلَبَّتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ ۚ يَٰذُنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ۝ ﴾ .

[٢٤٩] ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ ﴾ أي : خرج من بيت المقدس .

﴿ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ ﴾ وكان حراً شديداً ، فشكوا قلة الماء بينهم وبين عدوهم .

﴿ قَالَ ﴾ طالوت .

﴿ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ ﴾ مختبركم ليرى طاعتكم ، وهو أعلم .

﴿ بِنَهَرٍ ﴾ هو الأردنُّ نهرُ الشريعة شرقي بيت المقدس ، وقيل غيره .

﴿ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ ﴾ أي : كرع فيه .

﴿ فَلَيْسَ مِنِّي ﴾ أي : من أتباعي وأهل ديني .

﴿ وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ ﴾ لم يذقه .

﴿ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾ قرأ عاصمٌ ، وحمزةٌ ، والكسائيُّ ، وخلفٌ ، ويعقوبٌ : (مِنِّي إِلَّا) ^(١) بسكون الياء ، وقرأوا أيضاً :

(١) انظر : «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٧٩) ، و«الحجة» لأبي زرعة (ص : ١٤٠) ، و«السبعة» لابن مجاهد (ص : ١٨٧) ، و«الحجة» لابن خالويه (ص : ٩٩) ، و«الكشف» لمكي (١/٣٠٣-٣٠٤) ، و«تفسير البغوي» (١/٢٥٩) ، =

(عُرْفَةٌ) بضم الغين، وافقهم ابن كثير في (مَنِيٍّ إِلَّا). والغرفة بالضم: اسم لما يحصل في كف الغارِف، وبالفتح: الاعتراف. تلخيصه: الغرفة مباحة لكم دون الشرب منها، وكانت الغرفة تكفي الرجل لشربه ودوابه.

﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ استثناء من (فَشَرِبُوا)، والقليل الذين لم يشربوا كانوا ثلاث مئة وبضعة عشر على الصحيح، فمن اعترف غرفة كما أمر الله قوي قلبه، وصحَّ إيمانه، وعبر النهر سالماً، والذين شربوا وخالفوا أمر الله، اسودَّت شفاههم، وغلبهم العطش، وجَبُنُوا عن لقاء العدو، فلم يجاوزوا، ولم يشهدوا الفتح.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ﴾ يعني: النهر.

﴿هُوَ﴾ يعني: طالوت.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ يعني: القليل.

﴿قَالُوا﴾ يعني: الذين شربوا، وخالفوا أمر الله، وكانوا أهل شك ونفاق:

﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ فانحرفوا ولم يجاوزوا.

﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يستيقنون.

﴿أَنَّهُمْ مُّلتَقُوا اللَّهَ﴾ وهم من ثبت مع طالوت.

﴿كَم مِّن فِتْنَةٍ﴾ طائفة.

= و«التيسير» للداني (ص: ٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٩٢).

﴿ قَلِيلَةً غَلَبَتْ فَتَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ بقضاء الله (١) وإرادته .

﴿ وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِرِينَ ﴾ بالنصر والمعونة (٢) .

﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ .

[٢٥٠] ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا ﴾ يعني : طالوت وجنوده المؤمنين .

﴿ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾ المشركين ، ومعنى برزوا : أي : صاروا في براز من الأرض ، وهو الفضاء .

﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ ﴾ أنزل .

﴿ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾ قلوبنا .

﴿ وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ كان جالوت من جبابرة (٣) الكنعانيين من العماليق من ولدِ عمليق بن عادٍ ، وكان ملكه (٤) بجهات فلسطين ، وكان من الشدة وطول القامة بمكانٍ عظيم ، فلما تصافوا ، قال جالوت لطلوت : إما أن تبرز إليّ ، أو تبرز إليّ أحداً ، فإن قتلني ، استحوذت على ملكي ، وإن قتلته ، استحوذت على ملكك ، فخافه طلوت ؛ لأنه كان يهزمُ الجيوش وحده ، وكان في بيضته ثلاث مئة رطل حديد .

(١) في «ش» : «بقضائه» .

(٢) في «ن» : «والعون» .

(٣) في «ن» : «جبابرة» .

(٤) في «ش» : «ملكهم» .

﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٥١﴾ .

[٢٥١] ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ وكان من خبرهم أنهم لما برزوا للقتال، طلب طالوت داود - عليه السلام -، وكان أصغر بني أبيه، وكان عمره ثلاثين سنة، وأمره بمبارزة جالوت بعد أن رأى فيه العلام التي يستدل بها على أنه هو الذي يقتل جالوت، وهي دهن كان يستدير على رأس من يكون فيه السر، وأحضر أيضاً تنوراً حديداً، وقال: الشخص الذي يقتل جالوت يكون ملء هذا التنور، فلما اعتبر داود ملأ التنور، واستدار الدهن على رأسه، فلما تحقق ذلك منه بالعلامة، أمره طالوت بمبارزة جالوت، فبارزه.

﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ﴾ بثلاثة أحجار كانت في مخلعة، وهو متقلد بها، وأخذ مقلعاً بيده، وكان جالوت على فرس أبلق عليه السلاح التام، فلما نظر إلى داود، ألقى في قلبه الرعب، فقال له: أنت تبرز إلي؟ قال: نعم، قال: فأتيتني بالمقلع والحجر كما يؤتى الكلب؟ قال: نعم، أنت شر من الكلب، قال: لا جرم لأقسمن لحملك بين سباع الأرض وطير السماء، قال داود: أو يقسم الله لحملك، فقال داود: باسم الله إله إبراهيم، وأخرج حجراً، ثم أخرج الثاني، فقال: باسم الله إله إسحق، ووضعه في مقلعه، ثم أخرج الثالث وقال: باسم الله إله يعقوب، ووضعه في مقلعه، فصارت كلها حجراً واحداً، ودور المقلع ورمى به، فسخر الله له الريح حتى أصاب

الحجر أنفَ البيضة، فخالط دماغه، وخرجَ من قفاه، وقتل من ورائه ثلاثين رجلاً، وهزمَ الله الجيشَ، وخرَّ جالوتُ قتيلاً، فأخذه يجرُّهُ^(١) حتى ألقاه بين يَدَي طالوتَ، ففرحَ المسلمون فرحاً شديداً، وانصرفوا إلى المدينة سالمين، ثم بعد ذلك ماتَ أشموئيل وله اثنتان وخمسون سنةً، فدفنه بنو إسرائيلَ في الليل، وناحوا عليه، وقبره بقريّة ظاهر بيت المقدس من جهة الشمالِ على الطريقِ السالكِ إلى رملة فلسطينَ على رأسِ جبلٍ، وهو مشهورٌ، واسمُ القرية عند اليهود رامةً، وأهل الإسلام يسمونها باسم النبي المشارِ إليه، وتزوج داودُ ابنةً طالوتَ، وأحبّه الناسُ، ومالوا إليه، فحسده طالوتُ، وقصدَ قتلَه مرةً بعد أخرى، فهرب داودُ منه، وبقي داودُ متحرّزاً على نفسه، ثم ندِمَ طالوتُ على ما كان منه من قصدِ قتلِ داودَ، وتابَ إلى الله، ثم إن طالوتَ قصدَ الفلسطينيين للغزاة، وقتلهم حتى قُتل هو وأولاده، وانتقل الملكُ إلى داودَ - عليه السلام -.

﴿وَأَتَكَّهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ يعني: النبوة، ولم تجتمع السلطنة والنبوة لأحدٍ قبل داودَ، بل كان الملكُ في سبط، والنبوة في سبط.

﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ من صنعة الدروع، فكان يصنعها ويبيعها، ولا يأكلُ إلا من عمل يده، ومنطقِ الطير والصوتِ الطيبِ والألحانِ، فلم يُعطِ اللهُ أحداً من خلقه مثلَ صوته، كان إذا قرأ الزبورَ، تدنو الوحوشُ حتى يؤخذَ بأعناقها، وتُظِلُّه الطير، ويركدُ الماءُ الجاري، ويسكنُ الريح، وسيأتي ذكرُ داودَ - عليه السلام - ووفاته في أواخر سورة النساء - إن شاء الله

(١) في «ن»: «وجرّه».

تعالى -. قرأ أبو عمرو: (وَقَتَلَ دَاوُدَ جَالُوتَ) بإدغام الدال في الجيم^(١).

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ﴾ أصلُ الدفعِ: صرفُ الشيء، والمعنى: لولا أن يصرف الله.

﴿النَّاسَ بَعْضُهُمْ﴾ أي: المفسدين.

﴿بِبَعْضٍ﴾ بالمؤمنين. قرأ نافع، وأبو جعفر، ويعقوب: (دِفَاعُ) بألف، والباقون: بغير ألف^(٢)؛ لأن الله تعالى لا يُغالبه أحدٌ، وهو الدافعُ وحده، ومن قرأ بالألف قال: قد يكونُ الدفاعُ من واحد، مثل قولِ العرب: أحسنَ الله عنكَ الدفاع.

﴿لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ بقتل المسلمين، وظهورِ الفسادِ، قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ - عز وجل - لَيَدْفَعُ بِالْمُسْلِمِ الصَّالِحِ عَنْ مِثَّةِ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِهِ»^(٣).

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

(١) انظر: «الإتقان» للسيوطي (١١٢/١)، النوع الحادي والثلاثون.

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢٧٩/١)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٩)، و«الكشف» لمكي (٣٠٤-٣٠٥)، و«الغيث» للصفافسي (ص: ١٦٨)، و«تفسير البغوي» (٢٦٥/١)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٠٣/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٩٣/١).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٦٣٣/٢)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤٠٣/٤)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣٨٢/٢)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٠٨٠)، وغيرهم عن ابن عمر - رضي الله عنهما - بإسناد ضعيف.

﴿تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ
الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٢٥٢﴾ .

[٢٥٢] ﴿تِلْكَ﴾ أي : الأخبار المذكورة .

﴿ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ .

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ
دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا
فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا
يُرِيدُ﴾ ﴿٢٥٣﴾ .

[٢٥٣] ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾ المذكورة قصصها .

﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ يعني : موسى - عليه السلام - .
﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ يعني : محمداً ﷺ ، ولم يصرِّح باسمه تفخيماً
له . المعنى : إنه ساوى الأنبياء في فضلهم ، وفضل عليهم بأشياء كثيرة ،
منها : أنه بُعث إلى الأحمر والأسود ، وأُحِلَّت له الغنائم ، وغير ذلك -
صلواتُ الله عليه وعليهم أجمعين - .

﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ قرأ ابن كثير :
(القدس) بإسكان الدال^(١) .

(١) انظر : «الغيث» للصفاسي (ص : ١٦٩) ، و«معجم القراءات القرآنية»
(١٩٤/١) .

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ أي : من بعد الرسل .
 ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا ﴾ في دينهم .
 ﴿ فَعَنِمْ ﴾ أي : الذين بقوا بعد الرسل .
 ﴿ مَنْ ءَامَنَ ﴾ ثَبَّتَ عَلَى إِيمَانِهِ .
 ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ ﴾ ارتدَّ .
 ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلُوا ﴾ كَرَّرَهُ تَأْكِيدًا .
 ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ يَوْفِقُ مَنْ يَشَاءُ فَضْلًا ، وَيَخْذُلُ مَنْ يَشَاءُ عَذْلًا .

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [٢٥٤] .

[٢٥٤] ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ هي الزكاة المفروضة .

﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ ﴾ أي : لا فداء فيه ؛ لأن الفداء شراء نفسه . قرأ أبو عمرو : (أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ) بإدغام الياء في الياء ^(١) .
 ﴿ وَلَا خُلَّةٌ ﴾ لا صداقة .

﴿ وَلَا شَفْعَةٌ ﴾ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ . قرأ نافع ، وابن عامر ، وأبو جعفر ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف : (لَا بَيْعٌ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ) بالرفع والتنوين ، والباقون : كلها بالنصب ^(٢) . تلخيصه : تأهبوا للحساب قبل الموت .

(١) انظر : «الإتقان» للسيوطي (١/ ١١١) ، النوع الحادي والثلاثون .

(٢) انظر : «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٨٢) ، و«الحجة» لأبي زرعة (ص :

١٤٨) ، و«السبعة» لابن مجاهد (ص : ١٨٧) ، و«الحجة» لابن خالويه (ص : =

﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بوضعهم العبادة في غير محلها.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (٢٥٥).

[٢٥٥] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ هي أعظم آية في كتاب الله، قال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنَّ لَهَا لِلِّسَانَا وَشَفَتَيْنِ تُقَدِّسُ الْمَلِكَ عِنْدَ سَاقِ الْعَرْشِ»^(١) و«مَنْ قَرَأَهَا حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ، وَكَلَّ اللَّهُ بِهِ حَافِظًا، وَلَا يَقْرُبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّى يُصْبِحَ»^(٢).

﴿الْحَيُّ﴾ الذي لا يلحقه الفناء ولا يموت.

﴿الْقَيُّومُ﴾ القائم بتدبير خلقه.

= (٩٩)، و«الكشف» لمكي (١/٣٠٥-٣٠٦)، و«الغيث» للصفافسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (١/٢٦٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٩٤).

(١) رواه مسلم (٨١٠)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل سورة الكهف وآية الكرسي، والإمام أحمد في «المسند» (٥/١٤١)، عن أبي بن كعب - رضي الله عنه -، وهذا لفظ أحمد.

(٢) رواه البخاري (٤٧٢٣)، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل سورة البقرة، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ ﴾ هي النعاسُ، وهي أولُ النومِ. قرأ الكسائي (سِنَّةً) بإمالةِ النون حيث وقفَ على هاءِ التأنيث.

﴿ وَلَا نَوْمٌ ﴾ هو غَشِيَةٌ ثَقِيلَةٌ تقع على القلب، فتمنعه معرفة الأشياء. تلخيصه: هو منزلةٌ عن جميعِ التغييرات.

﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ لأنه خلقها بما فيهما.

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ ﴾ لأن أحداً لا يقدرُ على الكلامِ يومَ القيامة. قرأ أبو عمرو (يَشْفَعُ عِنْدَهُ) بإدغام العين الأولى في الثانية، و(يَعْلَمَ مَا) بإدغام الميم في الميم^(١).

﴿ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ بأن يأذن في الكلام والشفاعة لمن شاء فيمن شاء.

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: بين أيدي ما فيهما، والمراد: ما وُجِدَ قبل خلق ما فيهما؛ كالملائكة.

﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ ما يوجدُ بعد ما فيهما. قرأ يعقوب: (أَيْدِيَهُمْ) بضم الهاء، وقرأ ابنُ كثير، وأبو جعفر: (أَيْدِيَهُمْ) واختلَفَ عن قالون (وَمَا خَلْفَهُمْ) كذلك^(٢).

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ﴾ أي: من معلوماته.

﴿ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ مِمَّا^(٣) أخبر به الرسل.

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ﴾ قال ابنُ عباس: كُرْسِيُّهُ: علمه^(٤)، وقال الحسن: هو

(١) انظر: تفسير الآية (٤) من سورة الفاتحة، والقراءة ثمة.

(٢) انظر: الآية (٧) من سورة الفاتحة.

(٣) في «ن»: «فيما».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/٣).

العرش نفسه^(١)، وقال ابن عطية^(٢): والذي تقتضيه الأحاديث أن الكرسي مخلوق عظيم بين يدي العرش، والعرش أعظم منه، قال أبو ذرٍّ - رضي الله عنه -: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ فِي فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ»^(٣) ومعنى قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي: سعةٌ مثل سعة السموات والأرض في العظم.

﴿وَلَا يَئُودُهُ﴾ لا يُثْقَلُهُ، ولا يَشُقُّ عليه.

﴿حِفْظُهُمَا﴾ أي: حفظ السماوات والأرض.

﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ المتعالي عن الأشياء والأنداد.

﴿الْعَظِيمُ﴾ الذي ليس شيء أعظم منه.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١٠١).

[٢٥٦] ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ نزلت في أهل الكتاب إذا قبلوا الجزية، وذلك أن العرب كانت أمة واحدة^(٤) أُمِيَّة، فلم يكن لهم كتاب، فلم يُقبل منهم إلا الإسلام، فأسلموا طوعاً أو كرهاً، فلما أنزل: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/٣).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٣٤٢/١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/٣)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥٨٧/٢).

(٤) «واحدة» زيادة من «ن».

أُمِرَ بِقِتَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا أَنْ يُسَلِّمُوا، أَوْ يُقَرَّبُوا بِالْجِزْيَةِ، فَمَنْ أَعْطَى مِنْهُمْ الْجِزْيَةَ، لَمْ يُكْرَهْ عَلَى الْإِسْلَامِ^(١)، وَيَأْتِي ذِكْرُ حَكْمِ الْجِزْيَةِ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - .

﴿ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ ﴾ الْحَقُّ .

﴿ مِنْ أَلْعَى ﴾ الضلال . المعنى : ظهرَ الإيمانُ من الكفرِ بالدلائل الواضحة .

﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ ﴾ وهو ما عُبدَ من دُونِ اللَّهِ .

﴿ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ ﴾ أي : تَمَسَّكَ واعتَصَم .

﴿ بِالْعُرْوَةِ ﴾ بالعقدِ الثابتِ والحُجَّةِ .

﴿ الْوُثْقَى ﴾ المحكَّمةِ الموصلةِ إلى رضا الله تعالى .

﴿ لَا انْفِصَامَ ﴾ لا انقطاع .

﴿ لَهَا ﴾ وأصل الفَصْمُ : انصداعٌ من غيرِ فصلٍ .

﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ لدعائك إياهم إلى الإسلام .

﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ بحرصِكَ على إيمانهم .

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ﴿٢٥٧﴾ .

(١) انظر : «أسباب النزول» للواحدي (ص : ٤٣) ، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٧٢) ، و«العجاب» لابن حجر (١/ ٦١٤) .

[٢٥٧] ﴿اللَّهُ وَلِيُّ﴾ أي : ناصرٌ .

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ومُغِيثُهُمْ .

﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ أي : الكفرِ .

﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمانِ .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني : اليهودَ .

﴿أُولَئِكَ أَهْمُ الظَّالِمُونَ﴾ كعبُ بنُ الأشرفِ وأصحابه .

﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ﴾ الإيمانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ .

﴿إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ الكفرِ به ؛ بأن أنكروه ، ومنعوا من اتّباعه .

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ وعيد وتحذيرٌ .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ

إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ

يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا

يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ .

[٢٥٨] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ﴾ المعنى : هل انتهى إليك خبرُ الذي

خاصمَ وجادلَ .

﴿إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ وهو نمرودُ بنُ كنعانَ بنِ كوشِ بنِ سامِ بنِ نوحٍ ،

وهو أولُ من وضعَ التاجَ على رأسه ، وتجبرَ في الأرض ، وادّعى ربوبيةً .

﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ والعاملُ في (أن) حاجٌّ ، تقديره : حاجٌّ لأنَّ

أعطاه الله الملكَ ، فطغى ، فكانت المحاجةُ من بطرِ الملكِ وطغيانه ، قال

مجاهد: ملك الأرض مؤمنان: سليمان بن داود^(١)، وذو القرنين، وكافران: نمرود وبُخت نصر.

﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ ظرف لـ «حاج»، وهذا جواب سؤال غير مذكور، قال له: من ربك؟ قال:

﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ قرأ حمزة: (رَبِّيَ الَّذِي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها^(٢).

﴿قَالَ﴾ نمرود:

﴿أَنَا أَحْيِي وَيُمِيتُ﴾ فعمد إلى رجلين، فقتل أحدهما، وترك الآخر، فجعل ترك القتل إحياء. قرأ نافع، وأبو جعفر: (أَنَا أَحْيِي) بالمد في هذا الحرف وشبهه حيث وقع^(٣). فانتقل إبراهيم إلى حجة أخرى، لا عجزاً؛ فإن حجته كانت لازمة؛ لأنه أراد بالإحياء إحياء الميت، فكان له أن يقول: فَأَحْيِي مَنْ أَمَتَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا، فانتقل إلى حجة أوضح من الأولى.

﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ﴾ أي: تحير ودُهِش.

(١) «بن داود» زيادة من «ن».

(٢) انظر: «الكشف» لمكي (١/٣٣٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (١/٢٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٩٧).

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٨٤)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٨)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (١/٢٧٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٩٧).

﴿الَّذِي كَفَرَ﴾ وانقطعت حُجَّتُهُ.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أَنفُسَهُمْ بعدمِ قبولِ الهداية، وفي انتقالِ إبراهيمَ دليلٌ على جوازِ الانتقالِ من دليلٍ إلى دليلٍ.

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ
اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ يَوْمًا أَوْ
بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ
يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى
الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا الْحَمَاءَ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ
اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٥٩).

[٢٥٩] ﴿أَوْ كَالَّذِي﴾ هذه الآيةُ منسوقةٌ^(١) على الآية الأولى، تقديره:

ألم تر إلى الذي حاجَّ إبراهيمَ، أو إلى الذي.

﴿مَرَّ﴾ هو أرميا النبي - عليه السلام - على الأصحَّ، وقيل: هو عزيز -
عليه السلام -.

﴿عَلَى قَرْيَةٍ﴾ هي بيت المقدس حينَ خَرَبُهُ بُحْتَ نَصْرَ مَلِكُ بَابِلَ بالعراق^(٢).
﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطةٌ.

﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ سقوفها، معناه: أن السقوف سقطت، ثم وقعت
الحيطان عليها. وملخصُ القصةِ على اختلافٍ فيها أن أرميا - عليه السلام -

(١) في «ن»: «مسبوقة».

(٢) في «ن»: «العراق».

كان في أيام صدقيا آخر ملوك بني إسرائيل، وكانوا قد أحدثوا المعاصي والطغيان، ونقضوا التوبة، فبقي أرميا يعظهم ويهددهم ببخت نصّر عاملٍ لهراسفَ على بابل، ولهراسفُ هو ملكُ فارس، وهم لا يلتفتون إلى وعظه، وكان أرميا قد رأى بخت نصّر قديماً وهو^(١) صبيٌّ أقرع، ورآه يأكل ويتغوّط ويقتلُ القمل، فقال له: ما هذا؟ فقال: أذى يخرج، ومنفعة تدخل، وعدوٌّ يقتل، فقال له: سيكون لك شأن، فأخذ أرميا من بُخت نصّر أماناً لبیت المقدس ومن فيه، وكتبَ له الأمان في جلدٍ، فلما صار الملكُ إلى بخت نصّر، عصى عليه صدقيا، فقصد بُخت نصّر بيت المقدس، فلما بلغَ سهولَ الرملة، وأُعلم أرميا بذلك، سار إليه، وأعطاه الأمان، فنظره وقال: هو أمانِي، ولكني مبعوثٌ، وقد أمرت أن أرميَ بسهمي، فحيثُ وقعَ سهمي، طلبتُ الموضعَ، فرمى بسهمٍ فوقَ في قبة بيت المقدس، فرجع أرميا إلى أهل القدس، وأخبرهم بذلك، وفارقهم، واختفى، ثم سار^(٢) بخت نصّر بالجيش، وكان معه ستُّ مئة ألفِ راية، ودخل بيت المقدس بجنوده، ووطىء الشامَ، وقتل بني إسرائيل، وأسرَ منهم، وسبى ذراريهم، وخرّب بيت المقدس، وأمر جنوده أن يملأ كلَّ رجلٍ منهم ترسَهُ تراباً، ثم يقدفه في بيت المقدس، ففعلوا حتى ملؤوه، وبينَ تخريب بيت المقدس على يد بخت نصّر والهجرة النبوية الشريفة ألفٌ وثلاث مئة وخمسون سنةً، فكانت هذه الواقعة الأولى التي أنزلها الله ببني إسرائيل بظلمهم بعد أن لبث

(١) في «ت»: «وهي».

(٢) في «ن»: «وسار».

بيت المقدس على العمارة السليمانية أربع مئة وثلاثاً وخمسين سنة، ثم إن الله أوحى إلى أرميا أني عامر بيت المقدس، فاخرج إليها، فخرج أرميا، وقدم إلى القدس وهي خراب، فلما رآها.

﴿قَالَ أَنِّي﴾ أي: كيف.

﴿يُحْيِ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ قاله تعجباً لا شكاً بالبعث، ثم وضع رأسه فنام.

﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ﴾ ألبثه ميتاً.

﴿مِائَةَ عَامٍ﴾ فلما مضى من موته سبعون سنة، وهي مدة لبث بيت المقدس على التخريب، أرسل الله ملكاً إلى ملك من ملوك الفرس اسمه كورش، وكان مؤمناً، وأمره بعمارة بيت المقدس، فعمره، وعاد إليه بنو إسرائيل، وعمروها ثلاثين سنة، وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه، وأهلك الله بخت نصر ببعوضة دخلت في دماغه، ولما أمات الله أرميا، كان معه حماره وسلّة فيها طعام، وهو تين وركوة فيها عصير عنب.

﴿ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ أي: أحياه، وعمر الله أرميا، فهو الذي يرى في الفلوات، وبعثه الله على السن الذي توفاه عليه بعد مئة سنة، وهو أربعون سنة، ولابنه عشر ومئة، ولابن ابنه تسعون، وأنشد في ذلك:

| | |
|--|---|
| وَأَسْوَدَ رَأْسٍ شَابَ مِنْ قَبْلِهِ ابْنُهُ | وَمِنْ قَبْلِهِ ابْنُ ابْنِهِ فَهُوَ أَكْبَرُ |
| تَرَى ابْنَ ابْنِهِ شَيْخاً يَأْبُ عَلَى عَصَا | وَلِحَيْثُ سَوْدَاءُ وَالرَّأْسُ أَشْقَرُ |
| وَمَا لِابْنِهِ حَيْلٌ وَلَا فَضْلٌ قُوَّةٌ | يَقُومُ كَمَا يَمْشِي الصَّبِيُّ فَيَعْتَرُ |
| يَعُدُّ ابْنُهُ فِي النَّاسِ تَسْعِينَ | حِجَّةً وَعِشْرِينَ لَا يَجْرِي وَلَا يَتَحَيَّرُ |

وَعُمُرُ أَبِيهِ أَرْبَعُونَ أَمْرَهَا وَلَا بِنِ ابْنِهِ فِي النَّاسِ تَسْعُونَ عُتْرُ
فَمَا هُوَ فِي الْمَعْقُولِ إِنْ كُنْتَ دَارِيًّا وَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي فَبِالْجَهْلِ تُعْذَرُ^(١)
فلما بعثه الله ﴿قَالَ﴾ له مَلَكٌ :

﴿كَمْ لَبِثْتُ﴾ مَيِّتًا .

﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا﴾ لأنه كَانَ قَدْ مَاتَ أَوَّلَ النَّهَارِ ، وَأَحْيَاهُ اللهُ بَعْدَ مِئَةِ عَامٍ
آخِرَ النَّهَارِ قَبْلَ غَيْبِيَةِ الشَّمْسِ ، فلما رَأَى بَقِيَّةَ مِنَ الشَّمْسِ قَالَ :
﴿أَوْبَعُضْ يَوْمٌ قَالَ﴾ له الْمَلَكُ :

﴿بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾ قرأ نافعٌ ، وابنُ كثيرٍ ، ويعقوبُ ، وخلفٌ ،
(لَبِثْتُ لَبِثْتُمْ) حَيْثُ وَقَعَ بِالْإِظْهَارِ ، وَالْبَاقُونَ بِالْإِدْغَامِ^(٢) ، وقرأ أبو جعفرٍ
(مِئَةً ، وَمِئَتَيْنِ ، وَفِتْنَةً ، وَفِتْنَتَيْنِ) حَيْثُ وَقَعَ بِغَيْرِ هَمْزٍ^(٣) بخلاف عنه .
﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ﴾ التِّينِ .

﴿وَشَرَابِكَ﴾ الْعَصِيرِ .

﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ يتغيرُ ، كأنه لم يَأْتِ عَلَيْهِ السَّنُونَ . قرأ حمزةٌ ،
والكسائيُّ ، ويعقوبُ ، وخلفٌ : (يَتَسَنَّ) بِغَيْرِ هَاءٍ فِي الْوَصْلِ ، فَمَنْ أَسْقَطَ
الْهَاءَ جَعَلَهَا صِلَةً زَائِدَةً ، وَقَالَ : أَصْلُهُ (لَمْ يَتَسَنَّيْ) ، فَحُذِفَ الْيَاءُ لِلْجُزْمِ ،

(١) انظر : «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٢٥/٤٠) .

(٢) انظر : «إعراب القرآن» للنحاس (٢٨٤/١) ، و«السبعة» لابن مجاهد (ص :

١٨٨) ، و«الحجة» لابن خالويه (ص : ١٠٠) ، و«الغيث» للصفارسي (ص :

١٦٩) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١٩٨/١) .

(٣) «همز» ساقطة من «ش» .

وأبدل منه هاءً في الوقف، ومن أثبت الهاء، جعلها أصليةً للام الفعل^(١).

﴿وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ فنظر، فإذا عظامٌ بيضٌ، فركبَ اللهُ العظامَ بعضها على بعض، وكساهُ اللحمَ والجلد، وأحياه وهو ينظر. تقديره: أريناك ذلك لتعلم قدرتنا. قرأ أبو عمرو، وورش، والدوريُّ عن الكسائي، وابنُ ذكوان عن ابنِ عامرٍ: (حِمَارِكَ) و(الحمار) بالإمالة حيث وقع^(٢).

﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ أي: عبرةً ودلالةً على البعث بعد الموت.

﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ قرأ عاصمٌ، وحمزة، والكسائي، وخلفٌ، وابنُ عامرٍ: (نُنْشِزُهَا) بالزاي المعجمة؛ أي: نرفعها من الأرض ونرُدُّها إلى مكانها من الجسد، يقال: نشزته فنشز؛ أي: رفعته فارْتَفَعَ، والباقون: بالراء المهملة، معناه: نُحْيِيهَا، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشُرْهُمْ﴾^(٣) [عبس: ٢٢].

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرة (ص: ١٤٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٩)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٠)، و«الكشف» لمكي (١/٣٠٨-٣٠٧)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (١/٢٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٩٩).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٩٩).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرة (ص: ١٤٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٩)، و«الكشف» لمكي (١/٣١١-٣١٠)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (١/٢٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٠٠).

﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ فعادت العظام كهيتها حية. اختلف في معنى الآية، فقال الأكثرون: المراد عظام الحمار، وقال قوم: أراد به عظام الميت نفسه، وفي الآية تقديم وتأخير، وتقديرها: وانظر إلى حمارك، وانظر إلى العظام كيف ننشرها، ولنجعلك آية للناس.

﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ^{٢٦٠}﴾ ذلك عياناً.

﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قرأ حمزة، والكسائي (قَالَ أَعْلَمُ) موصولاً مجزوماً على الأمر، معناه: قال الله له: اعلم، وقرأ الباقون: (أَعْلَمُ) بقطع الألف ورفع الميم على الخبر أنه لما رأى ذلك، قال: أعلم^(١).

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِمُتُؤْمِنٌ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبُكَ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

[٢٦٠] ﴿وَإِذْ﴾ أي: واذكر إذ.

﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ لأزداد بصيرةً، وإذا سئلتُ

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرة (ص: ١٤٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٩)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٠)، و«الكشف» لمكي (١/٣١٢-٣١٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (١/٢٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٠١).

هل رأيت إحياء الموتى؟ فأقول: نعم. قرأ ابن كثير، ويعقوب والسوسي عن أبي عمرو: (أزني) بسكون الراء^(١).

﴿قَالَ﴾ الله:

﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ مع علمه بإيمانه ليظهر إيمانه لكل سامع.

﴿قَالَ بَلَى﴾ يا رب قد علمت فآمنت.

﴿وَلَكِنْ لَيَطْمَئِنَّ﴾ أي: ليسكن^(٢).

﴿قَلْبِي﴾ ويصير علم اليقين بالاستدلال عين اليقين بالمشاهدة. تلخيصه: آمنت وأريد مشاهدة ذلك لإيمان غيري، وفي معنى قوله: ﴿وَلَكِنْ لَيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ من الأمثال الدائرة على السن^(٣) الناس: ليس المُخْبِرُ كالمعائن، وقد روي الحديث الشريف: «لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ» رواه الإمام أحمد وغيره^(٤).

﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ﴾ نسراً وطاوساً وغراباً وديكاً.

﴿فَصَرَّهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أي: قَطَّعْنَهُنَّ. قرأ أبو جعفر، وحمزة، وخلف، ورؤيس: (فَصَرَّهُنَّ) بكسر الصاد؛ أي: أَمْلَهُنَّ، والباقون: بضمها على

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٠٢).

(٢) في «ن»: «يسكن».

(٣) في «ت»: «اللسنة».

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢١٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢١٣)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٥)، والحاكم في «المستدرک» (٣٢٥٠)، عن ابن عباس - رضي الله عنهما -.

المعنى الأول^(١)، والمعنى: أملهنَّ إليك واعتبرهنَّ، ثم قَطَّعْنَهْنَ، ثم اخِلَطُ لِحَمَّهِنَّ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، ثم أَمْسَكَ رُؤُوسَهُنَّ، ثم جَزَّئَهُنَّ أَجْزَاءً.

﴿ثُمَّ أَجْعَلَ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ ﴿١﴾ مِنْ جِبَالِ أَرْضِكَ، وَكَانَتْ سَبْعَةً.

﴿مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾ ﴿٢﴾ قرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ (جُزْؤًا) بضم الزاي والهمز حيثُ وقع، وقرأ أبو جعفرٍ: بتشديد الزاي بغير همز، والباقون: بالجزم والهمز^(٢).

﴿ثُمَّ أَدْعُهُنَّ﴾ ﴿٣﴾ قُلْ لَهُنَّ تَعَالَيْنَ بِإِذْنِ اللَّهِ.

﴿يَأْتِيَنَّكَ﴾ ﴿٤﴾ ففعل، فعاد كلُّ جزءٍ إلى جسده، ثم أُتِينَ إلى رُؤُوسهنَّ.

﴿سَعِيًّا﴾ ﴿٥﴾ سريعاً.

﴿وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ ﴿٦﴾ لا يعجزُ عما يريدُ^(٣).

﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿٧﴾ في كلِّ ما يفعله.

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠١)، و«الكشف» لمكي (١/١٥٨)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (١/٢٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٢٠٢).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٥)، و«الكشف» لمكي (١/٢٤٧)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (١/٢٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٢٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٠٣).

(٣) في «ش»: «يريده».

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٦١).

[٢٦١] ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: مثل نفقات المنفقين في الجهاد، أو جميع أبواب الخير.

﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ أي: نفقاتهم تشبه حبة.

﴿أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وقالون، وأبو جعفر، ويعقوب: (أَنْبَتَتْ سَبْعَ) وشبهه حيث وقع بإظهار التاء عند السين، والباقون: بالإدغام^(١)، المعنى: يتشعب من أصلها سبع شعب، في كل شعبة سنبله.

﴿فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَعِفُ﴾ يزيد الثواب. قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب: (يُضَعِفُ) بتشديد العين بغير ألف^(٢).

﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ من المنفقين إلى ما يشاء.

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ غني يعطي من سعة.

﴿عَلِيمٌ﴾ بنية من ينفق.

(١) انظر: «المحتسب» لابن جني (١/١٣٧)، و«تفسير البغوي» (١/٢٨٢)، و«الكشاف» للزمخشري (١/١٥٩)، «إملاء ما من به الرحمن» للعكبري (١/٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٠٤).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير القرطبي» (٣/٣٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٠٤).

﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مِنْهَا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿٢٦٢﴾ .

[٢٦٢] ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ نزلت في عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنهما - حين أنفقا أموالهما في طاعة الله^(١) .

﴿ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مِنْهَا وَلَا أَذَى ﴾ لا يَمُنُّ على المنفق عليه، ولا يُعَيَّرُهُ .

﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ ﴾ أي: ثوابهم .

﴿ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ فلهم الأمن مع الفرح^(٢) .

﴿ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ ﴿٢٦٣﴾ .

[٢٦٣] ﴿ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ ﴾ ردٌ جميل .

﴿ وَمَغْفِرَةٌ ﴾ أن تستر عليه .

﴿ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى ﴾ مَنْ وتعييرٌ .

﴿ وَاللَّهُ غَنِيٌّ ﴾ عن صدقة من يَمُنُّ .

﴿ حَلِيمٌ ﴾ عن معاجلته بالعقوبة .

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/٢٨٣)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/٦٢١) .

(٢) في «ظ» و«ن»: «الفرح» .

﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابُهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾ .

[٢٦٤] ﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ﴾ أي : أجورها .

﴿بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ﴾ أي : كإبطال الذي ينفق .

﴿مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ﴾ ليقال : كريم . قرأ أبو جعفر : (رِثَا النَّاسِ) بغير همز .

﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يريد أن النفقة مع الرياء لا تكون فعل المؤمن ، وهذا للمنافق ^(١) .

﴿فَمَثَلُهُ﴾ أي : مثل نفقة المرائي بها .

﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ حجر أملس .

﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابُهُ وَابِلٌ﴾ مطر شديد .

﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ نقيًا من التراب الذي كان عليه . المعنى : مثل المانِّ والمنافق في ^(٢) صدقاتهما يوم القيامة كحجر عليه ترابٌ أزاله عنه المطر .

﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ أي : المراءون .

﴿عَلَى شَيْءٍ﴾ أي : على ثواب شيء .

(١) في «ش» : «المنافقين» .

(٢) «في» ساقطة من «ش» .

﴿مَمَّا كَسَبُوا﴾ عملوا في الدنيا.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ إلى الخير.

عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكَ الْأَصْغَرُ»، قالوا: يا رسول الله! وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرِّيَاءُ يَقُولُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ يُجَازِي الْعِبَادَ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاوُونَ فِي الدُّنْيَا، فَاَنْظَرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟!»^(١).

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَنَبُّيَةً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَتَأَنَّتْ أَكُلَهَا ضَعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[٢٦٥] ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ أي: طلب

رضوان الله.

﴿وَتَنَبُّيَةً﴾ أي: تصديقاً.

﴿مِّنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: يُخرجون الزكاة طَيِّبَةً بها نفوسهم على يقين

بالثواب وتصديق بوعده الله، يعلمون أنَّ ما أخرجوا خير لهم مما تركوا. والمعنى: مثل نفقة هؤلاء ونموها عند الله.

﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ أي: بستان.

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤٢٨/٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان»

(٦٨٣١)، عن محمود بن لبيد - رضي الله عنه - ورواه الطبراني في «المعجم

الكبير» (٤٣٠١)، عن محمود بن لبيد، عن رافع بن خديج - رضي الله عنهما -.

﴿بِرَبْوَةٍ﴾ هي المرتفعُ المستوي من الأرض، لا يعلوه الماء، ولا يعلو
عن الماء، فيكون نبتُه حسنًا. قرأ ابنُ عامرٍ، وعاصمٌ: بفتح الراء،
والباقون: بالضم^(١).

﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ مطرٌ شديدٌ كثير.

﴿فَقَانَتْ﴾ أعطت.

﴿أَكْلَهَا﴾ جَناها. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرو: (أَكْلَهَا) بجزم
الكاف، والباقون: بالضم^(٢).

﴿ضِعْفَيْنِ﴾ أي: حملت في سنة ما يجملُ غيرها في سنتين.

﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ هو المطرُ الخفيفُ الدائمُ. المعنى: إن
هذه الجنةَ ترعى، قلَّ المطرُ أو كَثُرَ، كذلك صدقةُ المؤمنِ المخلصِ تنفعه،
قَلَّتْ أو جَلَّتْ.

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٠)،
و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٢)، و«الكشف» لمكي (٣١٣/١)، و«الغيث»
للفصفاقي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (٢٨٦/١)، و«التيسير» للداني
(ص: ٨٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٣٢/٢)، و«معجم
القراءات لقرآنية» (٢٠٦/١).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٠)،
و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٢)، و«الكشف» لمكي (٣١٤-٣١٣/١)، و«الغيث»
للفصفاقي (ص: ١٦٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٣)، و«النشر في
القراءات العشر» لابن الجزري (٢١٦/٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي
(ص: ١٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٠٧/١).

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تحذير عن الرياء .

ويتصل بقوله تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطِلُوا صَدَقَتَكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ قوله تعالى :

﴿أَيُّدُ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ .

[٢٦٦] ﴿أَيُّدُ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ﴾ جمع نخيل .

﴿وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا﴾ رزق .

﴿مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ وخُصَّ النخيلُ والأعنابُ بالذكرِ تفضيلاً لهما .

﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ﴾ أي : أولاد .

﴿ضُعَفَاءُ﴾ صغار .

﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾ ريحٌ عاصفٌ ترتفعُ إلى ^(١) السماء كالعمود .

﴿فِيهِ نَارٌ﴾ المعنى : أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَمْلِكَ جَنَّةً فِي غَايَةِ الْجَوْدَةِ

يَدْخُرُهَا لِفَاقَتِهِ ، فَأَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَيْهَا ^(٢) أَصَابَتْهَا نَارُ .

﴿فَاحْتَرَقَتْ﴾ فَبَقِيَ مُتَحِيرًا مُّحْتَاجًا ، لَا يَجِدُ مَا يَعُودُ بِهِ عَلَيْهِ ، كَذَلِكَ

(١) «إلى» ساقطة من «ش» .

(٢) «إليها» ساقطة من «ش» .

المرائي بعمله، أحوَجَ ما يكونُ إليه لا ينفعُهُ . تلخيصُهُ : من عملَ لغيرِ الله ،
ندَمَ حينَ لا ينفعُ^(١) الندم .

﴿ كَذَلِكَ ﴾ أي : كهذا البيانِ الذي بُيِّنَ فيما تقدَّمَ .

﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ ﴾ أي : الدلالاتِ التي تحتاجون إليها .

﴿ لَمَلَكْكُمْ تَنفَكُّوْنَ ﴾ فتعتبرون .

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ
مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِكَافِرِينَ إِلَّا أَن تَغْمِضُوا
فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَكِيمٌ ﴾ [٢٦٧] .

[٢٦٧] ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ ﴾ حلالاتِ .

﴿ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ بالتجارة والصنعة .

قال ﷺ : « إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ ، وَإِنَّ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ »^(٢) ،
واستدلَّ الإمامُ أحمدُ - رضي الله عنه - بهذا الحديث ، وبقوله ﷺ : « أَنْتَ
وَمَالُكَ لِأَبِيكَ »^(٣) على أن للرجل أن يأخذَ من مالِ ولده ما شاء ، ويتملكهُ ،

(١) في «ت» : «لا ينفعه» .

(٢) رواه النسائي (٤٤٥٢) ، كتاب : البيوع ، باب : الحث على الكسب ، وابن ماجه (٢١٣٧) ، كتاب : التجارات ، باب : الحث على المكاسب ، والإمام أحمد في «المسند» (٣١/٦) ، وغيرهم عن عائشة - رضي الله عنها - .

(٣) رواه أبو داود (٣٥٣٠) ، كتاب : الإجارة ، باب : في الرجل يأكل من مال ولده ، وابن ماجه (٢٢٩٢) ، كتاب : التجارات ، باب : ما للرجل من مال ولده ، والإمام أحمد في «المسند» (١٧٩/٢) ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - .

مع حاجته وعدمها، في صغر الولد وكبره، بشرط ألا تتعلق حاجة الابن به،
وألا يعطيه لولد آخر، وهو من مفردات مذهبه التي خالف فيها الثلاثة.

﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ من الحبوب والثمر.

﴿وَلَا تَيْمَمُوا﴾ تقصّدوا. قرأ البرزّي عن ابن كثير: بتشديد التاء في

الوصل^(١).

﴿الْخَيْثَ﴾ الرديء.

﴿مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِأَخِيذِهِ﴾ يعني: الخيث.

﴿إِلَّا أَنْ تُغِضُوا فِيهِ﴾ أي: تتسامحوا في أخذه، وأصل الإغماض:

غضُّ البصر. المعنى: إنكم لا تأخذونه إلا في حال الإغماض.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن صدقاتكم.

﴿حَمِيدٌ﴾ محمودٌ في أفعاله.

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ

مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

[٢٦٨] ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمْ﴾ يُخَوِّفُكُمْ.

﴿الْفَقْرَ﴾ بأن يقول: إن تصدّقتم، افتقرتم، والفقْر: شرُّ الحال، وقلة

ذات اليد.

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٦)، و«الكشف» لمكي (١/٣١٤-٣١٥)،

و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (١/٢٩١)، و«التيسير»

للداني (ص: ٨٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدبياطي (ص: ١٦٤)، و«معجم

القراءات القرآنية» (١/٢٠٨).

﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ بالبخل ومنع الزكاة، وكلُّ فحشاء في القرآن فهو الزنا إلا هذا.

﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ لذنوبكم.

﴿وَفَضْلًا﴾ خلفاً مما أنفقتم.

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ غنيٌّ.

﴿عَلِيمٌ﴾ بما ينفق.

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٢٦٩).

[٢٦٩] ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ أي: العلم النافع، وقيل غيره.

﴿مَن يَشَاءُ﴾ وأصل الحكمة: المنع، ثم استعملت للمنع مع إصلاح.

﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ قرأ يعقوب: (وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ) بكسر التاء^(١)؛ أي: من يؤته الله الحكمة، وإذا وقف، أثبت الياء. تلخيصه: من أعطى ما يدخله الجنة ﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ يتعظ.

(١) انظر: «المحتسب» لابن جني (١/١٤٣)، و«تفسير البغوي» (١/٢٩٣)، و«الكشاف» للزمخشري (١/١٦٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢١٠).

﴿إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ذوو العقول.

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٢٧٠).

[٢٧٠] ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾ في طاعة أو معصية.

﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾ أَوْجَبْتُمُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، والنذر: هو إلزامٌ مكلّفٍ مختارٍ نفسه لله تعالى شيئاً بقولٍ غير لازمٍ بأصل الشرع، فإذا نذرَ في طاعة، انعقد ولزمه فعله بالاتفاق، وإذا نذرَ في معصية، لم يَجْزِ الوفاءُ به بالاتفاق، ويلزمه عند أحمد كفارة يمين؛ خلافاً للثلاثة.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا﴾ يحفظه، فيجزّيكم به.

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ الواضعين الصدقة في غير محلّها.

﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ أعوانٍ يدفعون عذابَ الله عنهم.

﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢٧١).

[٢٧١] ﴿إِنْ تُبْدُوا﴾ أي: تظهروا.

﴿الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ أي: نعم الخصلة. قرأ أبو عمرو، وقالون،

وأبو بكر: بكسر النون، واختلاس كسرة العين، وابنُ عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف: بفتح النون، وكسر العين، وأبو جعفر، بكسر النون،

وسكون العين، وتخفيف الميم، والباقون: بكسر النون والعين، وكلها لغاتٌ صحيحة^(١).

﴿وَلِنْ تَخْفُوها﴾ تستروها.

﴿وَوُتُوها﴾ أي: تعطوها.

﴿الْفُقَرَاءُ﴾ سِرّاً.

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وأفضل، في الحديث: «صَدَقَةُ السَّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ»^(٢) قيل: هذا في صدقة^(٣) التطوع، وأما الزكاة، فإظهارها أفضل؛ ليقْتَدَى به.

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٩٠)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٦-١٤٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٢)، و«الكشف» لمكي (١/٣١٦)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (١/٢٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٤)، و«النشر» في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٥-٢٣٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢١٠-٢١١).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/٤٢١)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٠٢)، عن معاوية - رضي الله عنه -. ورواه الحاكم في «المستدرک» (٦٤١٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٩٩)، عن جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه -. وروى الترمذي (٦٦٤)، كتاب: الزكاة، باب: ما جاء في فضل الصدقة، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - بلفظ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ لِتُطْفِئَ غَضَبَ الرَّبِّ، وَتُدْفِعَ مِيتَةَ السَّوْءِ» وقال: حسن غريب. وفي الباب: عن أبي سعيد الخدري، وأبي أمامة - رضي الله عنهما -. وأسانيدُها ضعاف، انظر: «التلخيص الحبير» لابن حجر (٣/١١٤).

(٣) في «ت»: «الصدقة».

﴿وَيُكَفِّرُ﴾ يخفف.

﴿عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ يعني: الصغائر من الذنوب. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وأبو بكر: بالنون، ورفع الراء؛ أي: ونحن نكفر، وابن عامر، وحفص: بالياء والرفع؛ أي: ويكفر الله، ونافع، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو جعفر: بالنون وجزم الراء نسقاً على الفاء التي في قوله: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؛ لأن موضعها جزمٌ بالجزاء^(١).

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ترغيب في الإسرار.

قال سعيد بن جبیر: كانوا يتصدقون على فقراء أهل الذمة، فلما كثر فقراء المسلمين، قال رسول الله ﷺ: «لا تتصدقوا إلا على أهل دينكم» فنزل قوله تعالى^(٢):

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٩١)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٧-١٤٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٢)، و«الكشف» لمكي (١/٣١٦-٣١٧)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (١/٢٩٤)، و«تفسير القرطبي» (٣/٣٣٥-٣٣٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٦)، و«تفسير الرازي» (٢/٣٥٢)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/٣٢٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢١٢-٢١٣).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/٢٩٥)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/٦٣١)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/٨٧).

﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نَفْسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [٢٧٢].

[٢٧٢] ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ ﴾ أي: لا يلزمك.

﴿ هُدَاهُمْ ﴾ هدى التوفيق، وعليك هدى البيان، فلا تمنعهم الصدقة لِيُسَلِّمُوا.

﴿ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ فأعطوهم بعد نزول الآية.

﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ ﴾ أي: مالٍ.

﴿ فَلَا نَفْسِكُمْ ﴾ ثوابه لا لغيركم.

﴿ وَمَا تُنْفِقُونَ ﴾ (ما) بمعنى النهي؛ أي: لا تنفقوا.

﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ ﴾ في أهل الذمة، (ما) هذه شرط كالأول، ولذلك حذف النون منها.

﴿ يُؤَفَّ ﴾ أي: يؤدّ.

﴿ إِلَيْكُمْ ﴾ ثوابه.

﴿ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ تنقصون من ثواب أعمالكم شيئاً، هذا في صدقة التطوع توضع في المسلمين وأهل الذمة بالاتفاق، أما المفروضة فلا توضع إلا في المسلمين في الأصناف الثمانية، وجوز أبو حنيفة وحده وضع صدقة الفطر في أهل الذمة.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (٢٧٣).

[٢٧٣] ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ أي: صدقاتكم للفقراء.

﴿الَّذِينَ أَحْصَرُوا﴾ أي: حبسوا نفوسهم عن التصرف للتعبّد.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهم أهل الصّفة كانوا زهاء أربع مئة يسكنون المسجد، يَرَضُّخُونَ النوى نهاراً؛ أي: يكسرونه ويأخذون عليه الأجرة، ويصرفونها في النفقة، ويقرؤون القرآن ليلاً، يخرجون في كلِّ سَرِيَّةٍ يبعثها النبي ﷺ.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا﴾ سيراً.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ لكثرة أعدائهم من كثرة ما جاهدوا.

﴿يَحْسَبُهُمُ﴾ قرأ أبو جعفر، وابنُ عامر، وعاصم، وحمزة: بفتح السين، والباقون: بالكسر^(١).

﴿الْجَاهِلُ﴾ بحالهم.

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٣)، و«الكشف» لمكي (٣١٨-٣١٧/١)، و«الغيث» للصفارسي (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (٢٩٦/١)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٣٦/٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢١٤/١).

﴿ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ عن السؤالِ وقناعتِهِمْ ، والعِفَّةُ : هي حصولُ
حالةٍ للنفسِ تمتنعُ بها عن غلبةِ الشهوةِ .

﴿ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾ بعلامتهمِ التواضعِ .

﴿ لَا يَسْتَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ أي : إلحاحاً .

﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ وعليه مُجَازٍ .

﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ
أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿٢٧٤﴾ .

[٢٧٤] ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ نزلت
في عليٍّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، كانت عنده أربعة دراهم لا يملكُ
غيرها ، فتصدقَ بدرهم ليلاً ، وبدرهم نهاراً ، وبدرهم سراً ، وبدرهم
علانية^(١) .

﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ تلخيصه : من
أنفقَ لله يَثْبُبَ مع الأمنِ والفرحِ .

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ
الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ

(١) انظر : «أسباب النزول» للواحدي (ص : ٤٧) ، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٩٨) ،
و«العجاب» لابن حجر (١/ ٦٣٤) .

وَحَرَّمَ الرِّبَاَ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ
وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ .

[٢٧٥] ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَاَ﴾ أي: يعاملون به، وخصَّ بالأكل؛
لأنه معظمُ المقصود، والربا لغة: الزيادة. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف:
(الربا) بالإمالة حيث وقع^(١).

﴿لَا يَقُومُونَ﴾ من قبورهم .

﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ﴾ أي: إلا قياماً مثل قيام .

﴿الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ﴾ أي: يضربه ويصرعه .

﴿الشَّيْطَانُ﴾ والخبط: الضربُ على غير استواء .

﴿مِنَ الْمَسِينِ﴾ أي: الجنون . ومعناه: أن أكل الربا يُبعثُ يومُ القيامةِ وهو
كمثلِ المصروع .

﴿ذَلِكَ﴾ أي: العذابُ النازلُ بهم .

﴿يَأْنَهُمْ قَالُوا﴾ أي: بسببِ قولهم:

﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ لأنه كان إذا حلَّ على رجلٍ مالٌ، يقولُ لغريمه:
زِدْنِي فِي الْأَجَلِ، وأزيدُكَ في الربحِ، فيفعلانِ ذلكَ، ويقولان: سواءٌ علينا
الزيادةُ في أولِ البيعِ وعندَ المحلِّ لأجلِ التأخيرِ، فكذبهم الله تعالى بقوله:
﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ هذا تصريحٌ أن القياسَ يبطله النصُّ؛ لأنه

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٠)، و«تفسير الرازي» (١/٣٥٧)،
و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢١٥).

جعلَ الدليلَ على بطلانِ قياسِهِم تحليلَ الله وتحریمه .

﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ﴾ أي : بلغه موعظةٌ تذكيرٌ وتخويفٌ .

﴿مَنْ رَئِيَهُ فَأَنْنَهَى﴾ عن أكلِ الربا .

﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ أي : مضى من ذنبه قبلَ النهي مَعْفُوٌّ عنه .

﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ فيما يأمره وينهاه ، وليس له شيء من أمر نفسه .

﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلى الربا بعدَ النهي .

﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ عن جابر قال : «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَكَلَ الرَّبَا وَمُوكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدِيهِ، وَقَالَ : هُمْ سَوَاءٌ»^(١) ، وقد اتفق الأئمة على تحريم الربا ، وجواز البيع ؛ لنصِّ الكتابِ والسنةِ فيهما ، والبيعُ مصدرٌ بعْتُ ، يقال : باعَ يبيعُ بمعنى : ملكَ ، واشتقاقه من الباع ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ من المتعاقدين يمدُّ باعه للأخذِ والعطاء ، ومعناه لغةً : إعطاءُ شيءٍ ، وأخذُ شيءٍ ، وشرعاً : مبادلةُ المالِ بالمالِ لغرضِ التملكِ ، ويصحُّ بالإيجابِ والقبولِ بالاتفاق ، فيقولُ البائعُ : بعْتُكَ ، أو مَلَكْتُكَ ، ويقولُ المشتري : ابْتَعْتُ ، أو قَبِلْتُ ونحوهما ، واختلفوا في المعاطاة مثلَ أن يقول : أَعْطِنِي بهذا الدينار خَبِزاً^(٢) ، فيعطيه ما يُرضيه ، أو يقولُ البائعُ : خذْ هذا بدرهم ، فيأخذه ، فقال الشافعيُّ : لا يصحُّ ، وقال الثلاثة : يصحُّ ؛ لأنه يدلُّ على الرضا المقصودِ من الإيجابِ والقبولِ .

(١) رواه مسلم (١٥٩٨) ، كتاب : المساقاة ، باب : لعن أكل الربا وموكله ، عن

جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - .

(٢) «خبزاً» ساقطة من «ش» .

﴿يَمَحُقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ ﴿٢٧٦﴾ .

[٢٧٦] ﴿يَمَحُقُ﴾ أي: ينقصُ.

﴿اللَّهُ الرِّبَا﴾ ويذهبُ بركته.

﴿وَيُرِي﴾ أي: يزيدُ.

﴿الصَّدَقَتِ﴾ ويُباركُ فيها. في الحديث: «ما نقصتُ زكاةً من مالٍ قطُّ»^(١).

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ بتحريم الربا.

﴿أَثِيمٍ﴾ مُصِرٌّ على الإثم^(٢)، فاجرٍ بأكليه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٢٧٧﴾ .

[٢٧٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من آتٍ .
﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على فائتٍ .

ونزلَ في المنعِ من المطالبةِ ببقايا الربا قوله تعالى:

(١) رواه مسلم (٢٥٨٨)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - بلفظ: «ما نقصت صدقة من مال» .

(٢) في «ن»: «الربا» .

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٢٧٨﴾ .

[٢٧٨] ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ أي كاملي الإيمان .

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتِغُوا فَلَكَمَّ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ ﴿٢٧٩﴾ .

[٢٧٩] ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا ﴾ تَذَرُوا ما بقي من الربا .

﴿ فَأْذَنُوا ﴾ . قرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم : (فَأْذَنُوا) بالمد على وزن آمِنُوا ؛ أي : فأعلموا غيركم أنكم حربُ الله ورسوله ، وقرأ الباقون : مقصوراً بفتح الذال ؛ أي : فاعلموا أنتم وأيقنوا^(١) .

﴿ بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ ﴾ عن ابن عباس : «يُقَالُ لِأَكِلِ الرَّبَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ : خُذْ سِلَاحَكَ لِلْحَرْبِ»^(٢) ، وَحَرْبُ اللَّهِ النَّارُ ، وَحَرْبُ رَسُولِهِ السَّيْفُ .
﴿ وَإِن تُبْتِغُوا ﴾ عن الربا .

﴿ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ ﴾ التي أُرِيْتُمْ بها .

﴿ لَا تَظْلِمُونَ ﴾ بطلب الزيادة .

- (١) انظر : «الحجة» لأبي زرعة (ص : ١٤٨) ، و«السبعة» لابن مجاهد (ص : ١٩٢) ، و«الحجة» لابن خالويه (ص : ١٠٣) ، و«الكشف» لمكي (٣١٨/١) ، و«الغيث» للصفارسي (ص : ١٧٠) ، و«تفسير البغوي» (٣٠٣/١) ، و«التيسير» للداني (ص : ٨٤) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٦) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلماتي (ص : ١٦٥) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢١٧) .
- (٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/١٠٢) ، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/٥٥٠) .

﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بأن تنقصوا عن رأس المال، وهذا خبرٌ بمعنى النهي .
فلما نزلت هذه الآية، قال المُزْبُونُ: لا طاقةَ لنا بحربِ الله ورسوله،
ورَضُوا برأسِ المال، فشكا بنو المغيرةِ العسرةَ، وقالوا: أَخْرُونَا إِلَى أَنْ
تدركَ الغلالُ، فَأَبَوْا، فَأَنْزَلَ اللهُ^(١):

﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢٨).

[٢٨٠] ﴿وَإِنْ كَانَ﴾ أي: الذي عليه الدينُ.

﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾ يعني: معسراً، والعسرُ: ضدُّ اليسر. قرأ أبو جعفر: بضم
السين، والباقون: بالجزم^(٢).

﴿فَنَظِرَةٌ﴾ أي: إمهال.

﴿إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ إلى وقتِ يسرٍ. قرأ نافعٌ: بضم السين، والباقون: بالفتح^(٣).

﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾ بتركِ رؤوسِ الأموال، أو بعضها للمعسرِ.

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٤٩).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣٠٤/١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
(٢/٢٣٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديمياطي (ص: ١٦٥)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٢١٨/١).

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢٩٥/١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص:
١٠٣)، و«الكشف» لمكي (٣١٩/١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٠)،
و«تفسير البغوي» (٣٠٤/١)، و«التييسير» للداني (ص: ٨٥)، و«النشر في
القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديمياطي
(ص: ١٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢١٩/١).

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خيرٌ لكم، فتعملون به، فجعل من علم ولم يعمل كمن لم يعلم. قرأ عاصمٌ: (تَصَدَّقُوا) بتخفيف الصاد، والباقون: بتشديدها^(١)، قال عليه السلام: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٢)، فإذا أقامَ المفلسُ البيَّنةَ بإعساره، فقال أبو حنيفة: لا يحولُ القاضي بينهُ وبينَ غُرمائه بعدَ خروجه من الحبس، ويلازمونه، ولا يمنعونهُ من التصرُّفِ والسفر، ويأخذونَ فضلَ كسبه بينهم بالحصص، وقال صاحبه: إذا فَلَسهُ القاضي، حالَ بينهُ وبينَ الغرماء، وهذا بناءً على صحةِ القضاءِ بالإفلاس^(٣)، فيصحُّ عندهما؛ خلافاً لأبي حنيفة؛ لأن الإفلاسَ عنده لا يتحقَّقُ، وقال الأئمةُ الثلاثةُ كقولِ صاحبين، ولا تُقبلُ بينهُ الإعسارُ عندَ أبي حنيفة إلا بعدَ الحبس، وعند الثلاثة: تُقبلُ قبله.

﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

[٢٨١] ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوبُ:

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٣)، و«الكشف» لمكي (١/٣١٩)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (١/٣٠٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديماطي (ص: ١٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٢٠).

(٢) رواه مسلم (١٥٦٣)، كتاب: المساقاة، باب: فضل إنظار المعسر، عن أبي قتادة - رضي الله عنه -.

(٣) في «ش»: «بالفلاس».

(تَرْجِعُونَ) بفتح التاء؛ أي: تصيرون إلى الله، وقرأ الباقون بالضم وفتح الجيم؛ أي: تُرَدُّون إلى الله^(١).

﴿ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص ثواب، وتضعيف عقاب. قال ابن عباس: «هذه آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ»^(٢)، فقال جبريل: ضَعَهَا عَلَى رَأْسِ مِثْنَيْنِ وَثَمَانِينَ آيَةً مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ^(٣)، وعاش بعدها رسول الله ﷺ أحدًا وعشرين يوماً، ومات يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول حين زاغت الشمس سنة إحدى عشرة من الهجرة، وله ثلاث وستون سنة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٣)، و«الكشف» لمكي (٣١٩/١-٣٢٠)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (٣٠٦/١)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٢٠).

(٢) رواه البخاري (٤٢٧٠)، كتاب: التفسير، باب: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣٠٦/١).

إِحْدَهُمَا الْآخَرَىٰ وَلَا يَأْبُ الشُّهْدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ
كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَدَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا
إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجْرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا
تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا
فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ .

[٢٨٢] ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾ تعاملتم .

﴿بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ مدة معلومة، قال ابن عباس: «لَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ
الرَّبَّاءَ، أَبَاحَ السَّلَمَ، وَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ السَّلَفَ الْمَضْمُونِ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَدْ
أَحَلَّهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَأَذِنَ فِيهِ»^(١)، واختلف الأئمة في السلم على حكم
الحلول، فقال الشافعي: يصح، وقال الثلاثة: لا يصح إلا مؤجلاً، فعند
أبي حنيفة وأحمد يكون الأجل له وقع في الثمن؛ كالشهر ونحوه، وعند
مالك إلى مدة تختلف فيها الأسواق عرفاً؛ كخمسة عشر يوماً.

﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ ديناً كان أو قرضاً، وهذا أمر استحباب عند الأكثر .

﴿وَلْيَكْتُبْ﴾ كاتب الدين .

﴿بَيْنَكُمْ﴾ أي: بين الخصمين .

﴿كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ أي: بالحق .

(١) رواه الإمام الشافعي في «مسنده» (ص: ١٣٨)، وعبد الرزاق في «المصنف»

(١٤٠٦٤)، والحاكم في «المستدرک» (٣١٣٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى»

(١٨/٦) .

﴿وَلَا يَأْبَ﴾ لا يمتنع.

﴿كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ هذا نهى عن الامتناع من الكتابة.

﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ تلك الكتابة.

﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ بأن يُقرّر بلسانه ليعلم ما عليه.

﴿وَلْيَتَّقِ﴾ المُملّي.

﴿اللَّهُ رَبُّهُ وَلَا يَبْخَسُ﴾ أي: لا ينقص.

﴿مِنْهُ﴾ أي: من الحق.

﴿شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا﴾ أي: جاهلاً بالإملاء.

﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ عن الإملاء لصغير أو كبير.

﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ لخرس أو عُجْمَة ونحو ذلك، المعنى: إذا عجزَ مَنْ عليه الحقُّ عن الإملاء. قرأ أبو جعفر: (أَنْ يُمِلَّ هُوَ) بسكون الهاء^(١).

﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ﴾ أي: قِيَمُهُ أو ترجمانه.

﴿بِالْعَدْلِ﴾ بالصدق، والحق، وقيل: وليُّه: صاحبُ الحق؛ لأنه أعلم^(٢) بحقه.

﴿وَأَسْتَشْهِدُوا﴾ اطلبوا.

(١) انظر: «إملاء ما من به الرحمن» للعكبري (١/٦٩)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/٣٤٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٢٢).

(٢) «أعلم» ساقطة من «ش».

﴿شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمُ﴾ الأحرار البالغين العقلاء المسلمين يشهدان على الدَّينِ، وجَوَّزَ أحمدُ شهادةَ العبدِ حتَّى في حَدِّ وقودٍ، وشهادةَ الذمِّيِّ على المسلمِ، والذمِّيُّ في الوصيةِ في السفرِ، وسيأتي في سورة المائدة - إن شاء الله تعالى -، وجوز أبو حنيفةُ شهادةَ الكفارِ بعضهم على بعضٍ على اختلافٍ مللهم، وخالفهما مالكٌ والشافعيُّ.

﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا﴾ أي: الشاهدان.

﴿رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ﴾ أي: فليشهد رجلٌ.

﴿وَأَمَّا تَكَانِ﴾ وشهادةُ النساءِ مع الرجالِ في الأموالِ جائزةٌ بالاتفاق، وعند الثلاثةِ يثبتُ المالُ بالشاهدِ واليمينِ؛ خلافاً لأبي حنيفةَ، وعند مالكٍ يثبتُ المالُ بشهادةِ امرأتينِ ويمينِ المدَّعي؛ خلافاً للثلاثةِ، ومئةُ امرأةٍ عندهُ كامرأتينِ، وتقبلُ شهادةُ أحدِ الزوجينِ للآخر عندَ الشافعي؛ خلافاً للثلاثةِ، وأما في غير الأموالِ، فتجوزُ شهادةُ النساءِ مع الرجالِ في غيرِ العقوبات؛ كالنكاحِ ونحوه عند أبي حنيفةٍ فقط، وما لا يطَّلَعُ عليه الرجالُ غالباً؛ كعيوبِ النساءِ تحتِ الثيابِ، والرِّضَاعِ، والاستهلالِ، والبركةِ، والثبوبةِ، ونحوها يثبتُ عندَ الشافعيِّ بشهادةِ رجلٍ وامرأتينِ، وشهادةِ أربعِ نسوةٍ، وعند مالكٍ بشهادةِ امرأتينِ، ويثبتُ ما عدا الرِّضَاعَ عندَ أبي حنيفةٍ بشهادةِ امرأةٍ واحدةٍ، وأما الرِّضَاعُ، فلا يُقبلُ فيه شهادةُ النساءِ منفرداتٍ، ويثبتُ الجميعُ حتَّى الرِّضَاعُ عندَ أحمدَ بشهادةِ امرأةٍ واحدةٍ، ولو كانت هي المرضعةُ، واتفقوا على عدم جوازِ شهادةِ النساءِ في العقوباتِ.

﴿مِمَّنْ رَضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ أي: من كان مَرْضِيّاً في ديانته وأمانته.

﴿أَنْ تَضِلَّ﴾ أي: لأن تَضِلَّ، أي: تنسى.

﴿إِحْدَهُمَا فَتَذَكَّرَ إِحْدَهُمَا الْأُخْرَى﴾ المعنى : إذا نسيت إحداهما ، ذَكَرَتْهَا الأُخْرَى . قرأ عاصمٌ ، وابن عامرٌ ، والكسائيُّ ، وخلفٌ ، وروحٌ عن يعقوبَ (الشُّهْدَاءُ أَنْ) بتحقيقِ الهمزتين ، وقرأ نافعٌ ، وأبو عمرو ، وابنُ كثيرٍ ، وأبو جعفرٍ ، ورؤيسٌ عن يعقوبَ : بتحقيقِ الأولى وتسهيلِ الثانية بأن تبدلَ ياءٌ محضةً ، وقرأ حمزةٌ : (إِنْ) بكسرِ الألفِ ، (فَتَذَكَّرُ) برفعِ الراءِ مشدداً ، ويعقوبُ : (فَتَذَكَّرَ) بالتخفيف وفتحِ الراءِ ، وقرأ نافعٌ ، وابنُ عامرٍ ، وأبو جعفرٍ ، وعاصمٌ ، والكسائيُّ ، وخلفٌ : (فَتَذَكَّرَ) بفتحِ الذالِ والتشديدِ وفتحِ الراءِ ، مع اتفاقهم على فتحِ الألفِ في : (أَنْ تَضِلَّ) سوى حمزةٍ كما تقدَّم^(١) .

﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهْدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ لتحملِ الشهادة . قرأ عاصمٌ ، وحمزةٌ ، والكسائيُّ ، وخلفٌ ، وابنُ عامرٍ ، وروحٌ عن يعقوبَ : (الشُّهْدَاءُ إِذَا) بتحقيقِ الهمزتين ، والباقون : بالتسهيل ، وهو إبدالِ الثانية واواً خالصةً مكسورة^(٢) ، فتحملُ الشهادةَ فرضُ كفايةٍ ، وأداؤها إذا تعينت فرضُ عينٍ ، ولا يحلُّ أخذُ أجرَةٍ عليها بالاتفاق .

-
- (١) انظر : «الحجة» لأبي زرعة (ص : ١٥٠) ، و«السبعة» لابن مجاهد (ص : ١٩٤) ، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٢٠-٣٢١) ، و«الغيث» للصفاسي (ص : ١٧٠-١٧١) ، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٠٩-٣١٠) ، و«التيسير» للداني (ص : ٨٥) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٦) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص : ١٦٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٢٢-٢٢٤) . وضبط في «معجم القراءات» قراءة يعقوبَ : فَتَذَكَّرَ ، بضمِ التاء .
- (٢) انظر : «الغيث» للصفاسي (ص : ١٧١) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص : ١٦٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٢٤) .

فعند أبي حنيفة إذا طلبه المدعي، وكان قريباً من القاضي، لزمه المشي إليه، وإن كان بعيداً أكثر من نصف يوم لا يَأْتُمُّ بتخلُّفه؛ لأنه يلحقه الضرر، وإن كان الشاهد يقدر على المشي، فأركبه المدعي من عنده، لا تقبل شهادته؛ وإن كان لا يقدر، فأركبه، لا بأس به.

وعند مالك يلزمه الأداء من نحو البريدين، وإن كانا اثنين، ولا تحلُّ إحالته على اليمين، وإن لم يجتزِ الحاكمُ باثنين، فعلى الثالث، ولا يلزم من أبعد، ولا يجوز أن ينتفع منه فيما يلزمه إلا في ركوب إن لم يكن له دابة، وعسر مشيه، ويجوز فيما لا يلزمه^(١) أن يقام بما يتكلفه من دابة ونفقة، عجز أو لم يعجز.

وعند الشافعي إن كان القاضي معه في البلد، لزمه المشي إليه، وإن كان يأتيه من مسافة العدوى فما فوقها، فله طلبُ نفقة المراكب.

قال البغوي من أصحابه: وكذا نفقة الطريق.

وعند أحمد إذا دُعي إليها وقدر بلا ضرر يلحقه، لزمه الأداء، فعليه أن يقوم بها على القريب والبعيد، و^(٢) لا يسعه التخلف عن إقامتها، ويحرم أخذ أجره وجُعِلَ عليها مطلقاً، ولكن إن عجز عن المشي، وتأذى به، فله أخذ أجره مركوب^(٣).

وتشترط عدالة الشاهد^(٤) عند الثلاثة.

(١) في «ش»: «ويجوز فيما يلزمه».

(٢) الواو زيادة من «ت».

(٣) في «ت»: «مركب».

(٤) في «ن»: «العدالة للشاهدين».

وقال أبو حنيفة: يقتصرُ في المسلم على ظاهرِ عدالتهِ إلا في الحدودِ والقصاص، فإن طعنَ الخصمُ فيه، سأل عنه.

وقال صاحبه: يُسألُ عنهم في جميع الحقوق سِرّاً وعلانيةً، وعليه الفتوى.

﴿وَلَا تَسْمُوا﴾ أي: تملؤا.

﴿أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾ أي: الحق.

﴿صَغِيرًا﴾ كان الحق.

﴿أَوْ كَبِيرًا﴾ قليلاً كان أو كثيراً.

﴿إِلَى أَجَلِهِ﴾ المعلوم.

﴿ذَلِكُمْ﴾ الكتاب.

﴿أَقْسَطُ﴾ أعدل.

﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ لأنه أمر به.

﴿وَأَقُومُوا لِلشَّهَادَةِ﴾ أي: أعون؛ لأن الكتابة تذكّر الشهود.

﴿وَأَدْنَى﴾ أقرب.

﴿أَلَا تَرْتَابُونَ﴾ تشكّوا في الشهادة.

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً﴾ قرأ عاصم: بالنصب فيهما على خبر كان؛ أي: إلا أن تكون التجارة تجارة.

وقرأ الباقر: بالرفع، وله وجهان: أحدهما: أن يُجعلَ الكونُ بمعنى الوقوع، معناه: ألا تقع تجارة، والثاني: أن يُجعلَ الاسمُ في التجارة،

والخبرُ في الفعل^(١)، وهو قوله:

﴿حَاضِرَةٌ تُدِيرُونَهَا﴾ المعنى: إلا أن تكونَ التجارةُ حاضرةً يداً بيدٍ تُديرونها.

﴿بَيْنَكُمْ﴾ ليسَ فيها أَجَلٌ.

﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ يعني: التجارة.

﴿وَأَشْهَدُوا﴾ على التبايع.

﴿إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ فإنه أدفعُ للاختلاف، وهذا أمرٌ ندبٌ عندَ الأكثر.

﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ نهى عن مُضَارَّةِ الكاتبِ^(٢) والشَّهيدِ،

المعنى: إذا كانا مشغولينِ ويوجدُ غيرُهما، فلا يُضَارَّانِ بإبطالِ شُغْلِهِمَا.

قرأ أبو جعفرٍ (يُضَارُّ) بإسكانِ الراء، والباقون: بالنصبِ والتشديد^(٣).

﴿وَأِنْ تَفْعَلُوا﴾ الضَّرَارَ.

﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ﴾ أي: معصيةٌ.

﴿بِكُمْ﴾ وخروجٌ عن الأمرِ.

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣٠٠/١)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص:

١٥٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص:

١٠٣)، و«الكشف» لمكي (٣٢٢-٣٢١/١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص:

١٧١)، و«تفسير البغوي» (٣١٠/١)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«النشر

في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٣٧/٢)، و«إتحاف فضلاء البشر»

للدمياطي (ص: ١٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٢٥/١).

(٢) في «ت»: «الكتاب».

(٣) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٣٥٤/٢)، و«إتحاف فضلاء البشر»

للدمياطي (ص: ١٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٢٥/١).

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ المعنى: اجتنبوا معصية الله يُعَرِّفْكُمْ طُرُقَ فَلَاحِكُمْ. تلخيصه: من راقب الله، أرشده.

﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ كرَّرَ لفظَ الله في الجمل الثلاث لاستقلالها؛ فإن الأولى حَتْ عَلَى التقوى، والثانية وَعْدٌ بِإِنْعَامِهِ، والثالثة تَعْظِيمٌ لِسَانِهِ.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُوتِيَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ إِيَّائِنَا ثُمَّ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

[٢٨٣] ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾ مسافرين.

﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ﴾ أي: فالتوثق رهن.

﴿مَقْبُوضَةً﴾ مسلَّمةٌ إلى المرتهن، ولا بدَّ من القبض، فلا يتمُّ الرهنُ بدونه، بالاتفاق، واستدامةُ القبضِ شرطٌ للزُّومِ عند مالكٍ وأحمد، فمتى خرجَ عن يدِ المرتهنِ باختياره، زالَ لزومه، وبطلَ الرهنُ، وعند أبي حنيفةٍ والشافعيِّ إذا أعادَهُ المرتهنُ مع بقاءِ الرهنِ، فلزومه باقٍ، والرهنُ صحيحٌ ونقلَ الزمخشري في «كشافه» عن مالكٍ: أنه يصحُّ عنده الارتهانُ بالإيجاب والقبول بدونِ القبض^(١)، وهو وهم. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرو: (فَرِهَنْ) بضمِ الراء والهاء من غير ألف، والباقون: (فَرِهَانُ) بكسرِ الراء وفتحِ الهاء

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٤)، و«تفسير البغوي» (١/٣١١)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للذمياطي (ص: ١٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٢٧).

وَأَلْفٍ بَعْدَهَا، وَهُوَ جَمْعُ رَهْنٍ؛ كَبَغْلٍ وَبِغَالٍ^(١).

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي: وَثِقَ إِلَيْهِ لِأَمَانَتِهِ.

﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ﴾ أي: فَلْيَقْضِ الْمَدْيُونُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الدَّيْنِ، وَسُمِّيَ أَمَانَةً؛ لِتَعَلُّقِهِ بِالذِّمَّةِ؛ كَتَعَلُّقِ الْأَمَانَةِ.

﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ فِي آدَاءِ الْحَقِّ، ثُمَّ التَفَتَ مُخَاطَبًا لِلشُّهُودِ فَقَالَ:

﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ إِذَا دُعِيتُمْ إِلَى إِقَامَتِهَا، ثُمَّ تَهَدَّدَهُمْ فَقَالَ:

﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ إِيَّائِمْ﴾ أي: يَأْتِمْ.

﴿قَلْبُهُ﴾ لِأَنَّ الْكُتْمَانَ يُقَرَّرُ فِيهِ، وَلِأَنَّ الْقَلْبَ هُوَ رَأْسُ الْأَعْضَاءِ، وَالْمُضْغَةُ الَّتِي إِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِنْ فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: قَدْ تَمَكَّنَ الْإِيْمُ فِي أَصْلِ نَفْسِهِ، وَمَلَكَ أَشْرَفَ مَكَانٍ فِيهِ، وَالْقَلْبُ هُوَ مَحَلُّ تَحْمُلِ الشَّهَادَةِ وَالْعَقَائِدِ وَالنِّيَّاتِ.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، وَكَتْمُ الشَّهَادَةِ»^(٢) وَالشَّهَادَةُ حُجَّةٌ شَرْعِيَّةٌ تُظْهِرُ الْحَقَّ وَلَا تُوجِبُهُ، فَهِيَ الْإِخْبَارُ بِمَا عَلِمَهُ بِلَفْظٍ خَاصٍّ.

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٧٨٤).

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٣٠٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/١٤١).

[٢٨٤] ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وَخَلْقًا.

﴿وَأِنْ تَبَدُّوا﴾ تَعْلِنُوا.

﴿مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ﴾ تُسْرِوهُ.

﴿يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ والصحيح أن هذه الآية عامة، تلخيصه: أن الله تعالى يحاسب بكل عبيده.

﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ الذنب العظيم.

﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ على الذنب الحقيق، وكل ما يفعله عدل - سبحانه -. قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وعاصم، ويعقوب: (فَيَغْفِرُ) و(يُعَذِّبُ) برفع الراء والباء على الابتداء؛ أي: فهو يغفر ويعذب، والباقون: بالجزم عطفًا على جواب الشرط^(١)، وأدغم الراء في اللام أبو عمرو، وأظهر الباء عند الميم بعد سكونها ورش، وابن كثير، بخلاف عن الثاني، وأدغمها الباكون من أصحاب الإسكان في الميم^(٢).

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على الإحياء والمحاسبة.

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٣٠٤)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٥)، و«الكشف» لمكي (١/٣٢٣)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧١)، و«تفسير البغوي» (١/٣١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٢٩).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٤)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/٣٦١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٣٠).

﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللّٰهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (٢٨٥).

[٢٨٥] ﴿ءَامَنَ﴾ صدق .

﴿الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ فهو جازمٌ في أمره غيرُ شاكٍّ فيه .
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ﴾ أي : كلُّ واحدٍ منهم .
﴿ءَامَنَ بِاللّٰهِ﴾ ولذلك وَحَدَّ الفعل .

﴿وَمَلَائِكَتِهِ﴾ لتحقيقِ كمالِ العظمة في خلقهم وانقيادهم ودخولهم في
الملك ، وتقديمِ الملائكةِ لا إشعار^(١) فيه بأفضليَّتهم على الرُّسُلِ بواسطةِ
تأخيرهم ذكراً ؛ لأنَّ الغرضَ المسوقَ له الكلامُ مدحٌ من صدَّقَ بالغيب ، فما
كَانَ أَدْخَلَ فِي الْغَيْبِ كَانَ تَقْدِيمُهُ أَهَمَّ ، والمدحُ عليه أُنَمَّ ، رعايةً للمقامِ باعتبارِ
ما سِيقَ له المقالُ ، فتقديمُ ما اشتهد فيه الغيبُ حقَّ السياقِ ، وصرَّحَ بالرسْلِ
دونَ الأنبياءِ ، مع أن الإيمانَ بالأنبياءِ مستلزمُ الإيمانِ بالرسْلِ ، ولا عكسَ ،
لأنَّ التبليغَ قامتِ الحجَّةُ ، واستقامتِ المحجَّةُ ، وهم المخبرونَ عن المستترِ
علمُه بأمر الله لهم ، فالتنصيصُ عليهم أنسبُ بالحال .

﴿وَكُتُبِهِ﴾ لما اشتملتْ عليه من إرشادِ العبيدِ إلى معبودهم . قرأ حمزةُ ،
والكسائيُّ ، وخلفٌ : (وَكِتَابِهِ) بالألفِ على التوحيدِ ، يعني : القرآنَ ،
والباقونَ : بغيرِ أَلِفٍ على الجمعِ ؛ لقوله : ﴿وَمَلَائِكَتِهِ﴾^(٢) .

(١) في «ت» : «لا إشعار» .

(٢) انظر : «الحجة» لأبي زرعَة (ص : ١٥٢) ، و«السبعة» لابن مجاهد (ص : ١٩٦) ، =

﴿وَرُسُلِهِ﴾ أي: بما جاءت به عن الله، فبان أن المصير إليه سبحانه في سائر الأشياء، وجميع الأحوال، فالرسول والمؤمنون يقولون:

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض؛ كاليهود والنصارى. قرأ يعقوب: (لا يُفَرِّقُ) بالياء، فيكون خبراً عن الرسول، ومعناه: لا يفرق الكل، وقرأ الباقون: بالنون على المعنى الأول^(١).

﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا أَجَبْنَا.

﴿وَأَطَعْنَا﴾ دَخَلْنَا فِي الطاعة، وهذا تمام المدح لهم؛ حيث ضَمُّوا إلى الاعتقاد بالجنان النطق باللسان، روي أنه لما نزلت هذه الآية، قال جبريل للنبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَثْنَى عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّتِكَ فَسَلْ تَعْطُهُ، فَقَالَ بِنْتَلِقِينَ جِبْرِيلَ إِيَّاهُ: غُفْرَانُكَ»^(٢)؛ أي: اغفر.

= و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ١٧١)، و«الغيث» للصفارقي (ص: ١٧١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٣١).
(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣١٥)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ١٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٣٢).

(٢) روى ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٥٣)، عن حكيم بن جابر - رضي الله عنه - قال: لما أنزلت على رسول الله ﷺ: «آمن الرسول...» قال جبريل: «إن الله عز وجل قد أحسن الثناء عليك وعلى أمتك، فسل تعطه، فسأل: «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها». انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان عند تفسير الآية (٢٨٤) من سورة البقرة، و«روح البيان» للآلوسي عند تفسير الآية (٢٨٤) من السورة، وذكر الآلوسي قول الزمخشري بأنه طعن - على عادته - في القراءات =

﴿عُفْرَانُكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ المرجعُ بعدَ الموتِ، وهي عبارةٌ عامةٌ شاملةٌ لمآلِ العبدِ في كلِّ أمرٍ وكلِّ نازلةٍ.

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

[٢٨٦] ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: طاقتها، والوسعُ: خلافُ الضيقِ، وهو ما يسعُ الشيءَ ولا يضيقُ عليه، قال ابنُ عباسٍ: «هُمُ الْمُؤْمِنُونَ خَاصَّةً، وَسَعَ عَلَيْهِمْ أَمْرَ دِينِهِمْ، وَلَمْ يُكَلِّفْهُمْ إِلَّا مَا يَسْتَطِيعُونَ»^(١)، والتكليفُ: إلزامُ الكُلْفَةِ على المخاطَبِ، فلا يكلفُ معدومٌ حالَ عدمِهِ بالاتفاق، ونَكَرَ نَفْسًا؛ لأنه أوفى بالشيوع، وأولى بالشُّمول. قرأ أبو عمرو: (المَصِيرُ لَا يُكَلِّفُ) بإدغامِ الراءِ في اللام.

﴿لَهَا﴾ أي: للنفسِ.

﴿مَا كَسَبَتْ﴾ من أعمالِ البرِّ.

﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من اقترافِ ما يُوقِعُهَا فِي الْحَرَجِ، وكان بنو

= السبع إذا لم تكن على قواعد العربية، ومن قواعدهم أن الراء لا تدغم إلا في الراء؛ لما فيها من التكرار الفائق بالإدغام في اللام. ثم قال الألوسي: وقد يجاب بأن القراءات السبع متواترة، والنقل بالمتواتر إثبات علمي، وقول النحاة نفى ظني. وقد أجاب أبو حيان بأن قول الزمخشري الذي ذكره ليس مجمعاً عليه عند النحاة. والله أعلم.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣١٦/١).

إسرائيل إذا نَسُوا شيئاً مما أُمروا به، أو أخطؤوا، عَجَّلْتُ لَهُمُ الْعُقُوبَةَ، فَأُمِرَ
المسلمون بالدُّعَاءِ برفعِ ذلكَ عنهم بقولهم:

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا ۖ تَعَاقِبْنَا .

﴿ إِن نَّسِينَا ۖ غَفَلْنَا .

﴿ أَوْ أَخْطَأْنَا ۖ جَهِلْنَا .

﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا ۖ ثِقَلًا ، وَأَصِلْ الْإِصْرَ : الْعَقْدُ وَالْإِحْكَامُ .

﴿ كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ۖ ﴾ يعني: اليهودَ، فلم يقوموا به،
فعذبتهمُ.

﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا ۖ تُكَلِّفْنَا .

﴿ مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ ﴾ من الأعمالِ الشاقَّةِ، وهو كُلُّ ما نضعُفُ عن حمليه.

﴿ وَاعْفُ عَنَّا ۖ ﴾ بمحوِ ذنوبنا، فلا يبقى لها أثرٌ.

﴿ وَاعْفِرْ لَنَا ۖ ﴾ تَفْضَحْنَا . قرأ أبو عمرو: (وَاعْفِرْ لَنَا) بإدغامِ الراءِ في

اللام^(١).

﴿ وَارْحَمْنَا ۖ ﴾ بإيصالِ فضلكَ، وإتصالِ كرمك، وعن ابنِ عباسٍ: «أَنَّ

النبي ﷺ لما دَعَا بهذهِ الدَّعَوَاتِ قِيلَ لَهُ عِنْدَ كُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهَا: قَدْ فَعَلْتُ»^(٢).

﴿ أَنْتَ مَوْلَانَا ۖ سَيِّدُنَا وَوَلِيُّنَا .

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ١٧٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للذمياني

(ص: ١٦٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٣٣).

(٢) رواه مسلم (١٢٦)، كتاب: الإيمان، باب: بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق.

﴿فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿فما النصرُ إلّا من عندك؛ لأنك سيّد، والسيّد ينصرُ عبيده، وصرّح بوصفهم بالكفر؛ لأنه الحامل على المباينة، والداعي إلى المقاتلة، ولا يخفى ما في طلب ذلك من إرشاد المؤمن إلى ترك الكافر وموادّته والإبعاد عن مصادقته، وفي الآية إشعارٌ بأن المعاداة في الدين مطلوبة، وأن الهجران في الله ليس من التقاطع المذموم، بل ورد في الحديث: عَدُوُّ الْبُغْضِ فِي اللَّهِ مِنَ الْإِيمَانِ.

قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِأَلْفِي عَامٍ، فَأَنْزَلَ مِنْهُ آيَتَيْنِ خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَلَا تُقْرَأُ فِي دَارٍ ثَلَاثَ لَيَالٍ فَيَقْرَبَهَا شَيْطَانٌ»^(١).

وقال ﷺ: «مَنْ قَرَأَ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ، كَفَتَا»^(٢).

وكان مُعَاذٌ إِذَا خَتَمَ الْبَقَرَةَ يَقُولُ: آمِينَ^(٣)، قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: هَذَا يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ رَوَاهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ، فَكَمَالٌ، وَإِنْ كَانَ بِقِيَاسٍ عَلَى سُورَةِ الْحَمْدِ مِنْ حَيْثُ هُنَاكَ دَعَاءٌ، وَهُنَا دَعَاءٌ، فَحَسَنٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٤).

* * *

(١) رواه الترمذي (٢٨٨٢)، كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في آخر سورة البقرة، وقال: حسن غريب، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٨٠٣)، وغيرهما عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه -.

(٢) رواه البخاري (٤٧٢٢)، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل سورة البقرة، ومسلم (٨٠٧)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، عن أبي مسعود البدر - رضي الله عنه -.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧٩٧٦).

(٤) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/٣٩٥).



مدينة آيها مئتا آية، وحروفها أربعة عشر ألفاً، وخمسة مئة، وخمسة وعشرون حرفاً، وكلّمها ثلاثة آلاف وأربع مئة وثمانون كلمة، وحكى النقاش أن اسم هذه السورة في التوراة: طيّبة^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قدم وفد نجران^(٢) من النصارى على رسول الله ﷺ، وزعموا أن عيسى ابن الله، فكذبهم رسول الله ﷺ، فخاصموا جميعاً في أمره، فقطع حجتهم بالأدلة الواضحة، فأنزل الله صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها^(٣)، فقال - عز وجل -:

﴿الْعَمَّ﴾.

[١] ﴿الْعَمَّ﴾ تقدم تفسيره، ومذهب أبي جعفر في تقطيع الحروف أول سورة البقرة.

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (١٤٠/٢).

(٢) جاء على هامش «ظ»: «نجران» مدينة بالحجاز.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣٢٠/١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢).

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ .

[٢] ﴿ اللَّهُ ﴾ ابتداء .

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ خبرٌ . قرأ أبو جعفر، وأبو بكر، بخلافٍ عن الثاني : بسكون الميم، الله : بقطع الألف للابتداء على لغةٍ من يقطع ألف الوصل^(١)، وإذا قرئ (الماللة) بالوصل على مذهب العامة، جاز لكل من القراء في الياء من (ميم) المد والقصر، وفتح الميم وصلاً لالتقاء الساكنين تخفيفاً^(٢) .

﴿ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ نعتٌ له، وتقدم تفسيرُهُما في آية الكرسي .

﴿ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ .

[٣] ﴿ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ أي : القرآن .

﴿ بِالْحَقِّ ﴾ بالصدق . قرأ أبو عمرو : (الْكِتَابُ بِالْحَقِّ) بإدغام الباء، في الباء واختلف عن رويس .
﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ لما قبله من الكتب .

(١) انظر : «تفسير البغوي» (١/٣٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ١٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٤) .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢٠٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص : ١٠٥)، و«الكشاف» للزمخشري (١/١٧٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ١٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٤) .

﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ﴾ الضياء والنور. قرأ نافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، وابنُ ذكوان: (التَّوْرَةَ) بالإمالة كيف أتت في جميع القرآن، بخلاف عن قالون^(١).

﴿وَالْإِنْجِيلَ﴾ إفعال من النَّجَل: الأصل، فهو أصلُ العلوم والحكم، وإنما قال في القرآن: (نَزَلَ) لأنه نزل مفصلاً، والتنزيلُ للتكثير، وقال في التوراة والإنجيل: (أُنْزِلَ)؛ لأنهما أنزلا جملةً واحدة^(٢).

﴿مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾^(٣).
[٤] ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ متعلق بـ«أُنْزِلَ».

﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ أي: هادٍ لمن تبعه، والمرادُ بالناسِ: موسى وعيسى وأتباعهما.

﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ القرآنَ المفرِّقَ بينَ الحقِّ والباطلِ، وكرَّره تفخيماً له.
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ من كتبه المنزلة.
﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ بسبب كفرهم.
﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالبٌ ذلَّ له كلُّ شيء.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٥)، و«الكشف» لمكي (١/١٨٣-١٨٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٥).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/٣٢٠).

﴿ذُو أَنْتِقَامٍ﴾ عقوبة شديدة.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ ﴿٥﴾.

[٥] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ من الأشياء.

﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ عَبَّرَ عن إدراك جميع الأشياء بذكر الأرض والسماء؛ لأنهما محلُّ لها.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

[٦] ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من الصُّورِ المختلفةِ من الذُّكُورِ والأنوثة.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وهذا ردُّ على وفدِ نجران من النصارى حيث قالوا: عيسى ولدُ الله، أو الله؛ لأنَّ من صوَّرَ في الرحمِ يمتنعُ أن يكون إلهاً أو ولدًا لله؛ لكونه مُرَكَّباً وحالاً في مركَّب، ولتعاقُبِ الفناءِ عليه، قال ﷺ: «يَدْخُلُ الْمَلَكُ عَلَى النُّطْفَةِ بَعْدَمَا تَسْتَقِرُّ فِي الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسِينَ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فيقول: يَا رَبِّ! أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فيُكْتَبَانِ، أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فيُكْتَبَانِ، ويُكْتَبُ عَمَلُهُ وَآثَرُهُ وَأَجَلُهُ وَرِزْقُهُ، ثُمَّ يَطْوِي الصُّحُفَ، فَلَا يُزَادُ فِيهَا وَلَا يُنْقَصُ»^(١).

(١) رواه مسلم (٢٦٤٤)، كتاب: القدر، باب: كيفية خلق الآدمي، عن حذيفة بن أسيد - رضي الله عنه -.

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۚ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [٧].

[٧] ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ متقنات^(١) مفصلات، من الإحكام، فلم يدخل فيها شيء من الاشتباه، والمُحْكَمُ: ما ازداد وضوحاً على المفسر.

﴿ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ أي: أصله الذي تُعْمَلُ عليه الأحكام، وقوله: ﴿ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ ولم يقل: أمّهات جمعاً؛ لأن الآيات في الحكم بها بمنزلة آية واحدة.

﴿ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ المتشابهة: ضد المحكم، وهو ما استأثر الله بعلمه؛ لأنه اشتبه مراد المتكلم على السامع؛ لاحتمال وجوده، وحكمه التوقف فيه أبداً، فإن قيل: كيف فرق هاهنا بين المحكم والمتشابه وقد جعل كل القرآن محكماً في قوله: ﴿ الرَّ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ﴾ [هود: ١] وجعل كله متشابهاً في قوله: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ﴾ [الزمر: ٢٣]؟ فالجواب عن الأول: إن المراد أنه كله حق ليس فيه عيب، وعن الثاني: أنه يشبه بعضه بعضاً في الحسن والصدق، وجعل بعضه هنا محكماً وبعضه متشابهاً أراد بالمحكم: الذي يُعْمَلُ به، ولا يدخله تغيير كالناسخ والمتشابه المنسوخ.

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ أي: ميل عن الحق.

(١) في «ن»: «منقاة».

﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ﴾ المعنى: الزائغون يتعلقون من المتشابه بما يوافق هواهم ظاهراً، وهم وفْدُ نجران، خاصموا النبي ﷺ في عيسى، وقالوا: ألسْتَ تزعمُ أنه كلمةُ الله وروحُ منه؟ قال: «بلى» قالوا: حَسْبُنَا، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الْآيَةَ^(١).

﴿أَتَبَغَّاءَ﴾ طلب.

﴿الْفَنَنَةِ﴾ الشُّرْك.

﴿وَأَتَّبَعَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ أي: تفسيره بما يشتهون.

﴿وَمَا يَقْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ أي: المتشابه.

﴿إِلَّا اللهُ﴾ والخلقُ متعبَّدون في التشابه بالإيمان به، وفي المحكم بالإيمان به والعمل، ويحرِّمُ تفسيره برأيٍ واجتهادٍ بلا أصلٍ. والوقفُ التامُّ على قوله: (إلا الله) عند الأكثر^(٢).

﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ المتمكِّنون.

﴿فِي الْعِلْمِ﴾ هم الذين ثبتوا فيه، وتمكَّنوا منه؛ لأنَّ أصلَ الرسوخِ الثبوتُ.

﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ معناه: الراسخون لا يعلمون تأويله، بل يؤمنون به.

﴿كُلُّ مَنْ﴾ المحكم والمتشابه من.

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٣/١٧٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره»

(٢/٥٩٦)، عن الربيع.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/٣٢٤).

﴿عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ يَتَعَطُّ بِمَا فِي الْقُرْآنِ .

﴿إِلَّا أُولَؤُلُوْا إِلَّا لَبِيبٌ﴾ ذُوو الْعُقُوْل .

﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوْبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ
الْوَهَّابُ﴾ ﴿٨﴾ .

[٨] ﴿رَبَّنَا﴾ أي : ويقول الراسخوان : ربنا .

﴿لَا تُرِغْ قُلُوْبَنَا﴾ أي : ثَبَّتْهَا عَلَى الْإِيْمَانِ ، وَلَا تُمِلْنَا عَنِ الْحَقِّ .

﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ وَفَقَّتْنَا .

﴿وَهَبْ لَنَا﴾ أَعْطِنَا .

﴿مِنْ لَدُنْكَ﴾ مِنْ عِنْدِكَ .

﴿رَحْمَةً﴾ تَوْفِيقًا .

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ لِكُلِّ سُؤْلِ .

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ
الْعِمَادُ﴾ ﴿٩﴾ .

[٩] ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ﴾ أي : فِي يَوْمٍ .

﴿لَا رَيْبَ﴾ أي : لَا شَكَّ .

﴿فِيهِ﴾ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ .

﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْعِمَادُ﴾ الْمَوْعَدَ ، وَحَكَى الْبَغَوِيُّ قَوْلًا أَنَّ الرَّاسِخَ

في العلم مَنْ وُجِدَ فيه أربعة أشياء: التقوى بينَهُ وبينَ الله، والتواضعُ بينَهُ وبين الخَلْق، والزهدُ في الدنيا، والمجاهدةُ بينَهُ وبينَ نفسه^(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ ﴿١٠﴾.

[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ﴾ تنفع.

﴿عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: لن تدفع عنهم الأموال شيئاً من الله. يسكتُ حمزة في: (شَيْءٌ وشَيْءٌ وشَيْئاً) حيث وقع.

﴿وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ اسمٌ لما يُوقَدُ، والمراد: من كفر بالنبِيِّ ﷺ. تلخيصه: لا مخلص للكفار من النار.

﴿كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿١١﴾.

[١١] ﴿كَذَّابٌ﴾ كعادة.

﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ والدَّابُّ مصدرُ دَابَّ في العمل: جَدَّ فيه، وأصله الملازمة والدوام. تلخيصه: عادة أولاء كعادة أولئك.

﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من كفر الأمم الماضية.

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: كلُّهم كفروا.

﴿فَآخَذَهُمُ﴾ أي: فعاقبهم.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/٣٢٥).

﴿اللَّهُ يَذُوبُهُمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ تهويلٌ للمخالفة.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (١١).

[١٢] ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: كفار مكة.

﴿سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بآلاء فيهما؛ أي: إنهم يُغلبون ويُحشرون، والباقون بالناء على الخطاب؛ أي: قل لهم: إنكم ستُغلبون وتُحشرون^(١)، والغلبة: القهر، والحشر: السَّوقُ. المعنى: إنهم يُقهرون في الدنيا يوم بدر، ويُساقون في الأخرى.

﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ من الجَهَنَّمَ، وهي البئر العميقة.

﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ الفراش.

فلما نزلت هذه الآية، قال لهم النبي ﷺ يوم بدر: «إِنَّ اللَّهَ غَالِبُكُمْ وَحَاشِرُكُمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ»^(٢).

ثم خاطب كفار قريش مشيراً إلى وقعة بدر فقال:

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٢٥-٣٢٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٢٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٩).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٥١)، و«تفسير الطبري» (٣/ ١٩٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٢٧).

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ (١٣).

[١٣] ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ ﴾ ولم يقل: كانت، والآية مؤنثة؛ لأنه ردها إلى البيان؛ أي: قد كان لكم بيان، فذهب إلى المعنى؛ أي: قد ظهر لكم دلالة على صدق قلبي^(١): أنكم تغلبون.

﴿ فِي فِئَتَيْنِ ﴾ فِرْقَتَيْنِ. قرأ أبو جعفر: (فِئَتَيْنِ) و(فِئَةً) بفتح الياء بغير همز^(٢).
﴿ الْتَقَتَا ﴾ يوم بدر، إحداهما.

﴿ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي: في طاعته، وهم النبي ﷺ وأصحابه، وكانوا ثلاث مئة وثلاثة عشر رجلاً، معهم فرسٌ للمقداد ابن عمرو، وفرسٌ لمرثد بن أبي مرثد، وسبعون بعيراً، وستة أدرع، وثمانية سيوف، وأكثرهم رجالة.

﴿ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ﴾ وهم كفار قريش، كانوا تسع مئة وخمسين رجلاً من المقاتلة، وكان حربٌ بدرٍ أولَ مشهدٍ شهده رسول الله ﷺ.

﴿ يَرَوْنَهُمْ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، ويعقوب: بالتاء خطاباً لليهود؛ لأن منهم من حضر الوقعة ينظر لمن الكفرة، وقرأ الباقون: بالغيب؛ أي: يرونهم المسلمون^(٣).

(١) «قلبي»: ساقطة من «ن».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٩/٢).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرة (ص: ١٥٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٢)، =

﴿مَثَلَهُمْ﴾ كان المسلمون يرون المشركين مثلي عددِ أنفسهم، قَلَّلَهُم الله في أعينهم حتى رأوهم [سِتِّ مئة وستة وعشرين رجلاً، ثم قَلَّلَهُم في أعينهم في حالةٍ أخرى حتى رأوهم مثل عددِ أنفسهم، ثم قَلَّلَهُم أيضاً في أعينهم حتى رأوهم] ^(١) عدداً يسيراً أقلَّ من أنفسهم، وقيل غير ذلك، وهذا التأويل هو الأصح.

﴿رَأَى أَلْعَيْنَ﴾ بارزاً ظاهراً.

﴿وَاللهُ يُؤَيِّدُ﴾ يُقَوِّي.

﴿بِصَرِّهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ قرأ أبو جعفر، وورش: (يُؤَيِّدُ) بفتح الواو وبغير همز، واختلَفَ عن عيسى صاحبِ أبي جعفر ^(٢).

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الذي ذكرتُ.

﴿لَعِبْرَةٍ﴾ لا اعتباراً.

﴿لَأُولِ الْأَبْصَارِ﴾ لذوي العقول والنظر، وتقدَّمَ اختلافُ القراء في حكم ^(٣) الهمزتين في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣] وكذلك اختلافهم في قوله: ﴿مَنْ يَشَاءُ إِنْ﴾.

= و«تفسير البغوي» (٣٢٨/١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٣٨/٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدبياطي (ص: ١٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠/٢).

(١) ما بين معكوفتين ساقط من «ت».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٣)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١١/٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١١/٢).

(٣) «حكم»: ساقطة من «ن».

﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ
مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ
مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴾ (١٤).

[١٤] ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾ جمع شهوة، وأصل الشهوة: نزوع
النفس إلى ما تريده.

﴿ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ بدأ بهن؛ لأنهنَّ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ.
﴿ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ ﴾ جمع القنطار^(١)، وهو المال الكثير، وَسُمِّيَ قِنْطَارًا
مِنَ الْإِحْكَامِ، يقال: قَنْطَرْتُ الشَّيْءَ: إِذَا أَحْكَمْتُهُ، ومنهُ سُمِّيتِ الْقَنْطَرَةُ.
﴿ الْمُقَنْطَرَةُ ﴾ المضعفة.

﴿ مِنَ الذَّهَبِ ﴾ سمي ذهباً؛ لأنه يذهب ولا يبقى.
﴿ وَالْفِضَّةِ ﴾ لأنها تنفض؛ أي: تتفرق.
﴿ وَالْخَيْلِ ﴾ من الخيلاء، لا واحد له من لفظه، وواحدُها فَرَسٌ.
﴿ الْمُسَوَّمَةُ ﴾ المعلمة، والسيما: العلامة.
﴿ وَالْأَنْعَمِ ﴾ جمع النعم؛ أي: الإبل والبقر والغنم.
﴿ وَالْحَرْثِ ﴾ الزرع.
﴿ ذَلِكَ ﴾ أي: المذكور.
﴿ مَتَاعٌ ﴾ يتمتع به يسيراً في.
﴿ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ثم يزول.

(١) في «ن»: «القناطر».

﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ المرجعُ، وهذا تزهيدٌ في الدنيا، وترغيبٌ في الآخرة^(١). قرأ أبو عمرو: (وَالْحَرْثُ ذَلِكَ) بإدغام الثاء في الذال، وأدغم النون في اللام من: (زَيْنٌ لِلنَّاسِ)^(٢).

﴿قُلْ أَوْفَيْتُكُمْ بِحَيْثُ مَنَ دَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾.

[١٥] ﴿قُلْ أَوْفَيْتُكُمْ﴾ أخبركم. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرو، وأبو جعفرٍ، ورؤيسٌ: بتحقيق الهمزة الأولى، وتسهيل الثانية، وقرأ الباقر: بتحقيق الهمزتين، وفصل بينهما بألف أبو جعفرٍ، واختلَفَ عن أبي عمرو وقالون، وهشام^(٣).

﴿بِحَيْثُ مَنَ دَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ من الأقدار.
﴿وَرِضْوَانٌ﴾ أي: رضا.

﴿مِنَ اللَّهِ﴾ قرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ: (وَرُضْوَانٌ وَرُضْوَانًا) بضمِّ الراءِ

(١) في «ش»: «الآخرة».

(٢) انظر: «الإتقان» للسيوطي (١/١١٣)، في النوع الحادي والثلاثين.

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٧)، و«الغيث» للصفافسي (ص: ١٧٤)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/٧٥)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/٣٩٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديماطي (ص: ١٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١٢).

حيث وقع، إلا قوله: ﴿مَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَكُمْ﴾ ثاني المائدة، والباقون: بالكسر، وهما لغتان؛ كالعدوان والعدوان^(١).

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ فيثيب المحسن، ويعاقب المسيء.

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامِنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ١٦.

[١٦] ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامِنَا﴾ صدقنا.

﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ استرّها علينا، وتجاوز عنا.

﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ صفة للمتقين

﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ ١٧.

[١٧] ﴿الصَّابِرِينَ﴾ عن ارتكاب المعاصي والشهوات.

﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ في السر والعلانية.

﴿وَالْقَنِينَ﴾ المطيعين.

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٦)، و«الكشف» لمكي (٣٣٧/١)، و«الغيث» للصفافسي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (٣٣٠/١)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٣٨/٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ١٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٣/٢).

﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾ أموالهم في طاعة الله .

﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ أي : المصلين .

﴿يَالْأَسْحَارِ﴾ جمعُ سَحَرٍ، وهو من ثُلثِ الليلِ الآخرِ إلى الفجرِ، وأصله: الخفاء؛ للطفه . المراد: الإعلامُ أن الجنةَ أُعِدَّتْ لجميعِ المذكورين .

ونزل في نصارى نجران :

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٨)

[١٨] ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ أي : بَيَّنَّ وأَعْلَمَ .

﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ أي : وشهدتِ الملائكةُ .

﴿وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ هم الأنبياءُ والمؤمنون المثبتون التوحيدَ، شهدوا بذلك، وأقرُّوا به اعتقاداً، والعلمُ: هو إدراكُ الشيءِ على ما هو به .

﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ أي : مُقيماً بالعدلِ وتدبيرِ الخلقِ، ونصبه حالٌ مؤكدةٌ من الله، ونظمُ الآيةِ: شهدَ اللهُ قائماً بالقسطِ، وتقدَّم الكلامُ على تغليظِ اللامِ من اسمِ الله في (شَهِدَ اللهُ) وشبَّهه في أول سورة الفاتحة^(١) .

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فهو الموصوفُ بهما .

(١) في «ن»: «البقرة» .

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِثَايِتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (١٩).

[١٩] ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ يعني: الدين المرضي الصحيح، والإسلام هو الدخول في السلم، والانقياد والطاعة. المعنى: الإسلام: العدل والتوحيد، وهما الدين عند الله لا غير. قرأ الكسائي: (أَنَّ الدِّينَ) بفتح الألف ردًّا على أَنَّ الأولى، تقديره: شهد الله أَنَّهُ لا إله إلا هو، وشهد أَنَّ الدينَ عند الله الإسلام، وقرأ الباقون: بكسر الألف على الابتداء^(١). ونزل^(٢) في اليهود والنصارى حين تركوا الإسلام:

﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ في نبوة محمد ﷺ.

﴿ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ﴾ في التوراة أنه نبي حق، فكذبوا، وأشركوا؛ بأن ثلثت^(٣) النصارى، وقالت اليهود: عزيز ابن الله.

﴿ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ أي: طلباً للملك والرياسة، فسلب الله عليهم الجبابة.

﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِثَايِتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ وعيد لمن كفر بسرعة

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرة (ص: ١٥٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٧)، و«الكشف» لمكي (٣٣٨/١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (٣٣٢/١)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٣٨/٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ١٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٥/٢).

(٢) في «ت»: «ونزلت».

(٣) في «ن»: «وثلث».

مجيء^(١) يوم القيامة والحساب؛ إذ هي متيقنة الوقوع، وكلُّ آتٍ قريبٌ.

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسَلَمْتُ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٢٠).

[٢٠] ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ أي: خاصمَكَ يا محمدُ أهل الكتاب في الدين.

﴿فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِيَ﴾ أي: أَخْلَصْتُ عبادتي.

﴿لِلَّهِ﴾ وانقذت إليه بجميع جوارحي، وخُصَّ الوجه بالذكر؛ لأنه أكرمُ جوارح الإنسان، وفيه بهاؤه، وإذا خضع وجهه، خضع سائرُ جوارحه. قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ، وحفصٌ: (وَجْهِي) بفتح الياء، والباقون: بالإسكان^(٢).

﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ أي: أسلمَ كما أسلمتُ. أثبت نافعٌ، وأبو عمرو، وأبو جعفرٍ الياء في قوله: (اتَّبَعَنِي) حالة الوصل، وأثبتها يعقوبٌ وصلًا ووقفًا، وحذفها الباقون في الحالين؛ لأن رسمها في المصحف بغير ياء^(٣).

(١) «مجيء» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٢)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ١٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٦/٢).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرة (ص: ١٥٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٣)، و«الكشف» لمكي (١/٣٧٤)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (١/٣٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«النشر في القراءات =

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ اليهود والنصارى .

﴿وَالْأُمِّيِّينَ﴾ مشركي العرب .

﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ استفهامٌ، ومعناه أمرٌ؛ أي: أَسْلِمُوا؛ كقوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، وتقدم اختلافُ القراء في حكم الهمزتين من كلمة في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة: ٦]، وكذلك اختلافهم في قوله: ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ .

﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ لخروجهم من الضلال إلى الهدى .

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان .

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾ بتبليغ الرسالة دون الهداية .

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ بِمَنْ يُؤْمِنُ وَمَنْ لَا يُؤْمِنُ، ثم نُسِخَتْ بآية السيف .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ عِزِّ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٢١) .

[٢١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ يَجْحَدُونَ .

﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ يعني: القرآن، وهم اليهود والنصارى .

= العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١٦) .

﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ قرأ حمزة: (وَيَقَاتِلُونَ الَّذِينَ) بألف^(١) مع ضم^(٢) الياء وكسر التاء من القتال، وقرأ الباقون: بغير ألفٍ مع فتح الياء وضمّ التاء، من القتل^(٣)، معناه: إن كفار بني إسرائيل قتلوا أنبياءهم وأتباعهم عناداً.

﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾ أخبرهم.

﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وجيع.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾

[٢٢] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ﴾ بطلت.

﴿أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ بدفع العذاب عنهم، فبطلان العمل في الدنيا عدم القبول، وفي الآخرة عدم المجازاة عليه. ونزلت في اليهود لما دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام، فأبوا:

(١) «بألف» ساقطة من «ش».

(٢) «ضم» ساقطة من «ش».

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٣١٧)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٨)، و«الكشف» لمكي (١/٣٣٨-٣٣٩)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (١/٣٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٨-٢٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٨/٢).

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ [٢٣].

[٢٣] ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا ﴾ حَظًّا.

﴿ مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ أي: التوراة.

﴿ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ قرأ أبو جعفر: (لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ) بضم الياء وفتح الكاف، والباقون: بفتح الياء وضم الكاف^(١)، وتقدم توجيه قراءتهم في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ [الآية: ٢١٣].

﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ عن قبول الحق.

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [٢٤].

[٢٤] ﴿ ذَلِكَ ﴾ أي: التولي والإعراض.

﴿ بِأَنَّهُمْ قَالُوا ﴾ أي: بسبب قولهم:

﴿ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ فَسَهَّلُوا أَمْرَ الْعَذَابِ بِاعْتِقَادِهِمْ الزَّائِفَ^(٢).

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (١/١٨٢)، و«تفسير القرطبي» (٤/٥٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٩) و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١٨).

(٢) «فسهلوا... الزائغ» ساقط من «ش».

﴿وَعَرَّهُمْ﴾ والغرّ: الطمعُ فيما لا يحصلُ منه شيءٌ.
﴿فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ والافتراءُ: اختلاقُ الكذبِ.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٢٥).

[٢٥] ﴿فَكَيْفَ﴾ يصنعون.

﴿إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ وهو يومُ القيامةِ.
﴿وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من أهلِ الكتابِ وغيرهم^(١).
﴿مَا كَسَبَتْ﴾ من خيرٍ أو شرٍّ.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ لا يُزادُ في سيئاتِهِمْ، ولا يُنقصُ من حسناتهم. قال ابنُ عباسٍ وأنسُ بنُ مالكٍ: «لما افتتحَ رسولُ الله ﷺ مكةَ، وعدَ أُمَّتَهُ مُلْكَ فارسَ والرومِ، فقالَ المنافقونَ واليهودُ: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، مَنْ أَيْنَ لِمُحَمَّدٍ مُلْكٌ؟! فارسُ والرومُ أعزُّ وأمنعُ من ذلك، ألم يكفِ محمداً مكةُ والمدينةُ حتى طمعَ في ملكِ فارسَ والرومِ؟! فَأَنْزَلَ اللهُ^(٢)»:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٦).

(١) «وغيرهم» ساقطة من «ن».

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٥٢)، و«تفسير البغوي» (١/٣٣٧).

[٢٦] ﴿قُلِ اللَّهُمَّ المِمْ عَوْضٌ مِنْ حَرْفِ النداء، وشَدَّدَتْ لقيامِها مقامَ حرفين. معناه: يا الله.﴾

﴿مَلِكِ الْمَلِكِ﴾ أي: مَالِكِ العبادِ وما مَلَكُوا.

﴿تُؤَقِّي الْمَلِكِ﴾ أي: النبوة.

﴿مَنْ تَشَاءُ﴾ من خَلْقِكَ.

﴿وَتَنْزِعُ﴾ أي: تَزِيلُ وتَقْلَعُ.

﴿الْمَلِكِ وَمَنْ تَشَاءُ﴾ منهم.

﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ بالملك.

﴿وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ بِنَزْعِهِ مِنْهُ.

﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ أي: والشرُّ، فاكتفى بذكرِ أحدهما، ولأن الآيةَ في ذكرِ ما أعدَّ للمؤمنين.

﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ثم أوماً إلى قدرته الباهرة بقوله:

﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٢٧).

[٢٧] ﴿تُولِجُ﴾ تَدْخِلُ.

﴿الَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ حتى يصيرَ خمسَ عَشْرَةَ ساعةً، والليلُ تسعَ ساعاتٍ.

﴿وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ حتى يصيرَ خمسَ عَشْرَةَ ساعةً، والنهارُ تسعَ

ساعاتٍ، فما نقصَ من هذا، زيدَ في هذا.

﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ أي: الحيوان من النُطفة.

﴿وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ عكس الأول، وقيل: المؤمن من الكافر، وعكسه، وقيل غير ذلك. قرأ نافع، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وحفص، وخلف: (مِنَ الْمَيِّتِ) (وتخرج الميت) بتشديد الياء حيث وقع^(١).

﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ من غير تضيق ولا تقتير.

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقْلَةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾

[٢٨] ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ نزلت نهياً عن مباطنة من يُبطن الكفر ويظهر الإيمان، وعن موالاتهم. المعنى: اجتنبوا موالاة الكفار، فلکم غنية عن موالاتهم بموالاة المؤمنين؛ لأنهم أعداء الله، ومن والاهم فقد دخل في عداوة الله، ثم تهددهم فقال: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي: ولأ^(٢) الكفار.

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٧)، و«الكشف» لمكي (١/٣٣٩-٣٤٠)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (١/٣٣٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ١٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٨).

(٢) في «ن»: «موالاة».

﴿ فَلَيْسَ مِنْ اللَّهِ ﴾ أي: من دينه.

﴿ فِي شَيْءٍ ﴾ لأنه منسلخ عن ولاية الله تعالى ودينه. قرأ الليث عن الكسائي: (يَفْعَلُ ذَلِكَ) بإدغام اللام في الذال^(١)، ثم استثنى فقال:

﴿ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً ﴾ المعنى: إلا لأجل خوفكم منهم أمراً يجب الاحتراز منه، فيداريهم المؤمن بلسانه وقلبه مُطْمَئِنٌّ بالإيمان. قرأ يعقوب: (تَقِيَّةً) بفتح التاء وكسر القاف وتشديد الياء بعدها، والباقون: بضم التاء وفتح القاف وألف بعدها، وحمزة، والكسائي، وخلف يُميلون الألف على أصلهم^(٢).

﴿ وَيَحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ أي: يُخَوِّفُكُمْ عقوبته بأن يغضب عليكم بموالاته الكفار.

﴿ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ تحذير أيضاً.

﴿ قُلْ إِنْ تَخْشَوْنَ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوهُ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٩/٢).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٧)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (٣٤٠/١)، و«تفسير القرطبي» (٥٧/١)، و«تفسير الرازي» (٤٣٥/٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٣٩/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٩/١-٢٠).

[٢٩] ﴿قُلْ إِنْ تَخْشَوْنَ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ قلوبكم من مَوَدَّةِ الكفار .

﴿أَوْ تَبْذُلُوهُ﴾ من مواليتهم .

﴿يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ ويجازيكم به .

﴿وَيَعْلَمُ﴾ رَفَعٌ عَلَى الاستئناف .

﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فكيف يَخْفَى عليه مواليتكم الكفار؟

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدرُ على عقوبتكم .

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُتَحَضِّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ .

[٣٠] ﴿يَوْمَ تَجِدُ﴾ أي : اذكروا واتقوا يومَ تجدُ .

﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُتَحَضِّرًا﴾ لم تُبَخْسْ منه شيئاً .

﴿وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ﴾ أي : وَدَّتْ .

﴿لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ﴾ يعني : وبين السوء .

﴿أَمَدًا بَعِيدًا﴾ مسافةً واسعةً .

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ إشارةً إِلَى أَنَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا

نَهَاهُمْ وَحَذَّرَهُمْ رَافَةً بِهِمْ ، ومراعاةً لصلاحتهم .

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣١).

[٣١] ونزل في اليهود والنصارى حيث قالوا: ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ [المائدة: ١٨]: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد:

﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ فأنا رسوله إليكم، فحبُّ المؤمنين لله اتِّباعهم أمره، وابتغاء مرضاته، وحبُّ الله المؤمنين ثوابه لهم، وعفوه عنهم، فذلك قوله تعالى:

﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ لمن تحبَّ إليه بطاعته.

فلما نزلت هذه الآية، قال عبدُ الله بنُ أُبَيٍّ لأصحابه: إِنَّ محمداً يجعلُ طاعته كطاعةِ الله، يأمرنا أن نحبه كما أحبَّتِ النصارى المسيحَ، فنزل^(١):

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ (٣٢).

[٣٢] ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ أعرضوا عن طاعتهما.

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ لا يَرْضَى فعلهم، ولا يغفر لهم.

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَعِيسَىٰ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٣٣).

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٥٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٤١).

[٣٣] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَتِ الْيَهُودُ^(١): نَحْنُ أَبْنَاءُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، وَنَحْنُ عَلَى دِينِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ﴾ اختَارَ.

﴿ءَادَمَ﴾ وهو أبو البشر.

﴿وَنُوحًا﴾ واسمُهُ عَبْدُ الْغَفَّارِ بْنِ لَامِخَ بْنِ مَتُوشَلِّحَ بْنِ حَنُوحَ - وهو إِدْرِيسُ - وُلِدَ بَعْدَ مَضِيِّ أَلْفٍ وَسِتِّ مِئَةٍ وَاثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ هُبُوطِ آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، وَسُمِّيَ نُوحًا؛ لِكثْرَةِ نُوحِهِ عَلَى نَفْسِهِ، وَهُوَ أَوَّلُ نَبِيٍّ بُعِثَ إِلَى كِفَارٍ، وَهُوَ أَبُونَا الْأَصْغَرُ، عَاشَ أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَقَبِرُهُ بِكَرْكِ نُوحٍ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ.

﴿وَعَالَ إِبْرَاهِيمَ وَعَالَ عِمْرَانَ﴾ أَي: إِبْرَاهِيمَ وَعِمْرَانَ أَنْفُسَهُمَا؛ كَقَوْلِهِ: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَعَالَ هَارُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، وَقِيلَ: آلُ إِبْرَاهِيمَ: إِسْمَاعِيلُ وَإِسْحَاقُ وَأَوْلَادُهُمَا، وَمُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ أَوْلَادِهِمَا، وَآلُ عِمْرَانَ: مُوسَىٰ وَهَارُونَ؛ لِأَنَّ مُوسَىٰ بْنَ عِمْرَانَ بْنَ يَصْهَرَ بْنَ لَاقِي بْنِ يَعْقُوبَ، وَالْآلُ فِي اللُّغَةِ: الْأَهْلُ وَالْقَرَابَةُ. الْمَعْنَى: اخْتَصَّ اللَّهُ آدَمَ وَالْأَنْبِيَاءَ الْمَذْكُورِينَ وَالْأَنْبِيَاءَ مِنْ أَوْلَادِهِمْ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَجْمَعِينَ - بِالنَّبَوَّةِ.

﴿عَلَى الْأَعْلَيْنِ﴾ قَرَأَ ابْنُ ذَكْوَانَ بِخِلَافٍ عَنْهُ (عِمْرَانَ) بِالْإِمَالَةِ حَيْثُ وَقَعَ^(٢).

(١) «اليهود» ساقطة من «ن».

(٢) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ١٧٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٢).

﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٣٤﴾.

[٣٤] ﴿ذُرِّيَّةٌ﴾ اشتقاقها من ذرأ بمعنى : خلقَ .

﴿بَعْضُهَا مِنْ﴾ ولد .

﴿بَعْضٌ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ بأقوالِ الناسِ وأعمالِهِم .

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٣٥﴾.

[٣٥] ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ العاملُ فعلٌ مُضَمَّرٌ تقديره : اذكرْ إذ قالت ، وامرأة عمران هي حَنَّة بنتُ فاقودَ ، وعمرانُ بنُ ماثانَ ، وكان زمنَ زكريا ، فتزوَّجَ زكريا إيساعَ أختَ حَنَّةَ ، فكان يحيى وعيسى ابني خالَةٍ . و(امرات) رُسِمَتْ بالتاء في سبعة مواضع ، ووقَفَ عليها بالهاء ابنُ كثيرٍ ، وأبو عمرو ويعقوب ، والكسائي^(١) ، وليس هذا بعمرانَ أبي موسى ، كان بينهما ألفٌ وثمان مئة سنة ، فأحبَّت حَنَّةُ^(٢) الولدَ بعدما أَسَنَّتْ^(٣) ، فدَعَتْ بذلك ، فلما حملتْ ، قالت :

﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ أي : غلاماً محرراً ، ولم تقل : محررةً ؛ لأنهم إنما كانوا يُحرِّرونَ الغِلْمَانَ ، فنذرتُ إن رزقها الله ولداً ،

(١) انظر : «البحر المحيط» لأبي حيان (٤٣٧/٢) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للددياطي (ص : ١٧٣) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٢/٢) .


(٢) «حنة» سقطت من «ن» .

(٣) في «ن» : «أيست» .

جعلته من سَدَنَةِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، والنذر: ما يوجبُه الإنسانُ على نفسه،
وتقدّم الكلامُ عليه، والخلافُ فيه في سورة البقرة، والمحَرَّرُ: المُعْتَقُ؛ من
الحُرِّ، والحُرُّ في الحقيقةِ الذي لم يُملَكْ، فأرادتُ أن تجعله حُرّاً من كلِّ
شيءٍ عبداً مخلصاً لله. تلخيصه: أَوْجَبْتُ عَلَيَّ أن الذي في بطني عتيقٌ مفرِّغٌ
لعبادةِ الله تعالى، لا أشغله بشيءٍ من الدنيا.

﴿ فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ ﴾ لِذُعَائِي ^(١).

﴿ أَلْعَلِيمُ ﴾ بِنَيْي، فماتَ عمرانُ وهي حاملٌ بمريمَ، وكانَ من رؤوسِ
بني إسرائيلَ وأحبارهم. قرأَ عاصمٌ، وحمزةٌ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وابنُ
عامرٍ، وابنُ كثيرٍ، ويعقوبُ (مِنِّي إِنَّكَ) (لِي آيَةً) بسكون الياء، والباقون:
بفتحها ^(٢).

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِنْ
الَّذِي كَانَتْ أَفْتَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ
الرَّجِيمِ ﴾ .

[٣٦] ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ ﴾ معذرةً وظناً أن نذرَها لا يُقبل؛ لأنوثته.

﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن

(١) في «ن»: ﴿ فَتَقَبَّلْ ﴾ لِذُعَائِي ﴿ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٢)، و«الكشف» لمكي (١/٣٧٤)،
و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«النشر في
القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية»
(٢٢/٢).

عاصم، ويعقوبُ: (وَضَعْتُ) بضم التاء، جعلوها من كلامِ أمِّ مريمَ، وقرأ
الباقون: بجزم التاء إخباراً عن الله^(١).

﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾ لخدمة بيت المقدس؛ لضعفها ولما يعتريها من
الحيض والنفاس وغيرهما مما يلحق النساء.

﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ ومعناه: العابدة، وكانت مريمُ أجملَ النساءِ في
وقتها، ولم يُذكر في القرآن امرأةً باسمِها سوى مريمَ، وبقيةُ النساءِ أُشير
إليهنَّ؛ كأزواج النبي ﷺ، وامرأة إبراهيمَ، وأمَّ موسى وأخته، وامرأة نوح
ولوط وفرعونَ، وغيرهنَّ من نساء الأنبياء وغيرهم.

﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا﴾ أُجيرها. قرأ نافعٌ، وأبو جعفر: (وَإِنِّي) بفتح الياء،
والباقون: بإسكانها^(٢).

﴿بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا﴾ أولادها.

﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ وتقدّم تفسيره في الاستعاذة، قال ﷺ: «كُلُّ

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٣٢٥)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٨)، و«الكشف» لمكي (١/٣٤٠-٣٤١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (١/٣٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٢)، و«الكشف» لمكي (١/٣٧٤)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٢).

بَنِي آدَمَ يَطْعَنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبَيْهِ بِأَصْبُعَيْهِ حِينَ يُولَدُ غَيْرَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ،
ذَهَبَ يَطْعَنُ، فَطَعَنَ فِي الْحِجَابِ»^(١).

﴿فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ
عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢٧).

[٣٧] ﴿فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ أي: قبل مريم من حنة.

﴿بِقَبُولٍ﴾ أي: بأمر ذي قبول.

﴿حَسَنٍ﴾ وأصل القبول: الرضا؛ أي: سلك بها سبيل السعداء.

﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ سَوَّى خَلْقَهَا، فَكَانَتْ تَنْبُتُ فِي الْيَوْمِ مَا يَنْبُتُ
الْمَوْلُودُ فِي عَامٍ، وَلَمَّا وَضَعَتْهَا أُمُّهَا حَمْلَتُهَا وَأَتَتْ بِهَا إِلَى الْمَسْجِدِ،
وَوَضَعَتْهَا عِنْدَ الْأَحْبَارِ وَهُمْ يَلُونُ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدَسِ مَا يَلِي الْحَجَبَةَ مِنَ
الْكَعْبَةِ، وَقَالَتْ: دُونَكُمْ هَذِهِ الْمَنْدُورَةُ، فَتَنَافَسُوا فِيهَا؛ لِأَنَّ أَبَاهَا كَانَ مِنْ
أَثَمَتِهِمْ، فَقَالَ زَكَرِيَّا: أَنَا أَحَقُّ بِهَا؛ لِأَنَّ خَالَتَهَا زَوْجَتِي، فَقَالُوا: لَا حَتَّى
نَقْتَرَعَ، فَفَرَعَهُمْ زَكَرِيَّا، وَأَخَذَهَا^(٢)، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ أي: ضَمَّهَا إِلَيْهِ. قرأنا فع، وأبو جعفر، وابن كثير،
وأبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب: (وَكَفَّلَهَا) بتخفيف الفاء (زَكَرِيَّاءُ) بالرفع

(١) رواه البخاري (٣١١٢)، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، عن
أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/٣٤٥).

على أنه فاعلٌ (وَكَفَّلَهَا)، وقرأ عاصمٌ، وحمزةٌ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَكَفَّلَهَا) بتشديد الفاء؛ أي: جعله الله كافلاً لها، فأبو بكرٍ عن عاصمٍ ينصبُ الهمزة مع التشديد على أنه مفعولٌ به، وبقية الكوفيين يقرؤون (زَكَّرِيَا) مقصوراً بغير همزٍ حيث وقع^(١). فلما ضَمَّها زكريّا، بنى لها غرفةً في المسجد، وانقطعت في تلك الغرفة للعبادة، وكان لا يدخلُ على مريم غيرُ زكريا فقط، وكان ﴿كَلَّمَآ دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا﴾ وهو ابنُ آدَن بنِ مسلم بنِ صدوق من أولادِ سليمان بنِ داود عليه السلام، عاشَ أكثرَ من مئةِ سنةٍ، وقتلَهُ اليهودُ لعنةَ الله عليهم؛ لأنه لما ولدتُ مريمُ المسيحَ من غيرِ بعلٍ، وقعَ اليهودُ في حَقِّه بما لا يليقُ ذكره، وطلبوه، فهربَ واختفى في شجرةٍ عظيمةٍ، فقطعوا الشجرةَ، وقطعوا زكريّا معها، وكان ذلك بعدَ ولادةِ المسيحِ بقليلٍ وقبره بذيلِ جبلِ طورِ زيتا بمقابرِ الأنبياءِ بيتِ المقدسِ، وقيل: بقريةِ سبسطية من أرضِ نابلس، وقيل: بجامعِ دمشق، وبينَ وفاتهِ والهجرةِ الشريفةِ الإسلاميةِ سِتُّ مئةٍ ونحو ثلاثينَ سنةً.

﴿الْمَحْرَبَ﴾ أي: الغرفة، والمحرابُ: أشرفُ المجالسِ، فكانها وُضِعَتْ في أشرفِ مكانٍ من المسجدِ، وكان زكريا إذا خرجَ يغلقُ عليها سبعةَ أبوابٍ، فإذا دخل عليها.

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٣٢٦)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٨)، و«الكشف» لمكي (١/٣٤١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (١/٣٤٥-٣٤٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ١٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٤-٢٥).

﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ فاكهة الصيف في الشتاء، وعكسه .

﴿قَالَ يَمْرُومُ أَنِّي﴾ أي : من أين .

﴿لَكَ هَذَا﴾ الرزق ، والأبواب مغلقة عليك .

﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أي : من الجنة ، تكلمت وهي صغيرة .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي : بغير محاسبة .

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ .

[٣٨] ﴿هُنَالِكَ﴾ أي : عند ذلك .

﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ وكان قد شاخ وأيس من الولد ، فلما رأى قدرة الله ، طمع في الولد ، و ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي﴾ أي : أعطني .

﴿مِنْ لَدُنْكَ﴾ أي : من عندك .

﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ ولداً صالحاً ، والذرية تقع على الواحد والجمع .

﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ سامعه .

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيٰى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّٰلِحِينَ﴾ ﴿٣٩﴾ .

[٣٩] ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلٰٓئِكَةُ﴾ أجابته ، والمراد جبريل وحده ، جمع

تعظيمآله . قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف : (فَنَادَاهُ) بألف مُمالة إرادة

الجمع ، وقرأ الباقون: بالتاء؛ لتأنيث لفظ الملائكة^(١).

﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ﴾ أي: في المسجد. قرأ ابنُ ذكوان عن ابنِ عامرٍ: (المَحْرَابِ) بالإمالة حيثُ وقعَ بالخفضِ، وعنه خلافٌ في غيرِ المخفوض^(٢).

﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ: (إِنَّ اللَّهَ) بكسرِ الهمزة (يُبَشِّرُكَ): بضمِّ أوله وكسرِ الشين مشدداً، وقرأ حمزة: (إِنَّ اللَّهَ) كابنِ عامرٍ (يُبَشِّرُكَ) بفتح الياء وضمِ الشين مخففاً، وقرأ الكسائي: (أَنَّ اللَّهَ) بفتح الهمزة (يُبَشِّرُكَ) كقراءة [حمزة، وقرأ الباقون: (أَنَّ اللَّهَ) بفتح الهمزة (يُبَشِّرُكَ) كقراءة^(٣) ابنِ عامر، فالقراءةُ بكسر الألف على إضمار القول، تقديره: فنادته الملائكة فقالت: إن، وبالفتح بإيقاع النداء عليه، كأنه قال: فنادته الملائكة بأن، والقراءةُ بضمِّ الياء وفتحِ الباءِ وكسرِ الشين مشدداً من بَشَّرَ، وهو الأفصح، وبفتح الياء وضمِّ الشين مُخَفَّفًا من بَشَّرَ، وهي لغةٌ تهامة^(٤).

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٥)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٨)، و«الكشف» لمكي (١/٣٤٢-٣٤٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٥-١٧٦)، و«تفسير البغوي» (١/٣٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٤٣٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ١٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٦).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/٤٤٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ١٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٦-٢٧).

(٣) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٤) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٣٢٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: =

﴿يَحْيَى﴾ سُمِّيَ به؛ لأنه حَيَّيَ به الرحمُ العاقرُ. قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف: (يَحْيَى) بالإمالة حيثُ وقع^(١).

﴿مُصَدِّقًا﴾ نصبٌ على الحال؛ أي: مؤمنًا.

﴿يَكَلِّمُهُ مِنَ اللَّهِ﴾ يعني: عيسى عليه السلام؛ أي: بكلمة كائنة من الله بأن قال له: كُنْ من غير أبٍ، فكان، فوقع عليه اسمُ الكلمة، وكان يحيى أولَ مَنْ آمَنَ بعيسى وصدِّقه، وكان أَسَنَ من عيسى بستة أشهرٍ، وقيل: صدِّقه وهو في بطن أمِّه، فكانت أمُّ يحيى تقولُ لمريمَ: إني أجدا ما في بطني يسجدُ لما في بطنك تحيةً له، وكانا ابنا الخالة كما تقدَّم، ثم قُتل يحيى قبلَ رفعِ عيسى عليهما السلام بستةٍ ونصفٍ، وله نيفٌ وثلاثون سنةً، ونُبِّئَ صغيراً، وكان عيسى قد حرَّم نكاحَ بنتِ الأخ، وكان لهودوس وهو الحاكمُ على بني إسرائيل بنتُ أخٍ، وأراد أن يتزوَّجها كما هو جائزٌ في ملة اليهود، فنهاه يحيى عن ذلك، فأمر بذبح يحيى، فذُبِحَ ووُضِعَ رأسُه بين يديه، فكان الرأسُ يتكلَّمُ ويقول: لا تحِلُّ لك، واستمرَّ غليانُ دمه حتى بعث الله عليهم ملكاً من جهة المشرق يُقال له: حردوس، فقتلَ منهم على دمِ يحيى سبعينَ

= (٢٠٥)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٨)، و«الكشف» لمكي (٣٤٣-٣٤٤)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (٣٤٧-٣٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ١٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٧-٢٨)، ولم يذكر البغوي القراءة عن الكسائي، وذكرتها جميع المصادر عنه بكسر الهمزة (إنَّ الله).
 (١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٦)، و«تفسير الرازي» (١/ ٤٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨٢).

ألفاً إلى أن سكنَ دمه، وقبرُهُ عندَ قبرِ والدِه، على الخلافِ المتقدِّم، وبينَ وفاتِه والهجرةِ الشريفةِ الإسلاميةِ خمسُ مئةٍ ونحوُ سِتٍّ وتسعينَ سنةً.

﴿وَسَيِّدًا﴾ هو مَنْ سَادَ قَوْمَهُ، ويحيى سَادَ قَوْمَهُ والناسَ في أَنَّهُ لم يرتكبْ سيئةً قطُّ.

﴿وَحَصُورًا﴾ ممتنعاً من الوطءِ مع القدرةِ عليه، وليسَ كما قالَ بعضهم: إنه كان هَيُوباً، أو لا ذَكَرَ له؛ لأنَ هذه نقيصةٌ وعيبٌ لا تليقُ بالأنبياء، وإنما معناه: إنه معصومٌ من الذنوب لا يأتيها؛ كأنه حُصِرَ عنها.

﴿وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾.

[٤٠] فلما بُشِّرَ بهِ ﴿قَالَ﴾ زكريّا:

﴿رَبِّ أَنِّي﴾ أي: كيف.

﴿يَكُونُ لِي غُلَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ﴾ أي: نالني، وأثّرَ فيَّ.

﴿الْكِبَرُ﴾ وكان ابنَ عشرينَ ومئةِ سنةٍ، وقيلَ غيرُ ذلك.

﴿وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ عقيمٌ لا تِلِدُ، وكانت بنتَ ثمانٍ وتسعينَ سنةً، وقولُ زكريّا لم يكنْ شكّاً في وعدِ الله، إنما شكٌّ في كيفيته؛ أي: كيف ذلك؟ يجعلُني أنا وامرأتي شائِئَينِ، أم يرزُقنا ولدًا على الكِبَرِ منّا، أم يرزُقني من امرأةٍ أخرى؟ فقال مستفهماً لا شكّاً.

﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الفعل، وهو خلق الولد بين الفاني والعاقِر.

﴿اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ من خلق الولد بين هَرَمَيْنِ وغيره .

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۖ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۖ وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ (٤١) .

[٤١] ﴿قَالَ﴾ زكريا :

﴿رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ علامة على وجود الحمل ؛ لأزيد في الشكر والعبادة ، وتقدم اختلاف^(١) القراء في (لي آية) .

﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ أي : تمتنع عن كلامهم .

﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ إشارة ، اعتقل لسانه عما سوى ذكر الله ، وكانت إشارته بالإصبع المُسَبَّحَةِ ، وأصل الرمز : التَّحَرُّكُ .

﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ﴾ وهو من زوال الشمس إلى غروبها .

﴿وَالْإِبْكَرِ﴾ وهو من طلوع الفجر الثاني إلى الضُّحى ؛ أي : في وقتيهما .

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلِكَةُ يَمْرِيُمْ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٢) .

[٤٢] ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلِكَةُ﴾ يعني : جبريل عليه السلام .

﴿يَمْرِيُمْ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ اختارك .

(١) في «ت» : «خلاف» .

﴿وَطَهَّرَكَ﴾ من مَسِيسِ الرِّجَالِ وَالْحَيْضِ وَالنَّفَاسِ، وكانت لا تَحِيضُ.

﴿وَأَصْطَفَاكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ عَالَمِي زَمَانِهَا؛ لَوْلَادَتْهَا^(١) بِلَا مَسٍّ.

﴿يَمْرِيْمُ أَقْنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ ﴿٤٣﴾.

[٤٣] ﴿يَمْرِيْمُ أَقْنِي﴾ أَطِيعِي وَأُطِِّلِي الْقِيَامَ ﴿لِرَبِّكِ﴾ فِي الصَّلَاةِ، فقامَتْ حَتَّى وَرَمَتْ قَدَمَاهَا وَسالت قِيحاً.

﴿وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي﴾ إِنَّمَا قَدَّمَ السُّجُودَ عَلَى الرُّكُوعِ؛ لِأَنَّ الْوَائِلَةَ لَيْسَتْ لِلتَّرْتِيبِ.

﴿مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ أَي: صَلَّيْ جَمَاعَةً، وَلَمْ يَقُلْ: الرَّاكِعَاتِ، لِعُمُومِ الرَّاكِعِينَ الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ.

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ ﴿٤٤﴾.

[٤٤] ﴿ذَلِكَ﴾ أَي: الْمَذْكُورُ مِنْ أَمْرِ زَكْرِيَّا وَيَحْيَى وَمَرْيَمَ وَعِيسَى.

﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ نَلْقَاهُ إِلَيْكَ.

﴿وَمَا كُنْتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ.

﴿لَدَيْهِمْ﴾ أَي: عِنْدَهُمْ. قَرَأْ حَمْزَةً، وَيَعْقُوبُ: بضم الهاء، وَقَرَأَ ابْنُ

(١) فِي «ت»: «لَوْلَادَهَا».

كثير، وأبو جعفر، وورث: (لَدَيْهِمْ إِذْ) بضم الميم وصلتها بواو، وكذا شبهه حيث وقع، واختلف عن قالون.

﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ﴾ أي: سهامهم في الماء للاقتراع، وسمي القلم؛ لأنه يُقْلَمُ كالظفر.

﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ يخضنها ويربّيها.

﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في كفالتها.

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (٤٥).

[٤٥] ﴿إِذْ﴾ أي: واذكر إذ.

﴿قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾ قرأ حمزة، والكسائي: (يُبَشِّرُكِ) بفتح الياء وضم الشين مخففاً، والباقون: بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين مشدداً^(١).

﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وقوله: ابن مريم إعلام لها أنها تلد من غير أب، فلا يُنسَبُ إلا لأمه، والمسيح لقب لعيسى، معناه: الصديق، وقيل: معناه بالعبرانية: المبارك، وقيل غير ذلك.

﴿وَجِيهًا﴾ ذا جاهٍ وقدر.

(١) كما تقدم قريباً. انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٠/٢).

﴿ فِي الدُّنْيَا ﴾ بالنبوة والتقديم على الناس .

﴿ وَالْآخِرَةِ ﴾ بالشفاعة وارتفاع درجته في الجنة .

﴿ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ بارتفاعه إلى السماء ، وصحبته الملائكة .

﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ﴿٤٦﴾ .

[٤٦] ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ﴾ صغيراً قبل وقت الكلام معجزةً .

﴿ وَكَهْلًا ﴾ بعد نزوله من السماء بالوحي للرسالة كما سيأتي عند ذكر رفعه إلى السماء ، فالطفل : مَنْ لَمْ يُمَيِّزْ ، والمميزُ : مَنْ بَلَغَ ^(١) سبعاً ، والصبيُّ والغلامُ واليافعُ واليتيمُ : مَنْ لَمْ يَبْلُغْ ، والمراهقُ : مَنْ قَارَبَ البلوغَ ، والشابُّ والفتى : مِنْهُ إِلَى الثَّلَاثِينَ ، وَالْكَهْلُ مَنْ تَجَاوَزَ الثَّلَاثِينَ إِلَى الْخَمْسِينَ ، وَقَارَبَ الشَّيْبَ ، مَنْ اكْتَهَلَ النَّبْتُ : قَارَبَ الْيَسَرَ ، وَحَالُ الْكُهُولَةِ الَّتِي يَسْتَحْكَمُ فِيهَا الْعَقْلُ ، وَيَسْتَنْبَأُ فِيهَا الْأَنْبِيَاءُ ، وَالشَّيْخُ : مِنَ الْخَمْسِينَ إِلَى السَّبْعِينَ ، ثُمَّ هَرِمَ .

﴿ وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ أي : هو من العباد الصالحين .

﴿ قَالَتْ رَبِّ أَلَيْسَ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ﴿٤٧﴾ .

[٤٧] ﴿ قَالَتْ رَبِّ ﴾ سيدي ، تقوله لجبريل عليه السلام .

(١) «من بلغ» ساقطة من «ن» .

﴿أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ زوجٌ قالت تعجباً؛ إذ لم تكن جرت العادة بأن يولد ولدٌ لا أب له.

﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أراد كون شيء.

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ كما يريد. قرأ عاصمٌ، وحمزةٌ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وابنُ عامرٍ، وروحٌ عن يعقوبَ: (يَشَاءُ إِذَا) بتحقيق الهمزتين، والباقون: بتحقيق الأولى، وتسهيل الثانية، وهي أن تبدل واواً خالصةً مكسورة^(١)، وقرأ ابنُ عامرٍ: (فَيَكُونُ) بنصب النون، والباقون: بالرفع^(٢)، وتقدّم توجيه قراءتهم في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾.

[٤٨] ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾ أي: الخطَّ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وعاصمٌ، ويعقوبُ (وَيُعَلِّمُهُ) بالياء؛ لقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٤٧] وقرأ الباقر: بالنون على التعظيم^(٣)؛ لقوله تعالى:

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للديماطي (ص: ١٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣١/٢).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديماطي (ص: ١٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣١/٢).

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٣٣٤)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٩)، و«الكشف» لمكي (١/٣٤٤)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٦)، =

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ [آل عمران : ٤٤] .

﴿ وَالْحِكْمَةِ الْعِلْمَ وَالْفِقْهَ .

﴿ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ عِلْمَهُ اللَّهُ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ .

﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُزْرِقُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخَيِّ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبَشِّرُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٤٩﴾ .

[٤٩] ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ وكان أول أنبياء بني إسرائيل يوسف، وآخرهم عيسى عليهما السلام -، فلما بُعِثَ قال : ﴿ أَنِّي ﴾ أي : بأنني .

﴿ قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ ﴾ علامة .

﴿ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ على صدقي ، فلما قال ذلك لبني إسرائيل ، قالوا : وما هي ؟ قال :

﴿ أَنِّي ﴾ قرأ نافع ، وأبو جعفر : بكسر الألف على الاستئناف ؛ أي : قال : (إِنِّي أَخْلُقُ) ، وقرأ الباقون : بالفتح على معنى بـ (أَنِّي أَخْلُقُ) ^(١) ،

= و«تفسير البغوي» (١/٣٥٣) ، و«التيسير» للداني (ص : ٨٨) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٠) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص : ١٧٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٣٢) .

(١) انظر : «الحجة» لأبي زرة (ص : ١٦٤) ، و«السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢٠٦) ، و«الحجة» لابن خالويه (ص : ١٠٩) ، و«الكشف» لمكي (١/٣٤٤-٣٤٥) ، =

وقراءة الكوفيين، وابن عامر: بإسكان الياء، والمدنيين، والبصريين، وابن كثير: بفتحها^(١).

﴿أَخْلُقْ لَكُمْ﴾ أي: أشكل شيئاً.

﴿مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةٍ﴾ كصورة.

﴿الطَّيْرِ﴾ قرأ أبو جعفر بخلاف عنه (كَهَيْئَةٍ) بتسهيل الهمزة؛ وعنه وجه آخر (كَهَيْئَةٍ) بتشديد الياء بغير همز^(٢)، وقرأ أيضاً الطائر بألفٍ بعد الطاء.

﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ أي: في الشيء المُشَكَّل.

﴿فَيَكُونُ﴾ أي: فيصيرُ.

﴿طَيْرًا﴾ قرأ أبو جعفر، ونافع، ويعقوب (طَائِرًا) بالألف، وسَهَّلَ أبو جعفر همزة الطائر (طَائِرًا) بخلاف عنه^(٣)، فَمَنْ قرأ: (طَيْرًا) على

= و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٥٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٣٤).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٣٤).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٣٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٥٣)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ٧٩)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٤٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٤).

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٣٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٤٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٥٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٨)، و«النشر في =

الجمع؛ أي: طيراً كثيرةً، وَمَنْ قرأ طائراً على الأفراد؛ لأنه لم يخلُق سِوَى الخَفَّاشِ، وإنما خَصَّ الخَفَّاشَ؛ لأنه أكملُ الطيرِ خَلْقاً؛ لَأَنَّ لها ثَدْياً وأَسناناً، وتحيضُ وتضحكُ، وتُرْضِعُ ولَدَها، وتبولُ كما تبولُ ذواتُ الأربع^(١).

﴿يَا ذَنْ لِّلّٰهِ وَأُتْرِىُّ﴾ أي: أشفي.

﴿الْأَكْمَهَ﴾ هو الذي يولدُ أعمى.

﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ هو الذي بِهِ وَضَحٌ، وَخُصَّ بالذكرِ؛ لأنهما داءُ أعياءٍ؛ لأنه بُعثَ زمنَ الطبِّ، وكان يداويهم بالدعاء بشرطِ بالإيمان، قالوا: أبرا في يوم واحدٍ خمسين ألفاً.

﴿وَأَخِي الْمَوْتَى﴾ أحيأ أربعة أنفسٍ عازَر، وابنَ العجوزِ، وابنةَ العَشَّارِ، وسامَ بنِ نوحٍ، فأما عازَرُ، فكان صَدِيقاً له، فانطلقَ إلى قبره، فدعا اللهَ، فخرجَ من قبره، وبقيَ، ووُلِدَ له، وأما ابنُ العجوزِ مَرَّتْ به مَيْتاً على عيسى على سريرٍ يُحْمَلُ، فدعا اللهَ، فجلسَ على سريرِهِ، ونزلَ عن أعناقِ الرجالِ، ولبسَ ثيابهُ، وحملَ سريرَهُ على عنقه، ورجعَ إلى أهله، وبقيَ، ووُلِدَ له، وأما ابنةُ العَشَّارِ، كان رجلاً يأخذُ العُشُورَ، ماتت له بنتٌ بالأمس، فدعا اللهَ عز وجل، فأحيأها، فبقيت وولد لها، وأما سامُ بنُ نوحٍ، فَإِنَّ عيسى أتى قبرَهُ، فدعا باسمِ اللهِ الأعظمِ، فخرجَ من قبره وقد شابَ نصفُ رأسِهِ خوفاً

= القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٥).

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٣٦).

من قيام الساعة، ولم يكونوا يَشِيبُونَ في ذلك الزمان، فقال: قد قامت
القيامة؟ قال: لا، ولكن دعوتك باسم الله الأعظم، ثم قال له: مُت، قال:
بشرط أن يُعِيدَنِي اللهُ من سكرات الموت، فدعا الله، ففعل.

﴿يَا ذِينَ اللَّهِ﴾ كَرَّرَهَا لِنَفْيِ تَوَهُّمِ الْأُلُوْهِيَّةِ فِيهِ .

﴿وَأَنْبِئُكُمْ﴾ أَخْبَرُكُمْ .


﴿بِمَا تَأْكُلُونَ﴾ مِمَّا لَمْ أُعَايِنُهُ .

﴿وَمَا تَدْخُرُونَ﴾ أَي: تُخْبِتُونَ .

﴿فِي يُؤْتِيكُمْ﴾ كَانَ يَخْبِرُ الشَّخْصَ بِمَا أَكَلَ قَبْلُ، وَبِمَا يَأْكُلُ بَعْدُ،
وَيَخْبِرُ الصَّبِيَانَ وَهُوَ فِي الْمَكْتَبِ بِمَا يَصْنَعُ أَهْلُهُمْ، وَبِمَا يَأْكُلُونَ .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الَّذِي ذَكَرْتُ .

﴿لَايَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مُوَفِّقِينَ لِلْإِيمَانِ .

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحَدٍ لَّكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ
عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ .

[٥٠] ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ حَالٌ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿بِآيَةٍ﴾ أَي: جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ،
وَجِئْتُكُمْ مُصَدِّقًا .

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ لِمَا تَقَدَّمَ مِنِّي .

﴿مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحَدٍ لَّكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ مِنَ اللَّحُومِ
وَالشُّحُومِ .

﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ كَرَّرَهَا تَأْكِيدًا .

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ لِمَا جِئْتُمْ بِهِ ^(١).

﴿وَأَطِيعُوا﴾ فيما أَدْعُوكم إِلَيْهِ. قرأ يعقوبُ: (وَأَطِيعُونِي) بِإِثْبَاتِ الْيَاءِ

بعد النون ^(٢).

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾.

[٥١] ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ هذه الجملة هي الآية التي جاءهم

بها.

﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي: هو الطريق المشهود له بالاستقامة.

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ

الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ﴿٥٢﴾.

[٥٢] ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ﴾ أي: علم.

﴿عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ﴾ وأرادوا قتله، فاستنصر عليهم.

﴿وَقَالَ مَنْ أَنْصَارِي﴾ جمع نصير. قرأ نافع، وأبو جعفر: (أَنْصَارِي)

بفتح الياء، وقرأ الدوري عن الكسائي: (أَنْصَارِي) بِإِمَالَةٍ فَتَحَةِ الصَّادِ.

(١) «لما جئتم به» سقط من «ن».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢)، و«الكشف» لمكي (١/٣٧٤)،

و«الغيث» للصفافسي (ص: ١٧٦-١٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)،

و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٧)، و«إتحاف فضلاء البشر»

للدمياطي (ص: ١٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٣٧).

﴿إِلَى اللَّهِ﴾ أي: من أنصاري ذاهباً إلى الله؟ أي: إلى عباده ؛ لأن عيسى مرّاً بالحواريين وهم يصيدون، فقال: ما تصنعون؟ قالوا: نصيّد السمك، قال: أفلا تذهبون نصيّد الناس؟ قالوا: من أنت؟ قال: عيسى.

﴿فَأَكَّ الْحَوَارِيُّونَ﴾ أي: الراجعون إلى الله، وهم صفوة الأنبياء، وحواري الرجل: خالصته^(١) وقال ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا، وَحَوَارِيّ الزُّبَيْرِ»^(٢)، سُمُّوا بذلك لبياض ثيابهم، وكانوا اثني عشر رجلاً، وهم: شمعون الصفا، وبطرس وأخوه أندراوس، ويعقوب بن زبدة، وفيلبس، وبرطولوماوس، وأندريوس، ومرقس، ويوحنا، ولوقا، وتوما، ومثي.

﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ أي: أعوان دينه.

﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ﴾ يا عيسى.

﴿يَأْتَانَا مُسْلِمُونَ﴾ لتشهد لنا يوم القيامة.

﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿٥٣﴾

[٥٣] ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ﴾ من كتابك.

﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ عيسى.

﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ لأنبيائك بالصدق.

(١) في «ن»: «خاصته».

(٢) رواه البخاري (٦٨٣٣)، كتاب: التمني، باب: بعث النبي ﷺ الزبير طليعة وحده، ومسلم (٢٤١٥)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل طلحة والزبير - رضي الله عنهما -، عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما -.

﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ ﴿٥٤﴾.

[٥٤] ﴿وَمَكْرُوا﴾ أي: كفارُ بني إسرائيل الذين أحسَّ عيسى منهم الكفرَ، والمكرُ: إخفاء الكيد، ومكرُهم به: إرادة قتله.

﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ بهم؛ أي^(١): بأن ألقى شبهه على من أراد اغتياله وقتله.

﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ أقدرُهم وأقواهم.

ولمَّا أعلَمَ الله المسيح أنه خارجٌ من الدنيا، جمعَ الحواريين تلكَ الليلةَ، وأوصاهم، ثم قال: ليكفرنَّ بي أحدكم قبل أن يصيحَ الديكُ، ويبيعني بدراهمَ يسيرةٍ، وكان اليهودُ قد جدُّوا في طلبه، فحضرَ بعضُ الحواريين إلى الحاكمِ على اليهود، واسمُه فيلاطوس، ولقبه هرودوس إلى جماعةٍ من اليهود، وقال: ما تجعلون لي إذا دَلَلْتُكم على المسيح؟ فجعلوا له ثلاثين درهماً، فأخذها، ودلَّهم عليه، فرفعَ اللهُ المسيحَ إليه، وألقى شبهه على الذي دلَّهم عليه، فإنَّ اليهودَ لما قصدوه أظلمت الدنيا حتى صارت كالليل، وأظلمت الشمسُ، وظهرتِ النجوم^(٢) الكواكبُ، وانشَقَّتِ الصخورُ، فلذلك لم يحققوا المشبهَ من شدةِ الظلمة، وحصولِ الإرجافِ، فقتلوه وصلبوه على الخشب، وهم يظنون أنه عيسى، وأنزل اللهُ المسيحَ من السماءِ إلى أمه مريمَ وهي تبكي عليه، فقال لها: إن الله رفعني إليه، ولم يُصْبني إلا الخيرُ، وأمرها فجمعتَ له الحواريين، فبَثَّهم في الأرض دُعاةً،

(١) «أي» زيادة من «ن».

(٢) «النجوم» زيادة من «ن».

ثم رَفَعَهُ إِلَيْهِ، وتلك الليلة التي تدخُنُ فيها النصارى .

وتفرَّقَ الحواريون حيثُ أمرهم، وكسا الله عيسى الریشَ، وألبسهُ النورَ، وقطَعَ عنه لذةَ الطعامِ والمشربِ، وطارَ مع الملائكة، فهو معهم حولَ العرشِ .

وكان رفعُ المسيح ليلةَ القدرِ من شهرِ رمضانَ بعدَ نبوته ثلاثِ سنينَ؛ فإنه ^(١) نُبِيَ على رأسِ ثلاثينَ سنةً، ورفعهُ الله إليه وهو ابنُ ثلاثٍ وثلاثينَ سنةً، وكان رفعُهُ لمضيِّ ثلاثِ مئةٍ وستٍ وثلاثينَ سنةً من غلبةِ الاسكندرِ اليونانيِّ على أرضِ بابلَ، وبينَ رفعِهِ ومولدِ النبيِّ ﷺ خمسُ مئةٍ وخمسونَ وأربعونَ سنةً، فيكونُ بينَ رفعِهِ والهجرةِ الشريفةِ النبويةِ المحمديةِ خمسُ مئةٍ وثمانٍ وتسعونَ سنةً .

أما أمُّه مريمُ عليها السلام فإنها عاشتْ نحو ثلاثٍ وخمسينَ سنةً؛ لأنها حملتْ به لما صار لها من العمر ثلاثَ عشرةَ سنةً، وولدتَه بيتِ لحم من أرضِ بيتِ المقدسِ، وعاشتْ مجتمعةً معه ثلاثاً وثلاثينَ سنةً وكسراً، وبقيت بعدَ رفعِهِ ستَّ سنينَ، وللمؤرخين في ذلك خلافٌ، والله أعلم .

وكان رفعُهُ من طورِ زيتا جبلٍ شرقيِّ بيتِ المقدسِ .

وروي أنه دعا وقتَ رفعِهِ الله بهذا الدعاءِ، وهو دعاءُ مُستجابٌ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الْقَرِيبُ فِي عُلُوكَ، الْمُتَعَالِي فِي دُنُوكَ، الرَّفِيعُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ أَنْتَ الَّذِي نَفَذَ بَصْرُكَ فِي خَلْقِكَ، وَحُسِرَتِ الْأَبْصَارُ دُونَ النَّظَرِ إِلَيْكَ، وَغُشِيَتْ دُونَكَ، وَسَبَّحَ لَكَ الْفَلَقُ فِي النُّورِ ^(٢)، أَنْتَ الَّذِي جَلَيْتَ الظُّلَمَ

(١) في «ت»: «وأنه» .

(٢) «في النور» سقطت من «ت» .

بُنُورِكَ، فَتَبَارَكَتَ اللَّهُمَّ أَنْتَ خَالِقُ الْخَلْقِ بِقُدْرَتِكَ، مُقَدِّرُ الْأُمُورِ بِحُكْمَتِكَ، مُبْدِعُ الْخَلْقِ بِعَظَمَتِكَ، الْقَاضِي فِي كُلِّ شَيْءٍ بِعِلْمِكَ، الَّذِي خَلَقْتَ سَبْعاً فِي الْهَوَاءِ بِكَلِمَاتِكَ مُسْتَوِيَاتِ الطَّبَاقِ، مُذْعِنَاتٍ لِبَطَاعَتِكَ، سَمَاءَ بَهَنٍ الْعُلُوءِ بِسُلْطَانِكَ، فَأَجَبَنَ وَهْنٌ دُخَانٌ مِنْ خَوْفِكَ، فَأَتَيْنَ طَائِعِينَ بِأَمْرِكَ، فِيهِنَّ الْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَكَ وَيُقَدِّسُونَكَ، وَجَعَلْتَ فِيهِنَّ نُوراً يَجْلُو الظَّلَامَ، وَضِيَاءَ أَضْوَاءٍ مِنَ الشَّمْسِ، وَجَعَلْتَ فِيهِنَّ مَصَابِيحَ نَهْتَدِي بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ، فَتَبَارَكَتَ اللَّهُمَّ فِي مَقْطُورِ سَمَاوَاتِكَ، وَفِيمَا دَحَوْتَ مِنَ الْأَرْضِ، وَدَحَوْتَهَا عَلَى الْمَاءِ، فَأَذَلَّتْ لَهَا الْمَاءَ الطَّاهِرَ، فَذَلَّ لِبَطَاعَتِكَ، وَأَذَعَنَ لِأَمْرِكَ، وَخَضَعَ لِقُوتِكَ أَمْوَاجُ الْبِحَارِ، فَفَجَّرْتَ فِيهَا بَعْدَ الْبِحَارِ الْأَنْهَارَ وَبَعْدَ الْأَنْهَارِ الْعُيُونُ الْغِزَارَ وَالْيَنَابِيعَ، ثُمَّ أَخْرَجْتَ مِنْهَا الْأَشْجَارَ بِالشَّمَارِ، ثُمَّ جَعَلْتَ عَلَى ظَهْرِهَا الْجِبَالَ أَوْتَاداً، فَأَطَاعَتَكَ أَطْوَادُهَا، فَتَبَارَكَتَ اللَّهُمَّ صِفَاتُكَ، وَمَنْ يَبْلُغُ صِفَةَ قُدْرَتِكَ، وَمَنْ يَنْعَتُ نَعَتَكَ؟ تَنْزِلُ الْغَيْثَ، وَتُنْشِئُ السَّحَابَ، وَتَقْلُقُ الرِّقَابَ، وَتَقْضِي الْحَقَّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، إِنَّمَا يَخْشَاكَ مِنْ عِبَادِكَ الْعُلَمَاءُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ لَسْتَ بِإِلَهٍ اسْتَحْدَثْنَاكَ، وَلَا رَبَّ لَنَا سِوَاكَ نَذْكُرُهُ، وَلَا كَانَ لَكَ شُرَكَاءُ يَقْضُونَ مَعَكَ نَدْعُوهُمْ وَنَدْعُكَ، وَلَا أَعَانَكَ أَحَدٌ عَلَى خَلْقِكَ فَنَشْكُ فَيْكَ، أَشْهَدُ أَنَّكَ أَحَدٌ صَمَدٌ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ، وَلَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَداً، اجْعَلْ لِي مِنْ أَمْرِي فَرْجاً وَمَخْرَجاً، فَلَمَّا تَمَّ دَعَاؤُهُ، رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ^(١).

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/٤٧٣-٤٧٤)، عن وهب بن منبه.

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴾ .

[٥٥] ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ ﴾ ظرف لـ (مَكَرَ اللَّهُ) .

﴿ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ أي : مُنِيْمُكَ ، من : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ ﴾ [الأنعام : ٦٠] ، وكان عيسى قد نام ، فرفعه الله نائماً إلى السماء .

﴿ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ إلى سمائي ، ومَقَرِّ ملائكتي ، قال جماعة : في الآية تقديم وتأخير ، معناه : إني رافعك إليّ .

﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ومتوفِّيك بعد إنزالك من السماء ، وقيل : بل توفاه الله ثلاث ساعاتٍ من النهار ، ثم رفعه إليه .
﴿ وَمُطَهِّرُكَ ﴾ مُنَجِّيك .

﴿ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ مُخْرِجُكَ مِنْ بَيْنِهِمْ .

﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ ﴾ هُمْ أَهْلُ الْإِسْلَام الَّذِينَ صَدَّقُوهُ وَاتَّبَعُوا دِينَهُ فِي التَّوْحِيدِ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ ، فهم ﴿ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ظاهرين عليهم يغلبونهم بالسيف والبرهان ﴿ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴾ لأنه لا شريعة بعد شريعة محمد ﷺ .

﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ ﴾ في الآخرة .

﴿ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴾ في الدنيا من الدين ، وأمر عيسى عليه السلام .

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ ﴿٥٦﴾ .

[٥٦] ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا ﴾ بالقتل والسبي والجزية .

﴿ وَالْآخِرَةِ ﴾ بالنار ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ .

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورُهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٥٧﴾ .

[٥٧] ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورُهُمْ ﴾ أي : جزاء أجورهم ؛ لأنهم عملوا خيراً ، فأعطاهم الجنة . قرأ حفص عن عاصم ، ورؤيس عن يعقوب : (فَيُوَفِّيهِمْ) بالياء ، والباقون : بالنون^(١) .

﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ لا يرحم الكافرين ، ولا يُثني عليهم بالجميل .

(١) انظر : «إعراب القرآن» للنحاس (١/٣٣٨) ، و«الحجة» لأبي زرعة (ص : ١٦٤) ، و«السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢٠٦) ، و«الحجة» لابن خالويه (ص : ١١٠) ، و«الكشف» لمكي (١/٣٤٥) ، و«الغيث» للصفاقسي (ص : ١٧٦) ، و«تفسير البغوي» (١/٣٦١) ، و«التيسير» للداني (ص : ٨٨) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٠) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ١٧٥) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٣٨) ، ولم يُذكر «يعقوب» في مطبوعة «تفسير البغوي» ، وذكرت القراءة عنه في باقي المصادر : «فنوفهم» بالنون .

﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿٥٨﴾

[٥٨] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: هذا الذي ذكرته لك من خبر عيسى ومريم

والحواريين .

﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ نخبرُكَ بهِ بتلاوةِ جبريلِ عليه السلام .

﴿مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ القرآنِ المحكَّمِ الممنوعِ من كُلِّ خَلَلٍ .

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ

فَيَكُونُ﴾ ﴿٥٩﴾

[٥٩] ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ﴾ في كونه خَلْقًا من غيرِ أبٍ .

﴿كَمَثَلِ آدَمَ﴾ في كونه خَلْقًا من غيرِ أبٍ وأُمٍّ، وتم الكلام على قوله :

﴿آدَمَ﴾ ثم قال : ﴿خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ قَدَرَهُ جَسَدًا من طِينٍ . نَزَلَتْ لما قال

وفدُ نجرانَ للنبيِّ ﷺ : تشتمُّ صاحبنا تقولُ إِنَّهُ عَبْدٌ؟! قالَ : «أَجَلُ إِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ

وَرَسُولُهُ» قالوا : هل رأيتَ وَلَدًا من غيرِ أبٍ؟! فَتَلَّتِ الْآيَةَ^(١) ، فَشَبَّهَ عِيسَى

بِآدَمَ من حيثُ إنَّ آدَمَ خُلِقَ بِغَيْرِ أَبِي وَلَا أُمٍّ، وهذا من تشبيهِ الغريبِ

بِالأغربِ ؛ لأنَّ خلقَ آدَمَ أغربُ من خَلْقِ عِيسَى ؛ ليكونَ أَقْطَعَ لِلْخَصْمِ ،

وَأَوْقَعَ فِي النَفْسِ ، والمعنى : خَلَقَ قَالِبُهُ من الترابِ^(٢) .

﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يعني : فكانَ ؛ أي : أنشأه بشرًا ؛ كقوله تعالى :

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [المؤمنون : ١٤] .

(١) انظر : «أسباب النزول» للواحدي (ص : ٥٥) .

(٢) في «ت» : «بالتراب» ، وفي «ن» : «على التراب» .

﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ ﴿٦٠﴾ .

[٦٠] ﴿ الْحَقُّ ﴾ أي : هو الحق .

﴿ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ أي : الشاكِّين ، الخطابُ مع النبي ﷺ ،
والمرادُ منه غيره .

﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا
وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ
اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ ﴿٦١﴾ .

[٦١] ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ ﴾ أي : جادلَكَ من النصارى في عيسى .

﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ أي : الدلالات الموجبة للعلم .
﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا هَلُمُّوا .

﴿ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا حَسَنًا وَحُسَيْنًا ﴾ وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا فَاطِمَةَ .

﴿ وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا ﴾ النبي ﷺ وعلياً رضي الله عنه .

﴿ وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ ﴾ نتضرَّع في الدعاء .

﴿ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ ﴾ تلخيصه : لنجتمع نحن وأنتم جميعاً ، ثم نتضرَّع
في اللعن والدعاء .

﴿ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ منا ومنكم في شأن عيسى ، فلما قرأها النبي ﷺ
على وفدِ نجران ، قالوا : حتى ننظرَ في أمرنا ، ونأتيكَ غداً ، فقالَ عبدُ
المسيحِ منهم ، وكان ذا رأيهم : لقد عرفتمُ أن محمداً نبِيٌّ حَقٌّ ، وأنه واللهِ
ما لا عن قومٍ قطُّ نبِيَّهُم فعاشَ كبيرُهُم ، ولا نبتَ صغيرُهُم ، فوادِعُوا الرجلَ ،

وانصرفوا إلى بلادكم، فأتوا النبي ﷺ من الغد، وقد غدا محتضناً الحسن^(١)، آخذاً بيد الحسين^(٢)، وفاطمة خلفه، وعلي خلفها، ويقول لهم: «إِذَا دَعَوْتُ فَأَمُّنُوا»، فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى! إني لأرى وجوهاً لو سألوها الله أن يزيل جبلاً عن مكانه لأزاله، فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبق على وجه الأرض نصراني، فأبوا المباهلة، فصالحهم ﷺ على مال يؤدونه إليه في كل عام، وهو ألفا حلة، ألف في صفر، وألف في رجب، وانصرفوا إلى بلادهم، فقال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنَّ الْعَذَابَ قَدْ تَدَلَّى عَلَى أَهْلِ نَجْرَانَ، وَلَوْ لَاعْنُوا، لَمُسِحُوا قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ، وَلَا ضَظْرَمَ عَلَيْهِمُ الْوَادِي نَاراً، وَلَا سَتَّاهِلَ اللَّهُ نَجْرَانَ، حَتَّى الطَّيْرَ عَلَى رُؤُوسِ الشَّجَرِ، وَلَمَّا حَالَ الْحَوْلُ عَلَى النَّصَارَى كُلِّهِمْ حَتَّى هَلَكُوا»^(٣)، وأما رسمُ (لعنت) هنا، وفي النور، فإنه بالتاء، وقف عليها بالهاء ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

[٦٢] ﴿إِنَّ هَذَا﴾ أي: المذكور من خبر عيسى.

﴿لَهُوَ الْقَصَصُ﴾ أي: الخبر.

(١) في «ش» «الحسين».

(٢) في «ش»: «الحسن».

(٣) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٥٥)، و«تفسير البغوي»

(١/ ٣٦٢-٣٦٣)، و«العجائب في بيان الأسباب» لابن حجر (٢/ ٦٨٢).

﴿الْحَقُّ﴾ الذي لا شك فيه .

﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ﴾ (من) زائدة؛ أي: وما إله.

﴿إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ لا أحد يُساويه في القدرة والحكمة.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٦٣﴾ .

[٦٣] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: أعرضوا عن الإيمان.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ الذين يعبدون غير الله.

﴿قُلْ يَتَاهِلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ﴿٦٤﴾ .

[٦٤] ولما قدم وفد نجران المدينة، والتفوا مع اليهود، اختصموا في إبراهيم عليه السلام، فرعمت النصارى أنه كان نصرانياً، وهم على دينه، وقالت اليهود: بل كان يهودياً، ونحن على دينه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «كَلَّا الْفَرِيقَيْنِ مِنْهُ بَرِيءٌ، بَلْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً، وَأَنَا عَلَى دِينِهِ» فنزل:

﴿قُلْ يَتَاهِلَ الْكِتَابِ﴾ ^(١) هم أهل الكتابين .

﴿تَعَالَوْا﴾ هَلُمُّوا .

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣٦٣/١)، و«العجاب» لابن حجر (٦٨٧/٢).

﴿إِلَى كَلِمَةٍ﴾ العربُ تسمِّي كلَّ قصَّةٍ لها شرحٌ: كلمةً، ومنه سُمِّيتِ القصيدةُ كلمةً ﴿سَوَاءٌ﴾ عدلٍ.

﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ المعنى: هَلُمُّوا إلى كلمةٍ يستوي طرفاها، تنصفُ بيننا وبينكم، ليعطي كُلُّ النِّصْفَةِ من نفسه، وهي:

﴿أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: لا نسجدُ لغيرِ الله.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن التوحيد.

﴿فَقُولُوا﴾ أنتم لهم:

﴿أَشْهَدُوا﴾ أي: اعلموا ﴿يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ﴾.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

[٦٥] ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ تزعمون أنه على دينكم، وقد حدثت اليهودية بعد نزول التوراة، والنصرانية بعد نزول الإنجيل.

﴿وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ لأن بين إبراهيم وموسى ألف سنة، وبين موسى وعيسى ألفي سنة، قاله البغوي وغيره، وبين المؤرخين في ذلك خلافٌ.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بطلان ما تقولون؟!!

﴿هَاتَيْنِمْ هَتُولَاءِ حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٦).

[٦٦] ﴿هَاتَيْنِمْ﴾. قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، ونافع: بتسهيل الهمزة بينَ بينَ، وقرأ عاصمٌ، وحمزة، والكسائي، وخلف، وابنُ كثير، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: بتحقيق الهمزة بعدَ الألف^(١)، وروي عن ورشٍ (هَاتَيْنِمْ) مدّاً بلا همزة، وعنه وجهٌ ثانٍ: (هَاتَيْنِمْ) بهمزةٍ مقصورةٍ بينَ الهاءِ والنون، مثل سألتُم^(٢)، وروي عن قنبلٍ كالوجه الثاني عن ورشٍ، أصلها: (أأنتم) قلبت الهمزة الأولى هاء؛ كقولهم: هَرَقَتْ وَأَرَقَتْ^(٣).

﴿هَتُولَاءِ﴾ أصله: أولاء، دخلت عليه هاءُ التنبيه، وهو في موضعِ النداء، يعني: يا هؤلاء! أنتم.

﴿حَجَجْتُمْ﴾ جادلتم.

﴿فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي: فيما علمتموه من التوراة والإنجيل من أمرِ موسى وعيسى.

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٠)، و«الكشف» لمكي (٣٤٦/١-٣٤٧)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٦)، و«تفسير البغوي» (٣٦٥/١)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٩-٤٠).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٤٨٥/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٠/٢).

(٣) انظر: مصادر التعليق رقم (١).

﴿ فَلَمْ تَحَاجُّوْنَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ من أمرِ إبراهيمَ ، وليسَ ^(١) في كتابكم ذكرُهُ ؛ لأنه قبلَكم ؟ أي : أنتم تجادلون فيما علمتم وفيما لم تعلموه .
 ﴿ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وأنتم جاهلون به .

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

[٦٧] ثم برأ تعالى إبراهيمَ فقال : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا ﴾ أي : مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين المستقيم .
 ﴿ مُّسْلِمًا ﴾ ثم وبَّخهم مؤكداً براءته فقال : ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللّٰهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

[٦٨] ثم أوماً إلى بعدهم عنه فقال : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ ﴾ أي : أقربهم وأحقَّهم .

﴿ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ﴾ في زمانه وبعده .

﴿ وَهَذَا النَّبِيُّ ﴾ يعني : محمداً ﷺ .

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ من هذه الأمة .

﴿ وَاللّٰهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ينصرهم .

(١) «وليس» ساقطة من «ت» .

﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٦٩﴾.

[٦٩] ونزل في معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر حين دعاهم اليهود إلى دينهم:

﴿وَدَّتْ﴾ ^(١) تمنَّت.

﴿طَائِفَةٌ﴾ جماعة.

﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني: اليهود.

﴿لَوْ يُضِلُّوكُمْ﴾ عن دينكم.

﴿وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾ أي: وما يضلُّون إلا أمثالهم.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ ﴿٧٠﴾.

[٧٠] ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ يعني: القرآن، وبيان

نعت محمد ﷺ.

﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ أن نعته في التوراة والإنجيل.

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٥٨). وقد مضت القصة في سورة البقرة.

﴿يَتَاهَلِ الْكِتَابَ لِمَ تَلْسُوتَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧١﴾ .

[٧١] ﴿يَتَاهَلِ الْكِتَابَ لِمَ تَلْسُوتَ﴾ تَخْلِطُونَ .
 ﴿الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ الإسلام باليهودية والنصرانية .
 ﴿وَتَكْفُمُونَ الْحَقَّ﴾ أي : نعت محمد ﷺ .
 ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه حق؟!

﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاخِرُهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ .

[٧٢] ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ فيما بينهم ، وهم اليهود .
 ﴿ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هو القرآن .
 ﴿وَجَهَ النَّهَارِ﴾ أوله .

﴿وَكَفُّوا ءَاخِرُهُ لَعَلَّهُمْ﴾ أي : لعل المسلمين يقولون : ما رجع هؤلاء عن الإسلام وهم أهل علمٍ ودرايةٍ إلا أنهم علموا بطلانه ، فيشككون فيه ، ثم يَرْجِعُونَ عنه بعدما دخلوا فيه .

﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٧٣﴾ .

[٧٣] ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا﴾ هذا متَّصِلٌ بالأول ؛ أي : وقالت : لا تؤمنوا .

﴿إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ أي: وافق ملتكم.

﴿قُلْ إِنْ أَلْهَدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ يهدي من يشاء إلى الإيمان.

﴿أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ﴾ قرأ ابن كثير (أَنْ يُؤْتَى) بهمزتين على الاستفهام،
والثانية منهما مسهلة^(١)؛ أي: ولا تصدقوا بأن يؤتى أحد.

﴿مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ إِلَّا مَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ.

﴿أَوْ بِحَاجَتِكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ عطف على ﴿يُؤْتَى﴾ أي: يوم القيامة تكون لهم
الحجة عليكم، والغلبة. تلخيصه: ما يؤتون مثله، ولا يحاجونكم،
والكلام^(٢) كله من قول الطائفة لأتباعهم، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَلْهَدَىٰ هُدَىٰ
اللَّهُ﴾ اعتراض بين الكلامين.

﴿قُلْ إِنْ أَلْفَضَلَ﴾ الهداية والتوفيق.

﴿بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ غني.

﴿عَلِيمٌ﴾ بالنبات.

﴿يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

[٧٤] ﴿يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ﴾ أي: بنبوته.

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٧)،
و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٠-١١١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص:
١٧٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٦٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٩)، و«إتحاف
فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٣/ ٢).

(٢) «الكلام» ساقطة من «ش».

﴿مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ رَدُّ لِمَا زَعَمُوا مِنْ أَنَّ نَبُوَّةَ مُوسَى مُؤَيَّدَةٌ، وَلَنْ يُؤْتِيَ اللَّهُ أَحَدًا مِثْلَ مَا آتَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ النَّبُوَّةِ وَالشَّرَفِ .

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّتِينَ سَكِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [٧٥] .

[٧٥] ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ﴾ هُوَ الْمَالُ الْكَثِيرُ .

﴿يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ، اسْتَوْدَعَهُ^(١) رَجُلٌ أَلْفًا وَمِثْقَى أُوقِيَّةٍ ذَهَبًا، فَأَدَاهُ إِلَيْهِ .

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ﴾ هُوَ الْقَلِيلُ .

﴿لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ هُوَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ^(٢)، وَقِيلَ: فَنَحَاصُ بْنُ عَازُورَاءَ، اسْتَوْدَعَهُ قَرَشِيٌّ دِينَارًا، فَلَمْ يَرُدَّهُ إِلَيْهِ، وَجَحَدَهُ . قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو، وَحَمْزَةً، وَأَبُو بَكْرٍ: (يُؤَدِّهِ) (لَا يُؤَدِّهِ) بِأَسْكَانِ الْهَاءِ، وَكَذَلِكَ (نُؤْتُهُ) وَ(نُؤَلُّهُ) وَ(نُضِلُّهُ)، وَاخْتَلَفَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، وَهَشَامٍ، وَقَرَأَ يَعْقُوبُ، وَقَالُونَ، وَأَبُو جَعْفَرٍ بِخِلَافٍ عَنْهُ: بِالِاخْتِلَاسِ كَسْرًا، وَبِالِإِشْبَاعِ كَسْرًا، فَمَنْ سَكَّنَ الْهَاءَ، قَالَ: لِأَنَّهَا وَضُعْتُ فِي مَوْضِعِ الْجَزْمِ، وَهُوَ الْيَاءُ الذَّاهِبُ، وَمَنْ اخْتَلَسَ، اكْتَفَى بِالْكَسْرِ غِنِ الْيَاءِ، وَمَنْ أَشْبَعَ، فَعَلَى الْأَصْلِ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي الْهَاءِ الْإِشْبَاعُ .

(١) فِي «ت»: «اسْتَوْدَعَهُ» .

(٢) انْظُرِ «الْعَجَابُ فِي بَيَانِ الْأَسْبَابِ» لِابْنِ حَجَرٍ (٢/٦٩٥) .

﴿إِلَّا مَا دُمْتُ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ مُلِحًا فِي الْمَطَالِبَةِ .

﴿ذَلِكَ﴾ أَي : تَرْكُهُمْ أَدَاءَ الْحَقِّ .

﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أَي : بِسَبَبِ أَنَّهُمْ .

﴿قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُتَيْنِ﴾ أَي : الْعَرَبِ .

﴿سَبِيلٌ﴾ أَي : إِثْمٌ ؛ لِأَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَسْتَحِلُّونَ أَمْوَالَ الْعَرَبِ وَمَنْ خَالَفَ دِينَهُمْ .

﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ لِادْعَائِهِمْ أَنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِمْ .

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بِكَذِبِهِمْ .

﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٧٦﴾ .

[٧٦] ﴿بَلَى﴾ إِثْبَاتٌ لِمَا نَفَوْهُ مِنَ السَّبِيلِ عَلَيْهِمْ فِي الْأَمِينِ ؛ أَي : بَلَى عَلَيْهِمْ سَبِيلٌ ، وَتَمَّ الْوَقْفُ هُنَا .

﴿مَنْ﴾ شَرْطٌ مُبْتَدَأٌ ، خَبَرُهُ :

﴿أَوْفَى بِعَهْدِهِ﴾ أَي : بِعَهْدِ اللَّهِ الَّذِي عَاهَدَ إِلَيْهِ فِي التَّوْرَةِ مِنَ الْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ .

﴿وَاتَّقَى﴾ الشَّرْكَ وَالْخِيَانَةَ ، وَجَوَابُ الشَّرْطِ .

﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ قَالَ ﷺ : «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَوْهَا : إِذَا أُوتِيَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»^(١) .

(١) رواه البخاري (٣٤) ، كتاب : الإيمان ، باب : علامة المنافق ، ومسلم (٥٨) ، =

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي
الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [٧٧].

[٧٧] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ ﴾ يستبدلون .

﴿ بِعَهْدِ اللَّهِ ﴾ إليهم في أداء الأمانة .

﴿ وَأَيْمَانِهِمْ ﴾ الكاذبة .

﴿ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ من حُطَامِ الدنيا، قيل: نزلت لما بدّل اليهودُ نعتَ
محمدٍ ﷺ، وعَهْدَ اللَّهِ الذي عهدَه إليهم في التوراة، وكتبوا غيرهما^(١)،
وقيل: أراد بعضُ الصحابةِ أخذَ مالٍ بيمينٍ كاذبةٍ، أو باع رجلٌ سلعةً في
السوق، فحلفَ بالله لقد^(٢) أُعْطِيَ ما لم يُعْطَ لِيُوقَعَ فيها مسلماً، فنزلت^(٣) .

﴿ أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ ﴾ لا نصيب .

﴿ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴾ ونعيمها .

﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ﴾ غضباً عليهم .

﴿ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾ لا يطهّرهم من الذنوب .

= كتاب: الإيمان، باب، بيان خصال المنافق، عن عبد الله بن عمرو بن العاص -
رضي الله عنهما - .

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٦٠) .

(٢) في «ن»: «لو» .

(٣) رواه البخاري (١٩٨٢)، كتاب: البيوع، باب: ما يكره من الحلف في البيع، عن
عبد الله بن أبي أوفى - رضي الله عنه - .

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ على فعلهم، قال ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ حَلَفَ يَمِينًا عَلَى مَالٍ مُسْلِمٍ، فَاقْتَطَعَ الْمَالَ، وَرَجُلٌ حَلَفَ يَمِينًا بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ أَنَّهُ أُعْطِيَ فِي سِلْعَتِهِ أَكْثَرَ مِمَّا أُعْطِيَ، وَهُوَ كَاذِبٌ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ»^(١).

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُنَ أَلْسِنَتَهُمُ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٧٨).

[٧٨] ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ أي: اليهود.

﴿لَفَرِيقًا﴾ أي: طائفة، منهم: كعب بن الأشرف، وحُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ، ومالك بن الصَّيْفِ، وغيرهم.

﴿يَلْوُنَ﴾ أي: يعطفون.

﴿أَلْسِنَتَهُمُ بِالْكِتَابِ﴾ والمراد: تحريفهم؛ كآية الرجم، وصفة محمد ﷺ وغيرهما ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ أي: لتظنوا ما حَرَفُوا.

﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ الذي أنزل الله.

(١) رواه البخاري (٧٠٠٨)، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وَجْهٌ يُؤْمَرُ﴾^(٢) نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ، ومسلم (١٠٨)، كتاب: الإيمان، باب: بيان غلط تحريم إسبال الإزار، والمن بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف... عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ .

﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ثم نفى ذلك ، فقال :

﴿وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ثم أكد كذبهم بقوله :

﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون ، وعن ابن

عباس : «إِنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى جَمِيعاً ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ حَرَّفُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ، وَالْحَقُّ بِكِتَابِ اللَّهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ»^(١) .

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّذِيلًا بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾^(٧٩) .

[٧٩] ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ يعني : محمداً ﷺ .

﴿أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ﴾ يعني : القرآن .

﴿وَالْحُكْمَ﴾ الفهم والعلم .

﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾ المنزلة الرفيعة^(٢) بالأنبياء^(٣) .

﴿ثُمَّ يَقُولَ﴾ نصباً عطفاً على ﴿يُؤْتِيَهُ﴾ .

﴿لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ نزلت لما قال أبو رافع القرظي من

اليهود ، والرئيس من نصارى أهل نجران للنبي ﷺ : يا محمداً! تريد أن

(١) انظر : «تفسير البغوي» (١/ ٣٧٤) .

(٢) في «ن» : «المرتفعة» .

(٣) في «ت» و«ن» : «بالأنبياء» .

نَعْبِدَكَ وَتَتَّخِذَكَ رَبًّا، فَقَالَ: «مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْمُرَ بِعِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ، مَا بِذَلِكَ بَعَثَنِي اللَّهُ، وَمَا بِذَلِكَ أَمَرَنِي»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ^(١)، وَالْبَشَرُ: جَمِيعُ بَنِي آدَمَ.

﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ عَلِمَاءَ﴾ علماء بالله فقهاء.

﴿يَمَا كُنْتُمْ﴾ أي: بما أنتم؛ كقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَيًّا﴾ [مريم: ٢٩]؛ أي: مَنْ هُوَ فِي الْمَهْدِ.

﴿تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وعاصِمٌ، وحمزة، والكسائي، وخلفٌ: (تُعَلِّمُونَ) بضمِّ التاء وفتح العين وكسر اللام مشددة؛ أي: تعلِّمُون غيركم، وقرأ الباقر: بالتخفيف مع فتح التاء واللام وإسكان العين، من العلم؛ لقوله:

﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ تَقْرَؤُونَ^(٢).

﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

[٨٠] ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وعاصِمٌ، وحمزة، ويعقوبُ:

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٦٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٧٤)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ١٩١).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٤٦)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٢)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٥١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٦).

بنصب الرء عطفأ على قوله: ﴿أَن يُؤْتِيَهُ﴾ والمعنى: ولا له أن يأمركم،
وقرأ الباكون: بالرفع على الاستئناف^(١)، وأبو عمرو على أصله في إسكان
الرء واختلاسهأ على اختلاف^(٢) الرواية عنه^(٣)، معناه: ولا يأمركم الله.

﴿أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ﴾ كقریش والصابئين حين قالوا: الملائكة بناتُ الله.

﴿وَالنَّبِيِّنَ أَزْوَاجًا﴾ كاليهود والنصارى، وقولهم في العزير والمسيح.
المعنى: ما ينبغي لمن أُعطي النبوة أن يأمر بعبادة غير الله، بل يأمرهم
بمعرفة ومعرفة أحكامه وعبادته.

﴿أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ تعجب وإنكار بمعنى: لا يقول هذا.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ
جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣٤٧/١)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (٣٧٦/١)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٧/١).

(٢) في «ت»: «الاختلاف».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٣)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٧/٢).

وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَبْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ .

[٨١] ﴿وَإِذْ﴾ أي: وأذكركم يا محمد حين .

﴿أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ وأمهم بما تقدّم، وبما يأتي .

﴿لَمَّا آتَيْنَاكُمْ﴾ قرأ حمزة: (لَمَّا) بكسر اللام للجبر، وهي متعلقة بأخذ؛ أي: أخذنا الميثاق لذلك فتكون (ما) بمعنى الذي، وقرأ الباقون: بفتحها^(١)، فتكون (ما) بمعنى الذي، واللام للابتداء، ودخلت لتؤكد معنى القسم؛ لأن أخذ الميثاق قسم في المعنى، والعائد محذوف؛ أي: الذي آتيتكموه، وقرأ نافع، وأبو جعفر: (آتَيْنَاكُمْ) بالنون على التعظيم، وقرأ الباقون: بالتاء؛ لموافقة الخط، ولقوله: ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ﴾، وخبر المبتدأ ﴿مَنْ كَتَبَ وَحَكَمَ﴾، ثم عطف على (آتيتكم):

﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ من العلم، وجواب القسم .

﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ أي: بالرسول .

﴿وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ عطف على (الرسول)، والمراد: محمد ﷺ، والذين

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرة (ص: ١٦٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٣-٢١٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١١)، و«الكشف» لمكي (١/٣٥٢-٣٥١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (١/٣٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٤١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٤٨-٤٩) .

أُخِذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقُ النَّبِيُّونَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . المعنى : أُخِذَ الْمِيثَاقُ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَكَ يَا مُحَمَّدٌ أَنْ يُؤْمِنُوا بِكَ ، وَإِنْ أَدْرَكَوكَ ، نَصْرُوكَ .

﴿ قَالَ ﴾ اللَّهُ تَعَالَى لِلْأَنْبِيَاءِ حِينَ اسْتُخْرِجَ الذَّرِّيَّةَ مِنْ صُلْبِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْأَنْبِيَاءُ فِيهِ كَالْمَصَابِيحِ وَالشُّرُجِ ، وَأُخِذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقُ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ :

﴿ أَأَقْرَرْتُمْ ﴾ بِذَلِكَ ؟ وَتَقَدَّمَ التَّنْبِيهُ عَلَى اخْتِلَافِ الْقِرَاءَةِ فِي الْهَمْزَتَيْنِ مِنْ كَلِمَةٍ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَأَسْلَمْتُمْ ﴾ وَكَذَلِكَ اخْتِلَافُهُمْ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَأَقْرَرْتُمْ ﴾ .
﴿ وَأَخَذْتُمْ ﴾ أَي : قَبِلْتُمْ . قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَحَفْصُ وَرَوَيْسٌ (وَأَخَذْتُمْ) بِإِظْهَارِ الذَّالِ عِنْدَ التَّاءِ ، وَالْبَاقُونَ : بِالْإِدْغَامِ ^(١) .

﴿ عَلَى ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ﴾ عَهْدِي .

﴿ قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ ﴾ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿ فَأَشْهَدُوا ﴾ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَأَتْبَاعِكُمْ .

﴿ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ عَلَيْكُمْ وَعَلَيْهِمْ .

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : « لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا مِنْ لَدُنْ آدَمَ فَمَنْ بَعْدَهُ إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدُ فِي مُحَمَّدٍ ﷺ : لَيْتُنْ بُعِثَ وَهُوَ حَيٌّ ، لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلِيَنْصَرَّتْهُ ، وَيَأْخُذَ الْعَهْدَ بِذَلِكَ عَلَى قَوْمِهِ » ^(٢) .

(١) انظر : «الغيث» للصفافسي (ص : ١٨٠) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢ / ٥٠) .

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٣ / ٣٣٢) .

﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٨٢).

[٨٢] ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الإقرار.

﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ العاصون الخارجون عن الإيمان.

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (٨٣).

[٨٣] اختلف أهل الكتابين، فادعى كل واحد أنه على دين إبراهيم، فاختصموا إلى رسول الله ﷺ، فقال: «كِلَا الْفَرِيقَيْنِ بَرِيءٌ مِنْ دِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ»، فغضبوا، وقالوا: لا نرضى بقضائك، ولا نأخذ بدينك، فأنزل الله تعالى:

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾^(١) دخلتِ الهمزة على الفاء العاطفة على محذوفٍ تقديره: أيتولونَ فغيرَ دينِ الله ييغون. قرأ أبو عمرو، وحفصٌ عن عاصم، ويعقوبُ (يَبْغُونَ) بالغيب؛ لقوله: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ وقرأ الباقر: بالخطاب؛ لقوله: ﴿لَمَّا أَتَيْتُكُمْ﴾^(٢).

﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾ خضع وانقاد.

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٦١)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ٩٢!).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٢)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٥٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٧٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديماطي (ص: ١٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٥١).

﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾ بسهولة^(١).

﴿وَكَرَّهَا﴾ بمشقة، فأهل السموات يسجدون طَوْعًا، وأهل الأرض يسجدُ بعضهم طَوْعًا، وبعضهم كَرَّهَا؛ كالمنافقين.

﴿وَالِيَهُ يُرْجَعُونَ﴾ قرأ حفص، ويعقوب: بالغيب، فحفص: بضم الياء ونصب الجيم، ويعقوب على أصله في فتح الياء وكسر الجيم، والباقون: بالخطاب مع ضم الياء ونصب الجيم^(٢).

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

[٨٤] ﴿قُلْ﴾ الخطاب للنبي ﷺ.

﴿ءَامَنَّا﴾ أي: أنا والمؤمنون.

﴿بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ مُتْقَادُونَ، ذكر الملل والأديان، واضطراب الناس فيها، ثم أمر رسول الله ﷺ أن يقول: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ الآية.

(١) في «ت» و«ن»: «سهولة».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣٧٨/١)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٥١٦/٢)،

و«إتحاف فضلاء البشر» للدبياطي (ص: ١٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية»

(٥٢/٢). وانظر تنمة المصادر في التعليق السابق.

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٨٥﴾ .

[٨٥] ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ﴾ أي: التوحيد.

﴿دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ نزلت في جماعة ارتدوا عن الإسلام، وخرجوا من المدينة إلى مكة كفاراً، منهم الحارث بن سويد الأنصاري.
﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ هذه الآية قطعت عمل كل عامل على غير ملّة الإسلام.

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٨٦﴾ .

[٨٦] ﴿كَيْفَ﴾ استفهام إنكار.

﴿يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ﴾ أي: كيف يهديهم بعد اجتماع الأمرين.

﴿وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ على صدق محمد ﷺ.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ بوضع الكفر موضع الإيمان، فكيف بمن عرف الحق ثم أعرض^(١) عنه؟

(١) في «ن»: «عرض».

﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [٨٧].

[٨٧] ﴿أُولَئِكَ﴾ مبتدأ.

﴿جَزَاءُهُمْ﴾ مبتدأ ثانٍ، خبره:

﴿أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ أي: عذابه.

﴿وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ والمرادُ بالناسِ: المؤمنون.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ [٨٨].

[٨٨] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: في اللعنة.

﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ أي: يؤخَّرون، ولا راحة إلا في

التخفيف أو التأخير، فهما مرتفعان عنهم.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٨٩].

[٨٩] وكان الحارث بن سويد لما لحق بالكفار، ندم، فأرسل إلى قومه

أن اسألوا رسول الله هل لي من توبة؟ ففعلوا ذلك، فأنزل الله:

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لما كان منهم،

فحملها إليه رجلٌ من قومه، وقرأها عليه، فقال^(١) الحارث: «والله

ما علمتُك إلا صدوقاً، وإن رسول الله ﷺ لأصدقُ منك، وإن الله لأصدقُ

(١) «فقال» ساقطة من «ت».

الثلاثة»، فرجع الحارث إلى المدينة، وأسلم وحسن إسلامه^(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾^(٢).

[٩٠] ونزل في اليهود: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بعيسى.

﴿بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ بموسى.

﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ بمحمد ﷺ.

﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ إذا وقعوا في الحشرجة؛ أي: التزع.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ الثابتون على الضلال.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنَ النَّصِيرِينَ^(٣).

[٩١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ

الْأَرْضِ﴾ قرأ ورش عن نافع، وأبو جعفر، (مِلْءُ الْأَرْضِ) بالنقل^(٢)؛ أي: ما يملؤها من شرقها إلى غربها.

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٣/٣٤٠)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٦١)،

و«تفسير البغوي» (١/٣٧٩)، و«العجاب» لابن حجر (٢/٧٠٨).

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٢/٢٥٠)، و«إتحاف فضلاء البشر»

للدمياطي (ص: ١٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٥٣).

﴿ ذَهَبًا ﴾ نصب على التمييز .

﴿ وَلَوْ أَفْتَدَىٰ بِهِ ﴾ المعنى : لن يُقبل من أحدهم فديةً ، ولو افتدى بملء الأرض ذهباً .

﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴾ في رفع العذاب ، قال ﷺ :
« يَقُولُ اللَّهُ لِأَقْلَلِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ : لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ ، أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ ، فَيَقُولُ : أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ ذَلِكَ وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ : أَلَا تُشْرِكُ بِي ، فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ »^(١) .

﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾^(١٢) .

[٩٢] ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ ﴾ الجنة .

﴿ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ أي : من أحب أموالكم إليكم .
﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ يعلمه ويجازي عليه .

﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(١٣) .

(١) رواه البخاري (٣١٥٦) ، كتاب : الأنبياء ، باب : خلق آدم صلوات الله عليه وذريته ، ومسلم (٢٨٠٥) ، كتاب : صفة القيامة والجنة والنار ، باب : طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً ، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - .

[٩٣] ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا﴾ أي: حلالاً.

﴿لَبِئْسَ إِسْرَءِيلَ﴾ نزلت لما قال اليهود للنبي ﷺ: تزعم أنك على ملة إبراهيم، وأنت تأكل لحوم الإبل، وتشرب ألبانها، وإبراهيم ما كان كذلك! فنزلت الآية ردّاً عليهم، وتكذيباً لهم^(١).

﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ﴾ وهو يعقوب عليه السلام.

﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾ وهو لحوم الإبل وألبانها؛ فإنهما كانا أحبّ الطعام إليه، فنذر تحريمهما إن شفاؤه الله من مرض أصابه، وهو عرق النساء، ولم يأكله ولده اتباعاً له.

﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾ المعنى: إن المحرّم عليكم إنما حرّم بعد إبراهيم قبل نزول التوراة، فلمّا أضافوا تحريمه إلى الله، كذبهم الله، فقال عز وجل:

﴿قُلْ﴾ يا محمد:

﴿فَاتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا﴾ ليتبين صدقكم.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيما تزعمون، فبُهِتوا، ولم يأتوا بها.

﴿فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(١٤).

[٩٤] فقال الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ بعد

لزوم الحجّة.

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٦٢)، و«تفسير البغوي» (١/٣٨٢)، و«العجاب» لابن حجر (٢/٧١٦).

﴿ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ الذين لا يُنصِفون .

﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿٩٥﴾ .

[٩٥] ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ ﴾ تعريضٌ بكذبهم .

﴿ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ التي أنا عليها ، وهي مِلَّةُ الإسلام .

﴿ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ بالله .

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٩٦﴾ .

[٩٦] ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ ﴾ أي : مسجد .

﴿ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ سببُ نزولها أن اليهودَ قالوا للمسلمين : بيتُ المقدسِ

قبلتنا ، وهو أفضلُ من الكعبةِ وأقدمُ ، فأنزل الله الآية ^(١) :

﴿ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ هي مكة ، والباء والميم يتعاقبان ، وسميت بَكَّةً ؛ لبكَّها ؛

أي : دَقَّها أعناقُ الرجال ، وسميت مكة ؛ لقلة مائها ؛ لقول العرب : مَكٌّ

الفصيلُ ضَرَعَ أُمَّهُ ، وامْتَكَّهُ : إذا امتَصَّ كلَّ ما فيه من اللبنِ ، وأهلُ مكة كانوا

يَمْتَكُونُ الماءَ فيها ؛ أي : يستخرجونه .

﴿ مُبَارَكًا ﴾ كثيرَ البركة .

﴿ وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ لأنه قبلتهم .

(١) انظر : «أسباب النزول» للواحيدي (ص: ٦٢) ، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٨٤) ،

و«العجاب» لابن حجر (٧١٧/٢) .

﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ
الْبَيْتِ مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [٩٧].

[٩٧] ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ ثم بَيَّنَّ الآياتِ فقال :

﴿ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ هو الحجرُ الذي يَصَلِّي خلفه ركعتا الطواف ، وهو الذي
قام عليه إبراهيمُ وقتَ رفعه القواعدَ من البيت لما طَالَ البناءُ ، فكان كلما
علا الجدارُ ، ارتفعَ به الحجرُ في الهواء ، فما زال يبني وهو قائم عليه ،
وإسماعيلُ يناوله الحجارةَ والطينَ حتى أكملَ الجدارَ ، وكان أثرُ قدميه فيه ،
فاندرسَ من كثرةِ المسحِ بالأيدي ، ومن تلك الآياتِ الحجرُ الأسودُ ،
والحطيمُ ، وزمزمُ ، والمشاعرُ كُلُّها ، ومنها أن الطيرَ يطيرُ فلا يعلو فوقه ،
وقد شاهدتُ ذلكَ عياناً .

﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ من أن يُهَاجَ فيه ؛ لدعاء إبراهيم عليه السلام :
﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾ [إبراهيم : ٣٥] ، والضميرُ في قوله : ﴿ وَمَنْ
دَخَلَهُ ﴾ عائذٌ على البيت في قولِ الجمهور ، ويفهم من معناه أن من دخلَ
الحرم ، فهو في الأمن ؛ لأنه جزءٌ من البيت إذ هو لسببه ولحرمة .

واختلفَ الأئمةُ رضي الله عنهم في الجاني الملتجئ للحرم ، فقال
مالكٌ والشافعيُّ : يُقْتَصَرُ منه في الحرم ، وقال أبو حنيفةٌ وأحمدُ : إن جنى
في الحرم ، اقْتَصَرَ منه ، وإن جنى خارجَ الحرم ، ثم لجأ إليه ، لم يُقْتَصَرَ منه ،
لكن يُضَيَّقُ عليه بتركِ البيعِ والشراءِ حتى يخرجَ إلى الحِلِّ ، فيقام حينئذ .

وأما الكلام في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ فقد روى
المحدثون عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه أنه قال : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَيُّ مَسْجِدٍ
وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ : « الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ » ، قَالَ : قُلْتُ : ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ :

«المسجد الأقصى»، قلتُ: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة، ثم أينما أدركتكَ الصلاة بعد فصله؛ فإنَّ الفضل فيه»^(١).

وقد روي أن الملائكة بنوا المسجد الحرام قبل خلق آدم بألفي عام، فكانوا يحجُّونه.

قال الإمام أبو العباس القرطبي: يجوز أن يكون بناءه يعني: مسجد بيت المقدس الملائكة بعد بنائها البيت بإذن الله تعالى^(٢).

وقد روي أن أول من بنى مسجد بيت المقدس وأري موضعه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، روي أن أباه إسحاق أمره ألا ينكح امرأة من الكنعانيين، وأمره أن ينكح من بنات خاله، وكان مسكن يعقوب بالقدس، فلما توجه إلى خاله لينكح ابنته، أدركه الليل في بعض الطريق، فبات متوسداً حجراً، فرأى فيما يرى النائم أن سلماً منصوباً إلى باب من أبواب السماء، والملائكة تعرج فيه وتنزل، فأوحى الله تعالى إليه: إني إلهك وإله أبيك^(٣) إبراهيم، وقد ورثتك هذه الأرض المقدسة لك ولذريتك من بعدك، وباركتُ فيك وفيهم، وجعلتُ لكم الكتاب والحكم والنبوة، ثم أنا معك أحفظك حتى أردك إلى هذا المكان، فاجعله بيتاً تعبدني فيه أنت وذريتك^(٤).

وقد تأول بعض العلماء معنى الحديث الشريف الوارد أن بناء المسجد

(١) رواه البخاري (٣١٨٦)، كتاب: الأنبياء، باب: ﴿يَرْقُونَ﴾، ومسلم (٥٢٠)، في أول كتاب: المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١٣٨/٤).

(٣) في جميع النسخ «آبائك»، والمثبت هو الصواب.

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٣٨٤/١).

الأقصى كانَ بعدَ بناءِ المسجدِ الحرامِ بأربعين سنةً على أن المرادَ بناءُ يعقوبَ عليه السلام لمسجد بيت المقدسِ بعدَ بناءِ إبراهيمَ عليه السلام الكعبةَ الشريفةً، والله أعلم .

وأما بناءُ داودَ وسليمانَ عليهما السلام لمسجد بيت المقدس، فإنه بعدَ ذلك بأزمنةٍ متطاولةٍ على أساسٍ قديم، فهما مجدّدان لا مؤسّسان .

﴿وَلِلّٰهِ﴾ فرضٌ واجب .

﴿عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ قرأ أبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وحفص، وخلفٌ: (حِجٌّ) بكسر الحاء، والباقون: بالفتح، وهي لغة أهل الحجاز، وهما لغتان فصيحتان معناهما واحد^(١) .

والحجُّ أحدُ أركانِ الإسلام، قال ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحِجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»^(٢) .

﴿مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ والاستطاعةُ: القدرةُ بالمالِ والبدنِ، فمن وجدَ الزادَ والراحلةَ ونفقةَ العيالِ قدرَ الذهابِ والرجوعِ، مع التمكنِ، وجبَ

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٢)، و«الكشف» لمكي (٣٥٣-٣٥٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٠)، و«تفسير البغوي» (٣٨٦/١)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٥٥) .

(٢) رواه البخاري (٨)، كتاب: الإيمان، باب: الإيمان وقول النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس»، ومسلم (١٦)، كتاب: الإيمان، باب: بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، عن ابن عمر - رضي الله عنهما - .

الحجُّ عليه بالاتفاق، فعند أبي حنيفة وأحمد يجبُ على الفور، وعند الشافعي ومالك يجبُ على التراخي، وقيد مالك بما إذا لم يخشَ الفتور، وعند مالك فقط يجبُ على الفقيرِ القادرِ على المشي، فلو تكلفَ غيرُ القادرِ فحجَّ، سقطَ عنه الفرض بالاتفاق، والمرأةُ كالرجل، واختلفوا في شرطِ آخرَ في حَقِّها، وهو وجودُ المحرم، فقال أبو حنيفة وأحمد: يُشترط، وهو زوجها، أو من تحرَّم عليه على التأييد بنسبٍ أو سببٍ مُباح؛ كرضاع^(١) ومصاهرة، وقال مالك والشافعي: لا يُشترط إذا وجدت رُقَّة مأمونين، قال مالك: رجالٌ أو نساء، وقال الشافعي: نساءٌ ثقاتٌ.

﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ جحد فرض الحج.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ في الحديث^(٢): «مَنْ أَمَكَّنَهُ الْحَجُّ فَلَمْ يَحُجَّ، فَلَيَمُتْ إِنْ شَاءَ يَهُودِيًّا، وَإِنْ شَاءَ نَصْرَانِيًّا»^(٣).

(١) في «ت»: «الرضاع».

(٢) «الحديث» ساقطة من «ت».

(٣) رواه الترمذي (٨١٢)، كتاب: الحج، باب: ما جاء في التغليظ في ترك الحج، عن علي - رضي الله عنه -. وقال: حديث غريب، وفي إسناده مقال، وهلال بن عبد الله مجهول، والحاتر يضعف في الحديث. ورواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٧٢/٥)، والرويان في «مسنده» (١٢٤٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣٣٤/٤) وضعفه، عن أبي أمامة - رضي الله عنه -. وفي الباب عن غيرهما من الصحابة - رضي الله عنهم -. وانظر: «الدراية» لابن حجر (٢٩٢/٢).

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ [٩٨].

[٩٨] ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ الدالّة على صدق محمد.

﴿ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ فتجاوزن به؟!

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [٩٩].

[٩٩] ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ عن دين الإسلام .
﴿ مَن ءَامَنَ ﴾ بتغييركم صفة النبي ﷺ ليرتابوا، وذكركم وقائع الجاهلية ليقتتلوا.

﴿ تَبْغُونَهَا ﴾ تطلبونها.

﴿ عِوَجًا ﴾ ميلاً عن الاستقامة.

﴿ وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ﴾ بما في التوراة من صدق محمد ﷺ.

﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ وعيدٌ لهم . يسكتُ حمزة قبل الهمز إذا كان الساكنُ آخرَ كلمةٍ والهمزةُ أولَ كلمةٍ أخرى، نحو (مَن ءَامَنَ) و(قُلْ إِنِّي) وشبهه حيث وقع، ويسهل بالنقل إذا وقف بخلافِ عنه^(١).

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٨٨١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥٦/٢).

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ ﴿١٠٠﴾ .

[١٠٠] ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ الذين يريدون كفركم .

﴿ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ نزلت في نفرٍ من الأوس والخزرج، وكانوا جلوساً يتحدثون، فمر بهم شاسُ بنُ قيسِ اليهوديِّ، فغاضه تألُّفُهُم واجتماعُهُم بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة، فأمر شاباً من اليهود أن يجلسَ إليهم، ويذكرهم يومَ بعث، وينشدهم بعضَ ما قيلَ فيه من الأشعار، وكان يوماً اقتتلَ فيه الأوسُ والخزرجُ، وكان الظفرُ فيه للأوس، ففعل، فتنازعَ القومُ وتغاضبوا، وقالوا: السلاحَ السلاحَ، فبلغَ النبي ﷺ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين والأنصار، فقال: «أَتَدْعُونَ الْجَاهِلِيَّةَ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ بَعْدَ إِذْ أَكْرَمَكُمُ اللَّهُ بِالإِسْلَامِ وَقَطَعَ بِهِ عَنْكُمُ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَلْفَ بَيْنِكُمْ؟!» فعلموا أنها نزغةٌ من الشيطان، وكيدٌ من عدوِّهم فألقوا السلاحَ، واستغفروا، وعانقَ بعضهم بعضاً، وانصرفوا مع رسولِ الله ﷺ، فما كان^(١) يومٌ أقبحَ أولاً وأحسنَ آخرًا من ذلكَ اليوم^(٢) .

(١) «كان» ساقطة من «ن» .

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/٤)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٦٢-٦٣)، و«تفسير البغوي» (٣٩٠/١)، و«العجاب» لابن حجر (٧٢١/٢)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢٧٨/٢) .

مُحتَوَى المجلد الأول

| | |
|----|---|
| 5 | * مقدمة التحقيق |
| 9 | * الفصل الأول: ترجمة الإمام العليمي |
| 11 | - المبحث الأول: اسمه ونسبه وولاته، ونشأته وطلبه للعلم |
| 14 | - المبحث الثاني: شيوخه |
| 19 | - المبحث الثالث: تلامذته |
| 20 | - المبحث الرابع: تصانيفه |
| 23 | - المبحث الخامس: ثناء العلماء عليه، ووفاته |
| 24 | - المبحث السادس: مصادر ترجمته |
| 25 | * الفصل الثاني: دراسة الكتاب |
| 27 | - المبحث الأول: تحقيق اسم الكتاب |
| 28 | - المبحث الثاني: بيان صحة نسبة الكتاب إلى مؤلفه |
| 29 | - المبحث الثالث: منهج المؤلف في الكتاب |
| 35 | - المبحث الرابع: موارد المؤلف في الكتاب |
| 38 | - المبحث الخامس: منزلة الكتاب العلمية |
| 41 | - المبحث السادس: وصف النسخ الخطية المعتمدة في التحقيق |
| 47 | - المبحث السابع: بيان منهج التحقيق |
| 51 | * صور المخطوطات |

[فتح الرحمن في تفسير القرآن]

| | |
|-----|---|
| ٣ | * مقدمة |
| ٦ | فصل : في ذكر ما ورد في فضائل القرآن العظيم |
| ٨ | فصل : في فضل تفسير القرآن |
| ٩ | فصل : في الكلام في تفسير القرآن وتأويله |
| | فصل : في معنى قول النبي ﷺ : «إن هذا القرآن أنزل على سبعة |
| ١٠ | أحرف...» |
| ١٢ | فصل : في ذكر جمع القرآن وكتابته |
| ٢٠ | فصل : في ذكر شكل القرآن ونقطه |
| ٢٢ | فصل : في ذكر عدد سور القرآن وآياته وحروفه وكلماته وأحزابه ونقطه |
| | فصل : في ذكر معنى المصحف والكتاب والسورة والآية والكلمة |
| ٢٦ | والحرف |
| ٢٩ | فصل : وأما كيف يقرأ القرآن؟ |
| ٣٣ | فصل : في الاستعاذة |
| ٣٥ | * الكلام في تفسير البسملة |
| ٤٠ | * سورة فاتحة الكتاب |
| ٤٨ | * تفسير سورة البقرة |
| ٤١٤ | * تفسير سورة آل عمران |
| ٤٩٩ | * محتوى المجلد الأول |

* * *